كتـــاب

بغيــة السـالك

فــي أشـرف المسالــــك

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

(يقول العبد المستغفر من ذنبه ، الراجي رحمة ربه ، محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم الأنصاري الساحلي غفر الله له ، وأصلح قوله {وعمله ، بفضله وكرمه}[1]) [2] .الحمد لله الذي جلا مرآة بصائر[3] الذاكرين من [صدا] [4] الغفلات [5] ، و (جلى) [6] شمس [7] المعارف في أفق سماء (قلوب) [8] أهل المراقبات، وتجلى [بذاته] [9] وصفاته وأفعاله فتدكدكت جبال [1] الأوهام واضمحل

---

1 – ساقط من د .

2 – في ب : قال الشيخ الإمام الصوفي المربي أبو عبد الله سيدي محمد بن محمد بن أحمد الساحلي الأنصاري رحمه الله .

3 – البصيرة في اصطلاح القوم : " قوة القلب منورة بنور القدس يرى بها حقائق الأشياء وبواطنها ، بمثابة البصر للنفس الذي ترى به صور الأشياء وظواهرها . وهي القوة التي تسميها الحكماء : العاقلة النظرية ، وأما إذا تنورت بنور القدس ، وانكشف حجابها بهداية الحق ، فيسميها الحكيم: القوة القدسية " – اصطلاحات الصوفية ص:37 – معجم المصطلحات الصوفية - ص : 54 .

4 – في : أ ، د : صدى ، (بالألف المقصورة) .

5 – الإشارة إلى حديث ابن عمر : " إن القلوب لتصدأ مثلما يصدأ الحديد ، قالوا : وما جلاؤها يارسول الله ؟ قال : ذكر الله .. رواه ابن عدي في الكامل : 259/1 . وضعفه ، والصدأ في الاصطلاح الصوفي هو: " ما ارتكب على وجه القلب من ظلمة سيئات النفس وصور الأكوان ، فحجبه عن قبول الحقائق وتجليات الأنوار ، ما لم يبلغ غاية الرسوخ . فإذا بلغ في الرسوخ حد الحرمان والحجاب الكلي ، سمي رينا ورانا كما ذكر " اصطلاحات الصوفية – ص : 140 . ويرى التهانوي كذلك أن الصدأ : " هو الغطاء الذي يكون على وجه القلب من ظلمة هيأة النفس وصور الأكوان . وهو يحجب القلب عن قبول الحقائق وتجليات الأنوار ... " . كشاف اصطلاحات الفنون : 197/4 . معجم المصطلحات الصوفية – ص : 108 .

6 – ب ، ح ، د : جلا.

7 – ب : زيادة : قلوب .

8 – ساقط من : ب ، د .

9 – في : أ ، ج: في ذاته . والذات في اصطلاحا " الشيء القائم بنفسه . والاسم والنعت والصفة=

=معالم للذات . فلا يكون الاسم والنعت والصفة إلا لذي ذات . ولا يكون ذو ذات إلا مسمى منعوتا موصوفا " . اللمع – ص : 427 . ويرى الهجويري أن : " الذات وجود الذات وحقيقته ". وذات الله سبحانه وتعالى عبارة عن نفسه التي هو بها موجود ، لأنه قائم بنفسه . والذات أيضا عبارة عن الوجود المطلق بسقوط جميع الاعتبارات والإضافات والنسب والوجوهات . معجم المصطلحات الصوفية – ص : 85 .

سراب الشبهات. نحمده سبحانه حمدا يوذن بالارتقاء إلى قنة [2] ربوة حضرة المناجاة ، ونشكره جل اسمه شكرا يقضى بتتابع النعم وترادف الخيرات) [3]. ونشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له ، شهادة خالصة الورد من (شوائب كدرات) [4] الآفات ، صادقة القصد [5] في ولوج باب المشاهدات . ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المؤيدُ بأوضح المعجزات ، المخصوصُ بأعلى المقامات ، وأرفع الدرجات . صلى الله عليه وعلى آله صلاة متصلة [الصلات] [6] محفوفة بأزكى البركات وأعم الرحمات ، وسلم تسليما كثيرا موصول الآصال بالغدوات .

أما بعد ؛ أيها الأخ الذي رصت أركان اخوته على قواعد المحبة والصفاء ، وحفت روضة خلته .بأزهار أنوار الصدق والوفاء ، وشدت عرى صحبته بروابط ضوابط الرعي و الاحتفاء ، فإني للذي [لزمني][7] من شكر أياديك في صحبتك، ووجب على من القيام بحقوقك في خلتك ، وتأكد علي من الوفاء (بشروط) [8] (محبتك)[9]، ولما علمتك كثير الحب في طريق السالكين[1] ، شديد الميل إلى (

---

1 – الإشارة إلى الآية 143 / من سورة الأعراف: [ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك . قال لن تراني ، ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا . فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المومنين] وهي آية استند إليها الصوفية كثيرا في حديثهم عن تصفية النفس ، وتحطيم رعونات البشرية فيها إضافة إلى اشتمالها على ما يمكنه اعتباره مرجعية تأسس عليها مفهوم " التجلي " و " الشهود " ، و"الفناء " ، " وعين اليقين " ، وغير ذلك من المفاهيم ولذلك فهي من أكثر الآيات تدولا في الكتابات الصوفية عموما، إما نصا ، أو إشارة وتلميحا كما عند الساحلي هنا . انظر : الرسالة القشيرية – ص: 39 – تفسير ابن برجان – مخطوط – اللوحة 336 . معجم المصطلحات الصوفية – ص : 57) .

2 – قنة الجبل وقلته : أعلاه (اللسان/ قنن).

3 – ساقط برمته من : د .

4 – د : كدرات شوائب .

5 – القصد عند الصوفية هو : " الإرادات والنيات الصادقة المقرونة بالنهوض إليه ... " . اللمع – ص : 446 . معجم المصطلحات الصوفية – ص: 143 .

6 – في : أ ، ب : الصلاة (كذا) .

7 – في : أ ، ج : لزمتني .

8 – د : بمشروط .

9 – ب : صحبتك .

التعرف) [2] بمساعي الصالحين، بحاثا عن مشارب أولياء الله العارفين ، متشوفا إلى العلم بأحوال طبقاتهم في السفر [3] إلى رب العالمين ، رأيت أن أجري معك في ميدان المذاكرة بطـريق (يفضي) [4] - بفضل الله تعالى - إلى بحبوحة [5] بها ينزل الصديقون [6]، وأفتح بيني

وبينك بابا يشرع [7] [إلى] [8] عرصات فيها يحط العارفون[9] ،وأرسم في طريق القوم [1] كتابا يترجم عن كيفية سلوك مقامات الدين ، ويسفر عن وجه الأعلام بسبيل الارتقاء

---

1 - السالك : " السائر إلى الله المتوسط بين المريد والمنتهي ما دام في السير " - اصطلاحات الصوفية - ص : 99 . ويرى ابن عربي أن السالك : " هو الذي مشى على المقامات بحاله لا بعلمه ، فكان العلم له عينا " - معجم المصطلحات الصوفية - ص : 96. انظر أيضا : التعريفات - ص : 121 .

2 - ب ، ج : التعريف .

3 - السفر اصطلاحا : " هو توجه القلب إلى الحق . والأسفار أربعة . الأول : هو السير إلى الله تعالى من منازل النفس إلى الوصول إلى الأفق المبين ، وهو نهاية مقام القلب ومبتدأ التجليات الأسمائية . الثاني : هو السير في الله بالاتصاف بصفاته والتحقق بأسمائه إلى الأفق الأعلى . وهو نهاية مقام الروح والحضرة الواحدية . والثالث : هو الترقي إلى عين الجمع والحضرة الأحدية ، وهو مقام قاب قوسين ما بقيت الإثنينية ، فإذا ارتفعت فهو مقام أو أدنى ، وهو نهاية الولاية . والسفر الرابع : هو السير بالله عن الله للتكميل . وهو مقام البقاء بعد الفناء ، والفرق بعد الجمع " - اصطلاحات الصوفية - ص : 103 - 104 . معجم المصطلحات الصوفية - ص : 99 .

4 - ب : تفضي .

5 - بحبوحة الشيء : وسطه وسعته . (اللسان / بحح) .

6 - يقول القاشاني : " الصديق مبالغة في الصدق ، وهو الذي كمل في تصديق كل ما جاء به رسول الله ﷺ علما وقولا وفعلا ، بصفاء باطنه وقربه من باطن النبي ﷺ ، لشدة مناسبته له . ولهذا لم يتخلل في كتاب الله تعالى مرتبة بينهما في قوله تعالى : [أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين] . وقال صلى الله عليه وسلم : " أنا وأبو بكر كفرسي رهان ، لو سبقني لآمنت به ، ولكن سبقته فآمن بي " . =اصطلاحات الصوفية - ص : 139 . "ومنه اشتق اسم مقام الصديقية التي هي عبارة عن حقيقة مقام : من عرف نفسه فقد عرف ربه " . معجم المصطلحات الصوفية ص - : 109 .

7 - يشرع : يؤدي ، وينفذ . (اللسان / شرع) .

8 - في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

9 - قال القاشاني : " العارف من أشهده الله ذاتَه وصفاتِه وأسماءَه وأفعالَه . فالمعرفة حال تحدث من شهوده " - اصطلاحات الصوفية - ص : 106 . وقال الجنيد : " العارف هو الذي نطق الحق عن سره وهو ساكت " ... ومثل هذه الأقوال في وصف العارف كثيرة يصعب حصرها . انظر مثلا : الرسالة القشيرية - ص : 154 . روضة التعريف : 418/2 وما بعدها . معجم المصطلحات الصوفية - ص : 117 - 118 .

إلى حضرة المقربين ؛ وأشير فيه إلى بعض أسرار[2] القوم بإيماء وتلويح ، مستغنيا في ذلك بالإشارة عن التصريح .

وليس ذلك بهتك [لأستار] [3] أسرارهم ، ولا خروج عن دائرة مذاهبهم في الكتم وأطوارهم . لكنني لما رأيت أكثر المتعلقين (بهذا الطريق[4]) قد عميت عليهم أنباؤه[5]، وغاب عنهم أساسه وبناؤه ، فلم يعرفوا معناه ، ولا حلوا بمغناه)[6] ، لكنهم وقفوا في [مباديهم] [7] . فلم يقدموا رجلا إلى ما بعد ذلك ، وأعرضوا عن مناديهم فحجبوا عن حقائق ما هنالك ، ظنا منهم أن ما بأيديهم ليس بعده مرمى ، أو قنعوا بالقشر عن اللباب الأصفى ، خفت أن يتوالى على هذا الطريق ما لحقه من العفاء ، (أو تفقد

---

1 – القوم تعبير يطلق عادة ويقصد به الصوفية . وفيه إحالة على لفظ ، ومعنى الحديث النبوي : " .. هم القوم لا يشقى بهم جليسهم " ، أخرجه أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة – ح : 8597 و 8856 . وأورده الغزالي في الإحياء : 352/1 . والسهروردي في العوارف – ص: 88 . وانظر أيضا : الأحاديث القدسية : 1 / 17 – 18 – 19 – 20 .

2 – السر : " خفاء بين العدم والوجود موجود في معناه . وقد قيل : السر ما غيبه الحق ولم يشرف عليه الخلق ، فسر الخلق ما أشرف عليه الحق بلا واسطة ، وسر الحق ما لا يطلع عليه إلا الحق " – اللمع – ص : 430 . وللسر في الاصطلاح الصوفي دلالات واسعة متفرعة عنه بحسب ما يضاف إليه ، من ذلك على سبيل المثال سر السر ، وسر الحقيقة ، وسر النور ، وسر التجليات ، وسر الحال ، وسر الربوبية ، وسر العلم ، وسر القدر ... الخ . انظر : الرسالة القشيرية – ص : 48 . الإملاء في إشكالات الإحياء – ص : 19 . اصطلاحات الصوفية – ص : 100 . كشاف اصطلاحات الفنون : 158/3 . معجم المصطلحات الصوفية – ص : 97 .

3 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

4 – الطريق : " عبارة عن مراسم الحق تعالى المشروعة التي لا رخصة فيها " . اصطلاحات الصوفية – ص : 65 . والطريق أيضا : " عبارة عن مراسم الله تعالى وأحكامه التكليفية المشروعة التي لا رخصة فيها ، فإن تتبع الرخص سبب لتنفيس الطبيعة المقتضية للوقفة والفترة في الطريق " . التعريفات – ص : 145 . معجم المصطلحات الصوفية – ص : 113 .

5 – من لفظ الآية 66 / من سورة القصص : [فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون] .

6 – ب : بهذه الطريق ... انباؤها ... أساسها بناؤها .. معناها .. بمغناها .

7 – في أ : مذاهبهم . والمبادي اصطلاحا : فروض العبادات ، أي الصلاة والزكاة والصوم والحج . وذلك أن نهاية الصلاة هي كمال القرب والمواصلة الحقيقية . ونهاية الزكاة هي بذل ما سوى الله لخلوص محبة الحق . ونهاية الصوم هي الإمساك عن الرسوم الخلقية وما يقويها بالفناء في الله . ولهذا قال في الكلمات القدسية : الصوم لي وأنا أجزي به . ونهاية الحج الوصول إلى المعرفة والتحقق بالبقاء بعد الفناء . لأن المناسك كلها وضعت بإزاء منازل السالك إلى النهاية ومقام أحدية الجمع والفرق " . اصطلاحات الصوفية – ص : 76 .

قادته) [1] فيعم (العماء [2]) ويشمل الجفاء ، حتى يكثر فيه المدعون ، (ويتصدى)[3] للإمامة فيه الجاهلون . وحتى يسارع إليه بالمطاعن أهل النظر ، ويلوموا عليه من سلف من أهله وغبر ، لما يرون من تغييره) [4] عن سبيله المستقيم والتحريف به عن مهيعه [5] القويم .

فأجمعت عزمي بعد أن استخرت الله تعالى على أن أؤلف هذا الكتاب أترجم فيه عن حقيقة (طريق) [6] القوم جملة وتفصيلا ، وأرتبه على المقامات الثلاث [7] تأصيلا وتحصيلا ، و أبنيه على الأذكار الخمسة [8] توجيها وتعليلا ، و(أعضده) [9] بالنقل والعقل تصحيحا وتنزيلا ، وأقصد به التوسط بين الاختصار والتطويل ، [سالكا] [10] فيه بفضل الله تعالى أقوم قيل [11] وأهدى سبيل [12] **.وسميته** بـ "**بغية السالك في أشرف المسالك** "، وقدمت بين يديه مقدمة تعرب عن المراد ، ثم رتبته أبوابا ستة :

الباب الأول : في الذكر وبيانِه باعتبار العامة والخاصة [13] .

---

1 – ب : وتفقد قاعدته . د : وتفقد قادته .

2 – ب ، ج ، د ، العمى بالألف المقصورة . والعماء : السحاب المرتفع الكثيف يشبه الدخان... وعمي عليه الأمر : التبس " (اللسان / عمي) .

3 – د : يتصدر .

4 – د : تغيره .

5 – طريق مهيع : واضح واسع بين . جمعه : مهايع (اللسان / هيع) .

6 – ب : طريقة .

7 – مقامات : الإسلام ، الإيمان ، الإحسان .

8 – الاستغفار و التصلية والتهليل و التنزيه و الاسم المفرد . وسيأتي تفصيلها لاحقا .

9 – د : أعضه .

10 – في أ : سالك .

11 – من لفظ الآية 5 من سورة المزمل : [إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا] .

12 – من لفظ الآية 84 من سورة الإسراء : [قل كل يعمل شاكلته . فربكم هو أعلم بمن هو أهدى سبيلا]

13 – يعتبر مفهوما العمومية والخصوصية من المفاهيم الأساسية التي تأسس عليها الفكر الصوفي . يرى القاشاني أن العامة هم الذين : " اقتصر علمهم على الشريعة ، ويسمى علماؤهم : علماء الرسوم ". اصطلاحات الصوفية – ص : 107 . أما الخاصة ، فهم : الذين خصهم الله تعالى من عامة المؤمنين بالحقائق والأحوال والمقامات . قال الله تعالى : [ومنهم مقتصد ومن سابق بالخيرات] فالمقتصد خصوص ، والسابق خصوص الخصوص " . اللمع – ص : 414 .

الباب الثاني : في مقام الإسلام وما يتعلق به من المنازل والأذكار والمقاصد والثمرات وغير ذلك .

الباب الثالث: في مقام الإيمان وما يتعلق به من المنازل والأذكار والمقاصد والثمرات وغير ذلك .

الباب الرابع : في مقام الإحسان وما يتعلق به من المنازل والأذكار ،والمقاصد والثمرات وغير ذلك .وقعدت قبل أبواب المقامات قاعدة تترجم عن المقصود .

الباب الخامس : فيما يعرض من العوارض ويظهر من الكرامات باعتبار منازل المقامات

الباب السادس: جامع لفوائد شتى . وفيه فصول ستة :

الفصل الأول : في سند هذا الطريق ، والتعريف بمن أمكن من شيوخه .

الفصل الثاني : في أحكام المشيخة والتلمذة.

الفصل الثالث : في أحكام اجتماعهم على العبادات من ذكر وغيره .

الفصل الرابع : في أحكام السماع وما يتعلق به .

الفصل الخامس : في أذكار وأدعية يستعملها السالك مع حركاته من حين هبوبه من النوم ، إلى حين منامه . وفيه بعض وصايا .

الفصل السادس : في أدعية مختلفة المعاني بحسب أحوال [1] السالكي فتناوله يا أخي بكف القبول ، وطالعه مطالعة مستخبر أخبار حكم لا تحول ، واعمل بمقتضاه تدرك غاية السؤال والمأمول . واعلم (أنى) [2] اقتصرت على ما سمحت به العبارات ، ولوحت عما دق من الأسرار بالإشارات . فحسب اللسان أن لا يجاوز حده ولا يعدو قدره ، وحسب الجنان أن يصون أمانته ويكتم سره .والأذواق يعسر تحديدها والتعريف

---

1 – الأحوال : " هي المواهب الفائضة على العبد من ربه ، إما واردة عليه ميراثا للعمل الصالح المزكي للنفس المصفي للقلب ، وإما نازلة من الحق تعالى امتنانا محضا . وإنما سميت الأحوال أحوالا لتحول العبد بها من الرسوم الخلقية ودركات البعد ، إلى الصفات الحقية ودرجات القرب . وذلك هو معنى الترقي " . اصطلاحات الصوفية – ص : 26 . معجم المصطلحات الصوفية – ص: 39 – 40 .

2 – د : إن

بحقيقتها. والأسرار يصعب الكشف عن كنهها وماهيتها ، مع أن مواهب الله تعالى لا تنحصر بزمام ، وأسراره لا تظهر إلا بعد صفاء البواطن من كدرات الأوهام . [ذلك فضل الله يوتيه من يشاء] [1] . سبحانه ذو الجلال والإكرام . وما زلت أقدام كثير من المتكلمين إلا بتقاحمهم [2] على التعبير عن الأسرار المكنونة والكشف عن الأمانة المحفوظة المصونة .أسأل الله تعالى أن يهدينا سبيل (السلام [3]) ، وأن يرزقنا به حسن الاعتصام، وأن لا يحجبنا عن موارد التخصيص والإكرام ، إنه سميعالدعاء ، وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله صلاة تبوؤنا من رضوانه أعلى المراتب ، وتسوغنا من إحسانه أزكى المواهب

مقدمة تعرب عن المـراد

---

1 - سورة : المائدة - الآية 54 .

2 - التقحم : التقدم والوقوع في أهوية وشدة بغير روية ولا تثبت . (اللسان / قحم) .

3 - ب ، د : الإسلام . والعبارة من لفظ الآيتين : 17 - 18 / من سورة المائدة : [قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم] .

اعلم رزقني الله وإياك موهبة قدسية تسمو بنا إلى حضرة قدسه ، وتحلنا في محل أنسه [1] ، أن الله عز وجل خلق نفس الإنسان من صفاء صفوة النور. وأحلها مكانا (مكينا) [2] وألبسها أثواب الطهارة والزكاة ، ثم أهبطها من مكانها ونقلها من قرارها ، وأودعها قارورة الجسم لحكمة آدمية قدرها وقضاها . وليبلونا أينا أحسن عملا [3] ، فيفوز بالفلاح من زكاها ، ويبوء بالخيبة من دساها [4] . وجعل بين النفس والجسم تعلقا عجيبا وارتباطا غريبا [لولاه] [5] . لم يستقر قرارها فيه ، للمضادة التي بينهما .وبذلك(التعلق) [6] والارتباط تحلت النفس من كثافة الجسم بأوصاف ، وتحلى الجسم أيضا من لطافة النفس بأوصاف . لكن النفس أشد انفعالا لمقتضيات الجسم ، وأكثر اتصافا بأوصافه ، لبعدها عن عالمها وقربه من عالمه . والطبع يسرق من الطبع القريب المجاور، فكلما مال الجسم لمقتضى النفس ، جذبه عن ذلك طبع عالمه القريب ، فضعف الميل . وكلما مالت النفس [7] لمقتضى الجسم لم تجد وازعا عن ذلك من عالمها لبعدها عنه، فاتصفت بأوصاف الجسم وتلوثت بأدران مقتضياته ، حتى أخرجها ذلك عن طبعها ، ونزع عنها أثواب طهارتها ، ولوثها بأدران الشهوات ، وأمرضها بعلل[8] الآفات، حتى صار لها من ذلك أعظم حجاب عن خالقها ، وأكبر قاطع [عن] [9] عالمها . فهي مع مرور الأزمان والأنفاس تكثر عللها فيعظم حجابها . والعبد مطلوب بخلاص نفسه من عللها ، وطهارتها من أدرانها ، وخرق حجابها

---

1 – الأنس عند الصوفية " التذاذ الروح بكمال الجمال . والأنس ضد الهيبة . ومن هذا يتبين أن الأنس والهيبة بينهما تلازم كخوف المؤمن ورجائه ، فإنهما مقترنان . وكمال الأنس انبساط المحب نحو المحبوب . يقول ذو النون المصري : أدنى منازل الأنس أن يلقى في النار فلا يغيب همه عن مأموله " . كشاف اصطلاحات الفنون : 108/1 . معجم المصطلحات الصوفية – ص : 49 .

2 – في أ : كثيفا .

3 – من لفظ الآية : [ليبلونكم أيكم أحسن عملا] . سورة الملك / الآية 2 .

4 – من لفظ الآية : [قد افلح من زكاها ، وقد خاب من دساها] – . سورة : الشمس / الآية: 9 – 10

5 – في أ ج ، د : لولا هو .

6 – ج : المعلق .

7 – ج: زيادة : مال الجسم .

8 – العلة اصطلاحا : " عبارة عن بقاء حظ العبد في عمل أو حال أو مقام أو بقاء رسم أو صفة " . اصطلاحات الصوفية – ص : 131 . وقال الغزالي : " العلة تنبه عن الحق " . الإملاء في إشكالات الإحياء – ص : 19 . وانظر أيضا : اللمع – ص : 440 .

9 – في : أ ، ج : من .

عن خالقها . حتى يصح مزاجها ويعتدل ، و(تنقه)[1] من غمرة عللها، وتتجرد من أثواب شهواتها ، وتتحلى بالأوصاف التي كانت عليها قبل التركيب . فتعود إلى ربها طاهرة زكية مطمئنة راضية مرضية[2] وهذا هو العهد الذي أخذه الله تعالى على بني آدم[3] ، وذلك هو لباب اللباب . لأن العمل لباب العلم ، وطهارة النفس لباب العمل . وهي الغاية التي لها شد الأنجاد[4] عرى العزائم ، وأملها كل صائم وقائم . وبحسب ما يبقى على الإنسان من طهارة نفسه يكون إخلاده عن [الوصول إلى][5] العرصات القدسية والأسرار الإلهية ولما عجزت العقول عن درك أسباب خلاص النفس من عللها ، وكعت[6] عن معرفة ما يطهرها من دنس شهواتها ، لأن العقول وإن كان عندها إدراك تتفاضل فيه، فإنها محجورة عن الإحاطة بجميع المصالح ، فتجدها في أكثر الأمور كالأعمى الذي لا يهتدي إلا بدليل . ولا يومن في تسليم النظر لها في الجملة أن تهوى في مهواة الهلكة من حيث لا تشعر، لعدم إحاطتها بحملة المصالح . ولذلك هلك من سلم لها النظر من غير تشرع[7] بعث الله رسله صلوات الله وسلامه عليهم هداة للعقول إلى ما فيه خلاص الأنفس من رق شهواتها ، [وإنقاذها][8]من أسر [غفلاتها][9]، وطهارتها من دنس سيئاتها . وإخراجها من الظلمات إلى النور بطرق سهلة ، ومآخذ هينة ، بوحي من الله تعالى . فجاءوا من عنده بوظائف العبادات وشرائع الدين ، وفنون التكليفات ، منها ما يختص بالباطن

---

1 – نقه ينقه أي شفي من مرضه ، وهو في عقب علته ، لم يرجع إليه كمال صحته وقوته . (اللسان / نقه).

2 – من لفظ الآية : [ياأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية...] سورة الفجر / الآيات 27 – 30 .

3 – إشارة إلى الآية : [وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم : الست بربكم قالوا : بلى شهدنا . أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين] . الأعراف/ 172 . وهي آية كثيرا ما يستدل بها الصوفية في سياق الحديث عن شوق الروح إلى حلاوة الخطاب الأزلي : " ألست ربكم". وكنوا عن ذلك الموقف بـ " يوم ألست " – وهو الشوق التي يتأسس عليه مفهوم : " الحال " وما يتبعه أحيانا من شطحات . انظر : الرسالة القشيرية – ص 57 – اللمع – ص : 138 – عوارف المعارف – ص : 92 .

4 رجل نجد ونجد : أي شديد البأس والشجاعة والنجدة . جمعه : أنجاد . (اللسان / نجد) .

5 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

6 – كعا الرجل : إذا انهزم . والكاعي هو المنهزم الجبان ، جمعه أكعاء (اللسان / كعي) . أو من : كع يكع ويكع ويكع ... فهو كاعٌّ ، وكعٌّ : أي ضعف وعجز وجبن . (اللسان / كعع) .

7 – التشرع : الرجوع في أموره إلى أحكام الشريعة .

8 – في الأصل : ولإنقاذها .

9 – في الأصل : غفلتها .

ومنها ما يختص بالظاهر . أما ما يختص بالباطن فكالأدوية ، وأما ما يختص بالظاهر فكالأغذية .

وهنا نكتة يجدها كل موفق إذا تأملها من نفسه ، وهي أن الله تعالى جعل بين أعمال الظاهر وأعمال الباطن مناسبة للارتباط الذي بين الباطن والظاهر . فإذا دخلت بشاشة الإيمان الباطن ، حرك الظاهر للعمل بموجب ما حصل فيه من إيمان . فإذا تلبس الظاهر بأعمال ذلك الموجب ، سرت منه أنوار للباطن أثلجت اليقين [1] وقوت الإيمان ، فيحرك الباطن الظاهر للعمل بموجب تلك القوة الإيمانية ، (فيتلبس)[2] الظاهر بأعمال ذلك الموجب ، فتسري منه أنوار (للباطن) [3] تزيد بها مادة القوة الإيمانية ، ويعظم الثلج اليقيني .

فلا يزال كذلك حتى ينتهي الإيمان إلى الغاية التي ليس بعدها مرمى . وينتهي. ثلج اليقين إلى غاية : لو (انكشف) [4] الغطاء ما ازداد يقينا [5]. فانظر الحكمة البليغة في أعمال الظاهر والباطن . واعلم أن الله تعالى ، كلف عباده أن يعلموا ما جاءتهم به رسله منه ، وأمرهم أن يعملوا بمقتضى ما علموا . وجعل الله سبحانه العمل الخالص الجاري على مهيع العلم مطهرا للنفس من أدرانها ، مخلصا لها من عللها. فطهارة النفس ثمرة العمل . كما أن العمل ثمرة العلم . فالنفس إذا تحلت بالأخلاق الحميدة ، وتزكت عن الأخلاق الذميمة ، فإن حجاب (الغفلة) [6]

---

1 - قال القشيري : " اليقين هو العلم الذي لا يداخل صاحبه ريب على مطلق العرف . ولا يطلق في وصف الحق سبحانه ، فعلم اليقين هو اليقين " الرسالة القشيرية – ص: 47 . وقال بعضهم اليقين هو رؤية العيان بقوة الإيمان لا بالحجة والبرهان " . التعريفات – ص : 280 . معجم المصطلحات الصوفية – ص : 190 . وهو من المصطلحات التي كثرت تعريفاتها عند شيوخ التصوف ، وتتفرع عنها اصطلاحات أخرى مركبة بحسب ما يضاف إليها ، كحق اليقين وعين اليقين وعلم اليقين ... – انظر : عوارف المعارف – ص : 332 .

2 - ج : فتلبس - د : وتلبس .

3 - ب ، د : الباطن .

4 - ب ، ج ، د : كشف .

5 - كلام مأثور سينسبه الساحلي في سياق لاحق إلى أبي بكر الصديق . إلا أن القشيري ، والطوسي نسباه إلى عامر عامر بن عبد قيس . الرسالة – ص : 90 – 91 . اللمع – ص : 102 . ونسبه الكلاباذي إلى سهل التستري . التعرف لمذهب أهل التصوف. ص: 103 . ونسبه التهانوي إلى علي رضي الله عنه . معجم المصطلحات الصوفية – ص : 191 .

6 - ج ، د : الغيبة .

يرتفع عنها ، أو يرتفع منه بقدر ما نالته من تحلية [1] وتزكية . وإذا ارتفع حجابها تصفت مرءاتها فشاهدت الحقائق على ما هي عليه ، وأبصرت الأسرار من غير ارتياب . لكن رأس الحكمة الاهتداء إلى معرفة علل النفس وأسبابها ، والعلم [بوجوه] [2] الخلاص منها ، وكيفية طهارتها . فلابد من طبيب يدبرها ويعانيها ، ويخلصها ويداويها ، بالأدوية التي توافق ، والأغذية التي تلائم، حسبما تقتضيه حكمته. ولا شك أن طب [الأنفس] [3] وعلاج عللها ، أوكد وأولى من طب الأبدان . لأن العاقل إنما يعالج بدنه كي يحصل له البقاء الذي يدرك فيه علاج نفسه . فطب الأبدان سبب لنيل الراحة المنقطعة والحياة المنفصلة . وطب الأنفس سبب لنيل الراحة الدائمة والحياة الباقية . فشتان ما بينهما .

فإن قلت : قد تبين بما قلت أن علاج الأنفس أمر ضروري ، فهل من طبيب أشكو إليه علل نفسي وأؤمله للخلاص من أمراضها لعله يصلح منها ما فسد كي استقبل الراحة الكبرى ، فالجواب أن الأطباء هم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم . ونبينا ρ هو الطبيب الأعظم والإمام الأكبر . وأسباب العلاج موجودة في الكتاب والسنة ، فيهما الشفاء والدواء . ولم يتوف الله تعالى نبيه محمدا ρ حتى أكمل به الدين وأتم به النعمة [4] ، وترك بين أظهرنا كتابه الحكيم وسنة نبيه ρ ، هما النور لمن أراد أراد الاهتداء، والحكمة لمن أراد الدواء [5] . وترك الوارثين [6] له ، المهتدين بهدايته [7]

---

1 – التحلية أو التحلي هي : " التشبه بأحوال الصادقين بالأحوال ، وإظهار الأعمال " – الإملاء في إشكالات الإحياء – ص : 19 . ويقابلها عادة التزكية أو التخلية . وهي كما يرى الطوسي: " الإعراض عن العوارض المشغلة بالظاهر والباطن ... " – اللمع – ص : 440 . وأيضا : الإملاء – ص : 19 . معجم المصطلحات الصوفية – ص : 58 .

2 – في : أ ، ب : وجود .

3 – في : أ . د: النفس .

4 – إشارة إلى الآية 3 / من سورة المائدة : [اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا] . [

5 – الإشارة إلى حديث : " تركت بين أظهركم ما إن تمسكتم به لن تضلوا ... " ، أخرجه الحاكم من حديث ابن عباس في المستدرك : 93/1 . والبيهقي في الكبرى : 114/10 .

6 – الإشارة إلى حديث أبي الدرداء : " العلماء ورثة الأنبياء " أخرجه أحمد – ح : 21709 – وابن ماجة – ح : 223 . والدارمي : 98/1 . وأبو داود – ح : 3624 – والترمذي . ح : 2822 .

[1] أيمة الحق وقادة الهدى ، ولم تزل هذه الإراثة قائمة يرثها قوم عن قوم ، من عهد [2] الصحابة إلى هلم جرا . وإلى ذلك الإشارة بقوله ρ : " لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من ضل إلى قيام الساعة " [3] . فالأطباء هم الوارثون ، والأدوية وكيفية

العلاج بها ، في الكتاب والسنة [4] .

فإن قلت : حد لي هؤلاء الأطباء بالأوصاف التي يعرفون بها ، وحلهم بالحلى التي يمتازون بها، لأن الدعوى قد كثرت في هذه الوراثة حتى أشكل الأمر، والتعرض لعلاج من لا يعرف أمره ، تغرير منهي عنه .

فالجواب: أن المقصود الأعظم من الشريعة هو تطهير النفس من كدرات متعلقات الجسم ، بالتزكية عن الأوصاف الذميمة ، والتحلية بالأوصاف الحميدة ، حتى تصل إلى معرفة الله تعالى . وهذا لا يكون إلا بعد معرفة النفس ومعرفة عللها على اختلاف [5] المفرد من ذلك والمركب ، ومعرفة الأدوية والأغذية ، وما يختص بزوال كل علة مركبة أو مفردة من تلك الأدوية والأغذية. ولا يحكم ذلك إلا الرباني الذي نور الله [6] باطنه بأنوار معرفته ،وخصه بآثار حكمته ، وأطلعه على أسرار الشريعة [7] ، ووقفه على معاني الكتاب والسنة .ولا يكون ذلك إلا ممن سلك مقامات [1]

---

1 – ب : بهديه .

2 – ج : عند – وكذا في د . لكنها صححت في هامشها ب : عهد .

3 – حديث صحيح ثابت مستفيض عن جماعة من الصحابة . أخرجه الشيخان من حديث معاوية بن أبي سفيان ، ومن حديث المغيرة – انظر : البخاري – ح : 3641 . مسلم : ح 171 _ 1921) . وأخرجه مسلم من حديث ثوبان مولى رسول الله ρ . ح : 170 (1920) . أما هذه الطائفة، فقال البخاري : هم أهل العلم . وقال أحمد : إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم . وقال النووي : يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين ، منهم شجعان مقاتلون ، ومنهم فقهاء، ومنهم محدثون ، ومنهم زهاد ، وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر . ومنهم أهل أنواع أخرى من= الخير ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين . بل قد يكونون متفرقين في أقطار الأرض . شرح صحيح مسلم: 57/13 – 58 .

4 – د : زيادة : والإجماع .

5 – ب ، ج ، د : اختلافها .

6 – ج، د: زيادة : ظاهره و.

7 – يقصد بالشريعة في الاصطلاح الصوفي عادة : الرسوم والأحكام الظاهرية للدين في العبادات والمعاملات . ولذلك ولذلك توظف – كمصطلح – في مقابل : " الحقيقة " . وهما يدخلان في إطار الثنائيات الضدية التي سبقت الإشارة

[1] الدين ، وقطع منازل السالكين، وتخلص من نفسه على يدي وارث آخر حتى صار على بينة من ربه ، وأهله الله لهداية غيره ، وخصه بالقوة المقتضية ذلك ، وحصل له الإذن الصحيح الصريح في ذلك من قدوته.ومهما قصر عن هذه الأوصاف، فإنه معلول يحتاج إلى طبيب يطبه . وبما بقي فيه من البقية لا يخلو عن غلط.فقد عرفت الطبيب ، وهو|4| الوارث الكامل . وقد يسمى وارثا من حصل على بعض الأوصاف المذكورة بنوع من المجاز ، لكن منفعته مقصورة على نفسه . وقد ينتفع به في القليل الخاص ، وأما الانتفاع العام الكثير ، فلا يكون إلا من الوارث الكامل الذي رسخ علمه ، وقوي عقله ، وتطهرت نفسه ، وصدقت فراسته [2] ، وترجح رأيه ، وسلمت فطنته ، وامتحى هواه ، وانشرح صدره بأنوار المعارف ونفحات الأسرار ، وأخذ عن شيخ [3] وارث بهذه الصفات ، وأذن له في الانتصاب لهداية الخلق بتخليص أنفسهم من عللها . وهذه هي الوارثة الحقيقية فعليك باتخاذ من هو بهذه الأوصاف قدوة ووسيلة إلى الله تعالى في خلاص نفسك وطهارتها . ولتملكه زمام الحكم عليها

إليها قبل : " فالشريعة التزام بالعبودية ، والحقيقة مشاهد الربوبية . فالشريعة قيام بما أمر ، والحقيقة شهود لما قضى وقدر، وأخفى وأظهر " . الرسالة القشيرية – ص : 46 . وانظر : معراج التشوف – ص : 59 .

1 – يقول الجرجاني : " المقام عبارة عن ما يتوصل إليه بنوع تصرف ، ويتحقق به بضرب تطلب ومقاساة تكلف ، فمقام كل أحد موضع إقامته عند ذلك " – التعريفات – ص : 242 . وشرطه كما يرى القشيري : " أن لا يرتقي من مقام إلى آخر ما لم يستوف أحكام ذلك المقام . فإن من لا قناعة له لا يصح له التوكل ومن لا توكل له لا يصح له التسليم ... الخ . الرسالة – ص : 34 . ويرى الغزالي : " أن المقام هو الذي يقوم به العبد في الأوقات من أنواع المعاملات وصنوف المجاهدات . فمتى أقيم العبد بشيء منها على التمام والكمال فهو مقامه ، حتى ينقل منه إلى غيره . الإملاء – ص : 18 . وانظر : اللمع – ص : 411 .اصطلاحات الصوفية – ص:87. والفرق بين المقامات = = والأحوال : " أن المقامات تكون في الأول أحوالا حيث لم يتمكن المريد منها ، لأنها تتحوصل ، ثم تصير مقامات بعد التمكين ، كالتوبة مثلا تحصل ثم تنقص حتى تصير مقاما ، وهي التوبة النصوح . وهكذا بقية المقامات " . معراج التشوف – ص : 42 .

2 – يقول الجرجاني : " الفراسة في اللغة : التثبت والنظر . وفي اصطلاح أهل الحقيقة : مكاشفة اليقين ومعاينة الغيب " . التعريفات – ص : 172 .

3 – الشيخ اصطلاحا : " الإنسان الكامل في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة ، البالغ إلى حد التكميل فيها ، لعلمه بآفات النفوس وأمراضها وأدوائها ، ومعرفته بدوائها ، وقدرته على شفائها ، والقيام بهداها إن استعدت ووفقت لاهتدائها " . اصطلاحات الصوفية – ص : 154 . كشاف اصطلاحات الفنون : 95/4 . معجم المصطلحات الصوفية – ص : 106 .

من غير [ارتياب] [1] ولا التواء ولا إعراض، بل تكون بين يديه كالميت بين يدي غاسله [2] . وقد قالوا: من قال لشيخه لِمَ ؟ ، فإنه لم [3] ينتفع به [4].

و قد علمنا الله هذه الفائدة بالإشارة إليها في قصة موسى مع الخضر عليهما السلام [5] .وسأورد الكلام في أحكام المشيخة والتلمذة في الفصل الثاني من باب الجامع إن شاء الله تعالى .وقد جرى لي كلام في هذا المعنى بسيط في الكتاب الذي سميته بـ " أشعة الأنوار ، في الكشف عن ثمرات الأسرار " .

وأما من لم يبلغ هذه المنزلة من الوراثة [6]، ولم يتخلص من تبعات [7] نفسه ، فاشتغاله بصلاح نفسه أولى له وأسلم من فساد الرياسة ، لأنه – لما بقي فيه من العلل – لا يخلو عن شره . وبالشره تتراكم الظلم ، فتغيب الحكم فيكثر الخطأ . وقد ينتفع به في القليل إن سلم من حب الرياسة والانفعال [لها] [8] .فالمتعرض لهداية غيره الهداية المشار إليها بغير علم قل أن تحصل له حقيقة الوارثة ، فهو بما عنده من الشره والجهل هالك مهلك ، ضال مضل . وقد أحسن القائل حيث قال [9] :

< الكامل >

---

1 – في : أ ، ج ، د : ارتياء .

2 – العبارة بلفظها في الرسالة القشيرية – ص: 83 .

3 – ج ، د : لا .

4–النص بلفظه في الرسالة القشيرية بعد حكاية طويلة لأبي عبد الرحمن السلمي مع شيخه أبي سهل الصعلوكي – ص : 165 .

5 – الإشارة هنا إلى الآيات : من 64 إلى 83 من سورة الكهف : [فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما . قال له موسى هل اتبعك على تعلمني مما علمت رشدا ...] الخ . والخضر شخصية تكتسي في الفكر الصوفي بعدا رمزيا هاما في علاقتها بطلب موسى المعرفة . وهي من أكثر الرموز حضورا في الكتابة الصوفية بشكل عام . يقول القاشاني : " الخضر عند الصوفية كناية عن البسط في مقابل إلياس ، وهو كناية عن القبض . أما كون الخضر عليه السلام شخصا إنسانيا باقيا من زمان موسى عليه السلام إلى هذا العهد ، أو روحانيا يتمثل بصورته لمن يرشده ، فغير محقق عندي ، بل قد يتمثل له معناه بالصفة الغالبة عليه ثم يضمحل . وهو روح ذلك الشخص أو روح القدس " . اصطلاحات الصوفية . ص : 160 .

6 – د : الوارثين .

7 – ج ، تبعة .

8 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

9 – ج ، د : يقول .

يا من يبث لغيره تعليمـــه ** هلا لنفسك كان ذا التعليم

لا تنه عن خلق وتاتي مثلـه ** عار عليك إذا فعلت عظيم

وابدأ بنفسك فانهها عن غيها ** فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يسمع إن وعظت ويقتدى ** بالفعل منك وينفع التعليم[1]

وقال غيره:

وكيف تريد أن تدعى حكيما ** وأنت لكل ما تهوي ركوب

ونعبث دائما ظهرا لبطـن ** وترتكب الذنوب ولا تتوب[2]

ومن تعرض لهداية غيره بغير معرفة فهو خائن، ومن طب غيره بغير علم فهو ضامن [3]. إذ بما عنده من الجهل ربما أخرج الأدوية عن موضوعاتها، وعدل بها بها عن مقاديرها ، فساق المريض إلى الهلكة ، وعالجه [4] بالمنية .

فإن قلت : فإن لم أعثر على وارث كامل، واجتهدت في طلبه فلم أقع عليه . فكيف يكون العمل ؟

فالجواب : أن العمل في خلاص نفسك يكون بالاعتصام بالكتاب والسنة ، وهدي السلف الصالح ، والاجتهاد بالمجاهدة [5] على حصول الإخلاص والتزام الصمت ، والانفراد عن الناس ، واستخارة الله تعالى في جميع الأمور ، واتهام النفس في جميع إشاراتها ، ومعاملتها بالمخالفة فيما يجهل أصله ، ومشاورة ذوي العقول

---

1 –أبيات مشهورة تنسب لعلي بن أبي طالب ، وللحسن البصري ، ولعبد الواحد بن زيد ، ولأبي العتاهية ...

2 – البيتان مشهوران وينتسبان لأبي محمد الجريري . الرسالة ص : 251 .

3 – الضمن والضمان والضمنة والضمانة ، هي الزمانة والعاهة في الجسد ، ورجل ضمن وضامن : مريض . (اللسان / ضمن) والتعبير مقتبس من حديث أورده المكي في القوت : " من تطبب ولم يعلم منه طلب فقتل فهو ضامن " أي مهلك (147/1) .

4 – ب ، د : عاجله .

5 – المجاهدة اصطلاحا : حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى على كل حال " – معجم المصطلحات الصوفية – ص : 155 . وقال التهانوي : " المجاهدة مجاهدة النفس والشيطان... والمجاهدة صدق الافتقار إلى الله تعالى بالانقطاع عن كل ما سواه " . كشاف اصطلاحات الفنون – ص: 280 . وأيضا : الرسالة القشيرية – ص : 52 . معراج التشوف – ص : 34 .

المائلين إلى الاعتدال ، مع ملازمة النظر و[التثبت] [1] والحزم ، وإن عثرت على أخ صالح تقي فواصله في الله ، |5| وفاوضه فيما أشكل ، و اعتضد بمناصحته على دفع الهوى [2]. ولا تمل عن الدعاء والضراعة إلى الله تعالى في صلاح الحال وسداد الأعمال .

فـصـــــــــل

والناس في اتخاذ [مشايخ التربية] [3] والأخذ عنهم طائفتان :

* طائفة : قنعت بالتزام الخير جملة من غير تفصيل ، مصطلحين مع أنفسهم على حفظ الحدود . لم يتجردوا (لخلاصها) [4] مما وراء ذلك ، فهؤلاء لا بأس أن يضرب لهم بسهم في النصيحة العامة ، فيدلوا على ما يواصلون به حفظ الحدود، من غير أن ينصب عليهم ميزان المحاسبة [5] ، ولا يضيق عليهم بالمناقشة فيما سوى سوى الحدود ، من أداء واجب وترك حرام ، مع التزام السنن الثابتة ، وشيء من نوافل الخير على وجه التوسل للتوصل إلى الأجر والثواب . وهؤلاء هم الأكثرون.

وطائفة : شدوا حيازيم [6] العزم وقاموا على قدم الجد في طلب الخلاص التام التام من جميع علل النفس ، قاصدين معرفة الله تعالى بطهارة أنفسهم ، وتصفيتها بالسلوك على طريق أهل الاختصاص ، الذين استجابوا لله تعالى حين نادى بهم

---

1 – في : أ ، ب : التثبيت .

2 – يقول القاشاني : " الهوى هو ميل النفس إلى مقتضيات الطبع ، والإعراض عن الجهة العلوية بالتوجه إلى الجهة السفلية " . اصطلاحات الصوفية – ص : 46 . وانظر : كشاف اصطلاحات الفنون : 5/2 . معجم المصطلحات الصوفية – ص : 179 .

3 – في الأصل : المشايخ والتربية .

4 – ج : بخلاصها .

5 – المحاسبة : " عتاب النفس على تضييع الأنفاس في غير أنواع الطاعات . وتكون آخر النهار ، كما أن أن المشارطة تكون أول النهار... فالمشارطة أولا ، والحاسبة آخرا . والمراقبة دائما مادام في السير " (معراج التشوف ص : 30) .

6 – الحيازيم جمع حيزوم ، وهو الصدر ، أو وسطه . (اللسان / حزم) وشد الحيازيم كناية عن التشمر والاستعداد للأمر .

مناذي التخصيص إلى حضرة المقربين . وما اقل هذه الطائفة و أعزها [1] اليوم في الوجود .

لكن إذا هيأ الله تعالى [2] واحدا منهم وتعرض إلى شيخ وارث قدوة رباني ، قاصدا معاناة نفسه من أمراضها ، وطبها من عللها ، وتصفيتها من كدراتها ، وتخليصها من رق هواها ، والاهتداء بذلك إلى معرفة الواحد الحق ، فينبغي للقدوة أن يلحظه بعين الرعاية، ويعطف عليه بإطناب القبول ، ثم يتأمله بنور الكشف [3] . فإن وجد فيه قابلية اختصاصية تعرب عن الأهلية ، بادر إلى معاناته ، وأخذ في إرشاده ، فيرتب أحواله وتصاريفه ، ويلقى إليه ما يناسبه من الأذكار والمقاصد ، وما يوافقه من الحكم والفوائد ، ويهديه إلى ما يخصه من وظائف الدين ، ويرشده إلى الطريق (المبين) [4] ، وينصب عليه ميزان المحاسبة والمناقشة على قدر حاله وقوته وتمكينه [5] ، ويسلك فيه مسلك التدريج شيئا فشيئا ، ويستطيع ما يخلق الله تعالى عنده ، وما وما يفتح له فيه من جنبات تصاريفه وأنفاسه، وحركاته وسكناته ، من يقظته ونومه .حتى إذا أعطى كل ذكر حقه ، ولاحت عليه ثمرته ، وارتقى من منزل إلى منزل ، وصعد من مقام إلى مقام ، حتى بلغ الغاية من تصفية نفسه ووصل إلى النهاية من طهارتها ، وظفر بمعرفة ربه ، ولاحت له أنوار الحقائق من جنبات عرصات ثمرات أسرار التوحيد ، حتى لو كشف الغطا لم يزدد يقينا ، فعند ذلك ملَّكه القدوةُ زمامَ نفسه

---

1 –ب ، ج ، د : أغربها .

2 – ج : زيادة : بطهارة أنفسهم .

3 – الكشف : " بيان ما يستتر على الفهم ، فيكشف عنه للعبد كأنه رأي عين . . قال أبو محمد الجريري : من لم يعمل فيما بينه وبين الله تعالى التقوى والمراقبة لم يصل إلى الكشف والمشاهدة . وقال النوري رحمه الل ه: مكاشفات العيون بالأبصار ، ومكاشفات القلوب بالاتصال " . اللمع – ص : 422 . معجم المصطلحات الصوفية – ص : 147 .

4 – ج : المنير .

5 – يرى القشيري أن التمكين : " صفة أهل الحقائق . وصاحب التمكين وصل ثم اتصل . قال بعض المشايخ : انتهى سفر الطالبين والظفر بنفوسهم ، فإذا ظفروا بنفوسهم فقد وصلوا .يريد به انخناس أحكام البشرية واستيلاء سلطان الحقيقة . فإذا أدام العبد هذه الحالة ، فهو صاحب تمكين " – الرسالة : ص 44 . وقد وظف الساحلي هنا مصطلح التمكين للدلالة على المرحلة الوسطى في سلوك المريد نحو حضرة الحق بعد البداية وقبل النهاية ، مشيرا بذلك إلى استقرار حاله وتمكنه من مقامه .== يقول التهانوي : " التمكين إذا استقر حال المشاهدة دام محو الحدث وإثبات القدم . وتسمى هذه الحالة تمكينا لدوام الوجدان " . كشاف اصطلاحات الفنون : 163/3 . وانظر أيضا : العوارف – ص : 333 . معجم المصطلحات الصوفية – ص : 63 .

، وأمَّنه على حفظ سره [1] ، وأعلمه أنه على بينة من ربه [2].فإن كان ممن أهله الله تعالى الهداية غيره ، أذن له في ذلك ، وإلا قصر نظره على نفسه .وينبغي للتلميذ في سلوكه أن لا يتهم قدوته في شيء ، وأن لا يكتم عنه شيئا مما قل أو جل ، وأن يضيف الكمال له ، ويبالغ في تعظيمه وتوقيره ، ومراعاة إشارته، والإهتبال – بملازمة الأدب معه – إلى امتثال أمره ونهيه . والله هو الفتاح العليم .

البـــــاب الأول

في الذكر وبيانه باعتبار العامة والخاصـة

1 – حفظ السر وحفظ العهد : " الوقوف عند ما حده الله تعالى لعباده ، فلا يفقد حيث ما أمر ، ولا يوجد حيث ما نهى " . اصطلاحات الصوفية – ص : 59 . معجم المصطلحات الصوفية – ص : 75 .

2 – من لفظ الآية : 17 / من سورة هود : " أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ... " (أيضا : هود / 28 – هود / 63 – هود / 88 – محمد / 14 – الأنعام / 57 .

اعلم سقاني الله وإياك من كأس الصفا [1] . ولا عدل بي وبك عن مناهج [2] أهل الوفا ، أن أفضل ما يتقرب به إلى الله تعالى هو طريق الذكر . وهو أجل الوسائل إلى المعرفة [به] [3] . قال تعالى : ولذكر الله أكبر [4] .

والذكر يقرب إلى الله تعالى . قال سبحانه : فاذكروني أذكركم [5] .والذكر ينيل المغفرة |6| والأجر . قال ﷻ [والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما] [6] .

والذكر مطلوب الإكثار منه . قال عز من قائل : [ياأيها الذينأمنوااذكروا الله ذكرا كثيرا] [7].ولا شيء أبلغ في ذم الغافل عن الذكر ، من قوله تعالى: [ومن يعش عن ذكر الرحمن ، نقيض له شيطانا فهو له قرين. وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون] [8] .ولم يرخص لأحد في ترك الذكر على حال ، من قعود وقيام ، وعلى جنب ، وغير ذلك . خرج أبو داود عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله ρ : " ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها في درجاتكم ، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم [9] فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : وما ذاك [10] يارسول الله

---

1 – الصفاء : " ما خلص من ممازجة الطبع ورؤية الفعل من الحقائق في الحين... قال ابن عطاء : لا تغتر بصفاء العبودية ، فإن فيها نسيان الربوبية ، لأنها ممازجة الطبع ورؤية الفعل ... وأما صفاء الصفاء فهو مزايلة الأحوال والمقامات والدخول إلى النهايات ، وإبانة الأسرار عن المحدثات ، لمشاهدة الحق بالحق على الاتصال بلا علة " . اللمع – ص : 414 .

2 – ب : منهاج .

3 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

4 – سورة : العنكبوت / الآية 45 .

5 –سورة البقرة / الآية 152 .

6 –سورة الأحزاب / الآية 41 .

7 – سورة الأحزاب / الآية 41 .

8 –سورة الزخرف / الآية 36 .

9 – ج : أعداءكم .

10 ب ، ج : ذلك .

؟ قال : ذكر الله [1].وخرج أيضا أبو داود والترمذي وابن أبي شيبة عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ρ : ما عمل (آدمي)[2] عملا أنجى له من (عذاب) [3] النار من ذكر الله . قالوا : يارسول الله : ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد في سبيل الله (إلا أن) [4] تضرب بسيفك حتى ينقطع (ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع) [5] . وخرج النسائي والترمذي عن أبي سعيد الخدري[6] أن رسول الله ρ سئل : " أي (العباد) [7] أفضل درجة عند الله يوم القيامة ؟ " قال : " الذاكرون الله كثيرا ". قال : " قلت : ومن الغازي في سبيل الله " ؟ قال : " لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر و يختضب [8] دما ، لكان الذاكرون الله (كثيرا) [9] أفضل درجة منه " [10].

وخرج الترمذي والنسائي وابن أبي شيبة عن عبد الله بن بشر أن أعرابيا قال لرسول الله ρ : يارسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت فأنبئني بأمر أتشبث به . قال

---

1 - أخرجه أحمد : ح 21696 . والترمذي : ح 3437 من حديث أبي الدرداء . وقال الهيثمي : رواه أحمد ، وإسناده حسن : مجمع الوائد : 10 /73 .

2 - ب ، ج ، د : بان آدم .

3 -ساقط من : ب ، ج ، د .

4 - ساقط من : ب ، ج ، د .

5 -ساقط برمته من ج . والحديث رواه الترمذي : ح 3437 . وابن أبي شيبة : 455/13 . والطبراني في المعجم الصغير : 77/1 . قال الهيثمي : رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح . مجمع الزوائد : 73/10 .

6-أبوسعيد الخدري : سعيدبن مالك بن سنان بن ثعلبة بن عبيد الأنصاري ، صاحب رسول الله ρ ، من فضلاء الصحابة بالمدينة . روى الكثير عن النبي ﷺ ، وعن أبي بكر وعمر. وعنه ابن عباس وزيد بن ثابت وجابر بن عبد الله وسعيد بن المسيب ، وخلق كثير . شهد الخندق وما بعدها. توفي سنة 74 هجرية . طبقات خليفة. ص: 96 . التاريخ لابن معين : 2/ 193 . حلية الأولياء : 1/ 369 . الاستيعاب : 2/ 602 . تاريخ بغداد : 1/ 180 . أسد الغابة : 2/ 289 . البداية والنهاية : 9/ 3 . الإصابة : 2/ 35 . اللباب في تهذيب الأنساب : 1/ 349 ...) .

7 - ج : الأعمال .

8 - ج : ينخضب .

9 - ساقط من : ب ، ج .

10 - أخرجه الترمذي في الجامع : ح 3436 . وقال : هذا حديث غريب . والبغوي في شرح السنة : 17/5 . ومالك في الموطأ : 211/1 . ح 23 .

: لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله [1] إلى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة من الدليل على شرف الذكر وفضله ، ورفيع درجته . ولذلك جعله أهل المعرفة وسيلة إلى الله تعالى ، فلازموه وحافظوا عليه .

فإن قلت : لم كانت أعمال البر كلها دون الجهاد ، وكان الجهاد وسائر أعمال البر دون الذكر ؟ فالجواب : إن أعمال البر كلها إنما مقصودها الأعظم تصفية النفس وتطهيرها باتلافها عن مأ لوفاتها ، وإخراجها عن هواها حتى تلحق بعالمها ، خلية عن الالتفات إلى شيء من متعلقاتها . فما كان من الأعمال أقرب لهذا المعنى وأعون عليه ، فهو أفضل . مع أن علل النفس منها ما يظهر لأول تأمل ، ومنها ما هو أخفى من دبيب النمل . وأعمال البر مسلطة على محو هذه العلل ، وذهاب آثارها بطهارة النفس .

لكن أعمال البر متفاضلة في أحكام هذه الطهارة ، منها ما يذهب من العلل ما ظهر دون ما خفي ، ومنها ما يذهب الظاهر والخفي دون الأثر ، ومنها ما يذهب الظاهر والخفي وأثرهما ، حتى تعود النفس إلى نهاية صفائها ، مطمئنة بربها [2].

ولا شك أن الجهاد الحقيقي [3] مؤذن باتلاف النفس عن مألوفها [4]، وإخراجها وإخراجها عن عالم الحس [5] إلى عالم الغيب [1] . لكن لا يعرى ذلك عن العلل الخفية

---

1 – رواه من حديث عبد الله بن بسر : الترمذي في الجامع : ح 3435 . وقال : حديث حسن غريب من هذا الوجه الوجه . وابن ماجة : ح 3793 . والبيهقي : 371/3 .

2 – إشارة إلى الآية 27 / من سورة الفجر : [يأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية ، فادخلي في عبادي وادخلي جنتي] .

3 – ب : الخفي .

4 – ذ : مألوفاتها .

5 – يقول ابن عجيبة : " الحس عبارة عن تكثيف الأشياء ظاهرا . والمعنى : عبارة عن تلطيفها باطنا . فحس الكائنات الكائنات أواني حاملة للمعاني . قال الشسشتري رضي الله عنه : لا تنظر للأواني ، وخض بحر المعاني ، لعلك تراني . فمثال الكون كالثلجة ، ظاهرها ثلج وباطنها ماء . كذلك الكون ظاهره حس وباطنه معنى . والمعنى : هي أسرار الذات القائمة بالأشياء . فقد سرت المعاني في الأواني سريان الماء في الثلجة . فلا قيام للحس إلا بالمعنى . ولا ظهور للمعنى إلا بالحس . فالمعنى رقيقة لطيفة لا تدرك إلا بتحسسها في قوالب الكائنات ، فظهور المعنى بلا حس محال . وشهود الحس بلا معنى جهل وظلمة " . معراج التشوف – ص : 51 . وانظر أيضا : اللمع – ص : 424 . معجم المصطلحات الصوفية – ص : 75 .

المعربة بالإبقاء على النفس بعض أوهامها . والنفس تتحمل المشاق العظام ، مع الإبقاء عليها ولو بعض أوهامها

وبهذه العبرة [2] ، قصر الجهاد عن الالتحاق بفضيلة الذكر ، لأن الذكر إذا استعمل على طريقه المعروف ، ومهيعه المألوف [7] ، مبنيا على قواعد الشرع ، محفوظا من خطوات الزيغ ، فإنه لا يدع من علل النفس شاذة ولا فاذة ولا أثرا إلا أتى على ذلك بالذهاب ، حتى تبلغ النفس غاية طهارتها ، ولا يبقى عندها التفات إلى غير الله تعالى . كل ذلك عن علم وذوق .ولذلك سمي طريق الذكر [الموذن] [3] بخلاص النفس جهادا أكبر، وسمي الضرب بالسيوف والطعن بالرماح. جهادا أصغر [4] ؛ ولما في طريق الذكر من قطع المفاوز والمخاوف التي تخرج النفس عن جميع متعلقات الجسم كخروج الشعرة من العجين ، وليس يدرك ذلك بسائر أعمال البر جهادا أو غيره .

وإن كان من سائر أعمال البر ما يوذن بخلاص النفس وتصفيتها ، [فللذكر] [5] خاصية في ذهاب الآثار . إذ لا يكون تخليص إبريزها من كدرات أوهامها أو أثرها إلا بشحيره الذكر . فظهر لك أن للذكر اختصاصا عجيبا في طهارة النفس الطهارة التامة وتصفيتها التصفية العامة . حتى تصير لها الطهارة صفة ذاتية .

وغير الذكر قد يبقى معه من علل النفس ما هو حجاب [6] عن الله ، وإن كان خفيا .وقد تقنع النفس بذلك الخفي وتتحمل لأجله المشاق ، وتقتحم المضايق من

---

1 – عالم الأمر ، وعالم الملكوت ، وعالم الغيب : هو عالم النفوس والعقول والأرواح والروحانيات . لأنها وجدت بأمر الحق بلا واسطة مادة ومدة كما يقول القاشاني . اصطلاحات الصوفية – ص : 106 . وهو يقابل عادة في اصطلاح الصوفية عالم الشهادة . انظر : معجم المصطلحات الصوفية – ص : 118 .

2 – ج، د : العبارة .

3 – في أ : المأذون .

4 –الإشارة إلى حديث : " مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قيل : يارسول الله وما الجهاد الأكبر ؟ . قال : جهاد النفس " رواه الغزالي في الإحياء : 71/3 .

5 – في : أ ، ب ، ج : فلذلك .

6 – يرى الطوسي أن الحجاب : " حائل يحول بين الشيء المطلوب المقصود ، وبين طالبه وقاصده " . اللمع – ص : 428 . ويرى القاشاني أن الحجاب مصدره انطباع الصور الكونية في القلب المانعة لقبول تجلي الحقائق . اصطلاحات الصوفية – ص : 57 . ويقسم التهانوي الحجاب إلى أنواع ، فهو إما " نوراني ، وهو نور الروح ؛ وإما ظلماني ، وهو ظلمة الجسم والمدركات الباطنة من النفس والعقل . والسر والروح الخفي كل واحد له حجاب . فحجاب

الطاعات راضية بذلك ، لأن إخراجها عن جميع هواها هو البلاء العظيم . لكن وراءه من المعارف الإلهية ، والأسرار القدسية ، والحكم الربانية ، ما تقر به الأعين ، وتنتظم [به] [1] الأفراح ، وتذهب به الأحزان . فلا مخلص [2] من علل النفس إلا بالذكر . وبيان ذلك أن العبد إذا داوم على الذكر حتى انطبع معناه في النفس ، وقام بها ، فإن النفس تنقلب إلى مقتضى الذكر ، متصفة بمعناه .وإن كانت الأذكار مختلفة المعاني ، فلكل ذكر اختصاص بصفة حميدة فأكثر تتحلى بها النفس [و تتزكى عن أضدادها . فلا تزال الأذكار نصفي النفس من كدراتها ، وتخلصها من عللها ، حتى تطمئن لخالقها] [3] فلا تجد أنسا بغيره . قال الله تعالى [يأأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي] [4] .

وليس المراد من الذكر هنا دورانه على اللسان فقط ، لكن المراد منه تلمح معناه بعين الفكر حتى ينطبع معناه في النفس ، فتتحلى به و تتصف [5] لمقتضاه اتصافا ذاتيا أو كالذاتي. وقد نبسط الكلام في هذا المعنى بعد بحول الله تعالى ، حتى يظهر لك بالبرهان أن الذكر يجرد النفس عن كل خلق ذميم ، ويحليها بكل خلق حميد . وهذا أمر يصعب على النفوس مذاقه ، لأنه موتها الأعظم ، لخروجها به عن مألوفاتها الجسمانية ، ورجوعها إلى عالمها الروحاني . ولذلك عظم أمر (النفس) [6] وإن كان (أيسر) [7]. وهذا كلام جملي، وسياتي تفصيله وبيانه بأبسط من هذا في]

النفس الشهوات واللذات والأهوية . وحجاب القلب الملاحظة في غير الحق . وحجاب العقل وقوفه مع المعاني المعقولة . وحجاب السر الوقوف مع الأسرار . وحجاب الروح المكاشفة " . كشاف اصطلاحات الفنون : 9/2 . معجم المصطلحات الصوفية – ص : 73 .

1 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

2 – ب ، ج ، د : يخلص .

3 – ساقط برمته من الأصل .

4 –الفجر / 27– 30 .

5 – ج ، د : يتصف .

6 – ب ، ج ، د : الموت .

7 – ج : أسير .

أثناء] [1] الكلام على المقامات إن شاء الله تعالى . فتبين لك بما قررته أن الذكر أفضل ما يتقرب به إلى الله تعالى .

فـصـــــــــل

فإن قلت : قد ثبت بما قلت أن الذكر أفضل أعمال البر ، فهل القرآن الكريم [2] من قبيل هذا الذكر الذي أشرت إليه حتى تتنسم روائح ما ذكرته من معناه ، أو هو غيره ؟ . فإن [3] كان غيره ، فهل تلاوته افضل من الذكر، أو العكس ، أو هما سيان ؟

فالجواب عن ذلك أن هذه المسألة ربما أشكلت على كثير من الناس ، حتى أن الخلاف جار بينهم في المفاضلة بين الذكر والصلاة ، وبين الذكر والتلاوة ، وبين الذكر والفكر ، إلى غير ذلك من سائر الأعمال . وأنا أبسط هذه المسألة بما يخلق الله تعالى عندي، بسطا أرجو الله أن لا يدع إشكالا ولا يبقى جدالا .

فاعلم أن الذكر لغة هو ضد النسيان ، وحقيقته من الشرع هي قيام معنى التوحيد في النفس حتى يصير صفة لها ، لا تغفل عنه . وهذه الحقيقة هي المطلوب من جميع العباد . ثم هذه الحقيقة قد يقوى قيام **|8|** معناها في النفس ، وقد يضعف بحسب الوسائل التي تمدها ، وبحسب البداية [4] والنهاية .

أما في البداية حين يعتور [5] الاتصاف بحقيقة الذكر على النفس وقتا دون وقت ، فالحقيقة إذ ذاك تستمد من الوسائل .

وأما في النهاية حين تثبت حقيقة الذكر في النفس وتقوم صفة بها لا تنفك عنه ، فإذ ذاك تستمد الوسائل من الحقيقة .

---

1 –في أ : إثر .

2 ج : العظيم .

3 – ج ، د : وإن .

4 – يعبر الساحلي هنا بالبداية عن المرحلة الأولى من مراحل سلوك المريد نحو حضرة الحق ، وهي ثلاثة كما هو مذكور : البداية والتمكين والنهاية . يقول في ذلك التهانوي : " البداية هي التحقق بالأسماء والصفات ، وهو البرزخ الأول من برازخ الإنسان " . كشاف اصطلاحات الفنون : 15/1. معجم المصطلحات الصوفية – ص : 53 .

5 –اعتوروا الشيءَ وتعوروه وتعاوروه : تداولوه فيما بينهم . (اللسان / عور) .

والوسائل التي تستمد منها هذه الحقيقة تختلف ، فمنها الباطن ، ومنها الظاهر ، ومنها القريب ، ومنها البعيد .

أما [الباطنة] [1] فكأعمال الفكر فيما يحرك النفس للاتصاف بتلك الحقيقة من حكم الموجودات ، ونحو ذلك . فمنه القريب ومنه البعيد .

وأما [الظاهرة] [2] فكأعمال الجوارح أو بعضها فيما يحرك الفكر ، لما يحرك النفس للاتصاف بتلك الحقيقة من أعمال الطاعات كحركة [3] اللسان باسم من أسماء الله ، أو صفة من صفاته ، أو غير ذلك مما (يجر) [4] إلى اتصاف النفس بتلك الحقيقة من قريب أو بعيد. وكحركة [5] سائر الجوارح بصلاة [6] أو جهاد أو صدقة أو أو غير ذلك ، مما يجره [7] إلـى

اتصاف النفس [بتلك الحقيقة] [8] من قريب أو بعيد .

فإذا تأملت هذا ، وجدت الوسائل الباطنة والظاهرة منها ما هو وسيلة بنفسه ، ومنها ما هو وسيلة إلى الوسيلة . فإذا تقرر هذا فالقرآن العظيم من جملة الوسائل التي تجر النفس إلى اتصافها بحقيقة الذكر ، ولذلك سميت الوسائل بحقيقة الذكر ذكرا بنوع من المجاز ، والعرب تسمي الشيء باسم الشيء إذا كان منه بسبب . وما [9] كان كان من هذه الوسائل أقرب للحقيقة ، فهو افضل .ثم ، إن كنت أشرت إلى المفاضلة بين التلاوة وبين حقيقة الذكر ، فهذا مما لا يتصور [10] المفاضلة فيه ، كالأصل وفروعه ، والمسبب وأسبابه ، والمتوسل إليه ووسائله .

---

1 –في الأصل : الباطن .

2 – في الأصل : الظاهر .

3 – ب : كحركات .

4 – ب : يحرك الجوارح .

5 – ب : حركات .

6 – ج ، د : لصلاة .

7 – ج ، د : يجر (بإسقاط الهاء) .

8 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

9 ب ، ج ، د : فما .

10 – ج ، د : تتصور .

وإن كنت أشرت إلى المفاضلة بين بعض الوسائل وبعض ، كحركة اللسان بالتلاوة ، أو كجركته [1] باسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته ونحو ذلك ، فاعلم أن القرآن الكريم يشمل اسم الذكر ، في قوله تعالى : [إنا نحن نزلنا الذكر][2] . وهو مشتمل على ما هو وسيلة إلى قيام حقيقة الذكر بالنفس ، وما هو وسيلة إلى الوسيلة .

فليس تلاوة الأسماء والصفات ونحوها كتلاوة الأمر والنهي ، وليس تلاوة الأمر والنهي كتلاوة القصص والأخبار ، في سرعة انفعال النفس بالاتصاف [3] بحقيقة الذكر .

فإذا تقرر هذا ، [فالكلام] [4] في المفاضلة بين حركة اللسان بالتلاوة ، وحركته باسم من أسماء الله ، أو صفة من صفاته ، ونحو ذلك ، يكون على الجملة والتفصيل :

– أما [على] [5] الجملة فتلاوة القرآن افضل ، لاشتماله على الأسماء والصفات وغير وغير ذلك من المواعظ والقصص والأخبار والأحكام .

– وأما على التفصيل ، فالناس باعتبار ذلك على قسمين : عامة وخاصة :

+ أما العامة ، فثلاثة أصناف :

1 – صنف قائم على تلاوة القرآن بعد أن تعلمه ، قاصدا ما وعد الله في ذلك من الأجر لكل حرف عشر حسنات . فهذا ثابت الأجر ، رابح التجر .

2–وصنف قائم على تلاوة القرآن تعلما (مجاهدا نفسه) [6] لعله يدرك بذلك بركة [أهل] [7] القرآن فهذا له (أجر) [1] الأول ، وزيادة أجر النصب والتعب .

---

1 – ب : حركته .

2 – ج، د : زيادة : وإنا له لحافظون – والآية من سورة الحجر / الآية 9 .

3 –ج ، د : للاتصاف .

4 – في أ : فالحكم .

5 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

6 – ب : مجتهدا بنفسه – ج ، د : مجهدا نفسه .

7 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

3- وصنف قائم على تلاوته ، ترتيلا وتدبرا، ليجني (ثمار) [2]معانيه (فيعمل بها ، ويعلمها غيره . فهذا افضل من الأول والثاني)[3] وكلهم له أجر حركة اللسان بالأسماء والصفات ، ونحو ذلك وزيادة .

وهؤلاء الأصناف الثلاثة هم الذين يعاملون الله تعالى ابتغاء أجره وثوابه

+ وأما الخاصة فعلى قسمين : أهل بداية وأهل نهاية

1) أما أهل البداية ، وهم الذين أخذوا في تخليص أنفسهم من شوائب الأهوية، وتطهيرها من دنس الشهوات بطبها من علل متعلقاتها **[9]** مجاهدة على سبيل الرياضة [4] تربية وتدريجا وسلوكا على طريق التزكية والتحلية بذكر الله الذي تطمئن به القلوب .

ولما كان سر القرآن ولبابه ومقصده ، دعوة الخلق إلى المعرفة بالله تعالى ،إذكل ما اشتمل عليه القرآن من التعريفات كالتعريف بالله ، والتعريف بصفاته، والتعريف (بأفعاله)، والتعريف بطريق السلوك إليه، والتعريف بوعده ووعيده ، والتعريف بأهل التخصيص كالأنبياء والملائكة والأولياء، والتعريف بأهل المقت كإبليس وجنوده من الجن والإنس، والتعريف بالأحكام التي _(طوقها عباده) [5]، كل ذلك تعريفات تحرك النفس إلى الاتصاف بمعنى التوحيد الجاذب إلى (معنى المعرفة الحقيقية) [6] .

---

1 - ج ، د : الأجر .

2 - ب : ثمرات .

3 - ساقط برمته من ج .

4 - يرى الغزالي أن " الرياضة اثنتان : رياضة الأدب وهو الخروج عن طبع النفس ، ورياضة الطلب وهو صحة المراد " الإملاء في إشكالات الإحياء - ص : 19 . وقال الجرجاني إن الرياضة عبارة عن : " تهذيب الأخلاق النفسية ، فإن تهذيبَها تمحيصُها عن خلطات الطبع ونزعاته " . التعريفات - ص : 119 . وأيضا : معجم المصطلحات الصوفية - ص : 93 .

5 - ج : طرفها عبادة .

6 - ج ، د : المعرفة الحقيقة .

وهذه التعريفات من جملة وسائل حقيقة الذكر ، لكن منها ما هو وسيلة بنفسه، ومنها ما هو وسيلة إلى الوسيلة كما تقدم ، ومنها هو وسيلة بالنص، ومنها ما هو وسيلة بالمفهوم .

فمعرفة النفس بالله ، هو القطب الذي عليه مدار أفلاك جميع الوسائل القرآنية وغيرها، وهو أقصى (أمل) [1]السالكين المسافرين إلى الله تعالى، كان الأولى بأهل البداية دوران اقرب الوسائل على ألسنتهم، مداومة بالتكرار، ليسرع التاثير في قيام حقيقة الذكر [بالنفس] [2] ،ويقرب المرام في رسوخ حقيقة الذكر في النفس ؛ لأن النفس ما لم تشرف على بحبوحة الخلاص ولا شربت من عين الصفا ، ولا تطهرت من جميع الكدرات ، فإنها بما خامرها [3] من الأوهام ، وداخلها من الأسقام ، لا تجيب (دواعي) [4] وسائل الذكر لأول وهلة لتوالي خطرات الأهوية عليها .

فإذا أردنا خلاص النفس من عللها ، وطهارتها من أوهامها (بالطريقة)[5] الذوقية والتربية الحكمية ، فالعمل في ذلك أن ينظر الأهم فالأهم من علل النفس ، ثم ينظر أخص وسائل الذكر وأقربها اقتضاء للمعنى الذي يذهب تلك العلة وينفيها عن النفس، فنامره بالمداومة عليه نطقا باللسان ، وتدبرا لمعناه بالفكر . فلا يزال كذلك حتى يقوم معنى ذلك الذكر بالنفس . ويرسخ فيها رسوخا ثابتا ، بحيث لا يمكن معه ورود تلك العلة على النفس أصلا . ثم كذلك في سائر علل النفس، يسلط على كل نوع منها ما يختص معناه بذهابه من أنواع الذكر ، حتى يعود مكان أنس النفس بما قد أذهب الذكر عنها من عللها وحشة، ومكان القبول نفرة.

وقد علمت أن العلاج إنما يكون بالضد، فإذا أردنا مثلا علاج (نفس) [6] من من علة الأمن التي تجر إلى الاسترسال في المعاصي ، أمرناه بملازمة ما يقتضي

---

1 - ج : آمال .

2 في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

3 - أي خالطها وقاربها (اللسان / خمر) .

4 - ج، د : داعي .

5 - ب : بالطريق .

6 - ج : النفس .

معناه الخوف[1] من تلك الوسائل القريبة التأثير في قيام معنى الخوف بالنفس . وذلك موجود في ذكر الاستغفار .

فلا يزال يردد لفظه باللسان ، ويتدبر معناه بالفكر ، حتى يقوم ما تضمنه من الخوف (في النفس) [2] ، ويرسخ فيها رسوخا ثابتا لا يسع معه الأمن . ويستدل على صحة هذا الرسوخ بقيام الظاهر بموجب الخوف . ثم كذلك العمل في سائر علل النفس .

وبحسب تنويع العلة وتركيبها ، يكون تنويع الذكر وتركيبه ، وما قربت الفاظه وبلغ معناه من (الأذكار) [3] كان أنفع؛ وما أسرع لتأثير قيام المعنى المراد بالنفس من الوسائل، كان أولى كالوسائل اللسانية .فظهر لك أن تلاوة القرآن لا توصل إلى هذا المعنى المراد إلا بطول كلفة، لاختلاف ثمراته وتنوع مشاربه،لأنه جامع للمعاني التي تعودبالنفع من جهات مختلفات (لأمور مختلفات) [4] بالطريق العلمي .وقد يندرج مع ذلك من اختلاف الأذواق ما لا يندرج بترداد المعنى الواحد الخاص بالأمر المهم من علل النفس ، لأن النفس في بداية الأمر لكثرة ما علق بها من (عالم) [5] الحس لا يرسخ فيها المعنى المراد [6] لأول وهلة ؛ لا سيما إذا تشعبت عليها عليها المعاني واختلفت عليها المقتضيات ، كالتلاوة **|10|** : فإن الآية تجري على اللسان ، والفكر يتدبر معناها، فلا تلمح النفس ذلك المعنى ، إلا واللسان قد جاوز إلى

---

1 – معلوم أن الفكر الصوفي يتأسس على مجموعة من الثنائيات المتقابلة ، وأحيانا المتضادة ، وفي نفس الوقت المتلازمة مثل : الفناء والبقاء ، الغيب والشهود ، السكر والصحو ، المحو والإثبات ، الحقيقة والشريعة ... الخ . وفي هذا الإطار تدخل ثنائية الرجاء والخوف . إذ غالبا ما يذكر الواحد منهما فيتلوه الآخر ، وهو ما نجده كذلك في بغية السالك بوضوح . فالخوف كما يرى ابن عجيبة : " انزعاج القلب من لحوق مكروه أو فوات مرغوب . وثمرته النهوض إلى الطاعة ، والهروب من المعصية . فإظهار الخوف مع التقصير دعوى . وخوف العامة من العقاب وفوت الثواب . وخوف الخاصة من العقاب وفوت الاقتراب . وخوف خاصة الخاصة من الاحتجاب بعروض سوء الأدب " . معراج التشوف – ص : 27 . وهو أيضا من مقامات السلوك الصوفية . انظر الرسالة القشيرية – ص : 64. معجم المصطلحات الصوفية – ص : 82 .

2 – ب ، ج ، د : بالنفس .

3 – ب : الذكر .

4 – ساقط من ج .

5 –ساقط من ج .

6 – ب ، ج ، د : زيادة : منها .

آية أخرى لها معنى آخر؛ فينتقل الفكر لتدبر معنى ما انتقل إليه اللسان ، ذاهلا عن معنى الآية الأولى؛ فلا تلمح النفس معنى الآية الثانية إلا ومعنى الآية الأولى قد غاب عنها . ثم كذلك في آية ثالثة ورابعة وخامسة ، وأكثر من ذلك وإن بقي في النفس من ذلك أثر ، فإنما هو أثر علمي لا ذوقي .

وربما عسر عليه [الاتصاف بتلك المعاني] [1] الاتصاف المطلوب رسوخه في النفس ، حتى لو أمرنا صاحبَ علة الأمن بالإدمان على التلاوة فمر على آية تقتضي الخوف ، فما هو إلا أن صرف لها وجه الفكر (لتدبر معناها ليرسخ في النفس فتتحلى به) [2] ، وإذا اللسان قد انتقل إلى آية أخرى ربما اقتضت الرجاء ، فينتقل الفكر معه إلى تدبر معنى ما انتقل إليه اللسان ، ثم كذلك .

فمتى يحصل معنى الخوف في النفس قائما راسخا (فيها) [3] ،فينتفي عنها نقيضه مع اختلاف (الآية) [4] واختلاف معانيها ، لأنه إذا قرأ آية تخويف ، استدعى استدعى الفكر النفس إلى معنى الخوف ، [وإذا قرأ آية تأنيس ، استدعى الفكر النفس إلى معنى الأنس] [5] .

وإذا انتقل إلى آية عبرة ، استدعى الفكر النفس إلى معنى الاعتبار فلا يزال ينتقل من نوع إلى نوع ، والمعاني تخطر على النفس خطورا لا يحصل لها مع ذلك الاتصاف بها ، ولا يتأتى رسوخ ذلك فيها بما عندها من الضعف .

وقد تؤثر التلاوة الاتصاف لكن في الزمان الطويل والأمد البعيد ، لأن التأثير إنما يكون بحسب تكرار الموثر ، و الدوام [6] عليه المرة بعد المرة .

فلذلك كان الذكر الواحد أولى بصاحب هذا المقام . ونعني بالأولوية هنا أن يكون الذكر الخاص بذهاب علته هو الغالب عليه في أكثر أوقاته وأزمانه ، مع بقاء حظ من التلاوة وطلب العلم ، وسائر أعمال البر مع الإمكان .

---

1 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

2 – ج : معه إلى تدبير معنى ما انتقل إليه . (كذا) . وفي العبارة ارتباك .

3 – ساقط من : ب ، ج ، د .

4 –ج ، د : الآيات .

5 – ساقط من أ . ومستدرك بهامشها . ووارد كذلك في ب ، ج ، د .

6 – ب ، ج ، د : الدؤوب .

2) وأما أهل النهاية فلهم حالان : حال تمكين وحال نهاية : أما أهل النهاية ، وهم الذين رسخ سر التوحيد في بواطنهم ، فهم يتلمحون [ذلك] [1] السر من جميع ما يتصرفون فيه ، ويصدر عنهم من تلاوة وغير ذلك من سائر وسائل الذكر . لأن الوسائل تستمد من حقيقة الذكر ، وهي قيام سرالتوحيد بالنفس . فجميع وسائل الذكر، عندهم سواء في استثمار ثمرة التوحيد .

وأما أهل التمكين فلهم حالان : حال استغراق وحال صحو [2] :أما حال الاستغراق : فالمداومة على ما يقتضي استصحاب استغراقهم – وهو الذكر الذي أوردهم معناه ذلك المورد – أولى لهم، لشرف أحوال الاستغراق، وما يقتضي من مطالعة الأسرار .وأما حال الصحو : فجميع وسائل الذكر عندهم سواء ، لما حصلوا عليه من رسوخ في معنى التوحيد . وما نالوه من طهارة وزكاء [3] واطمئنان .

فــصــــــــــل

ثم إن الذكر باعتبار الذاكرين على قسمين : ذكر أجور ، وهو ذكر العامة ، وذكر حضور ، وهو ذكر الخاصة .

أما ذكر الأجور ، فهو أن يذكر الإنسان الله تعالى بما شاء من الأذكار ، لا يقصد به إلا نيل ما وعد الله الذاكرين من الأجر وأعد لهم من الثواب ، من غير

---

1 – ساقط من الأصل . ج : في ذلك .

2 – يرى القشيري أن الصحو : " رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة ... والعبد في حال صحوه يشاهد العلم " ، الرسالة – ص : 41 . ويرى السهروردي أنه : " العودة إلى ترتيب الأفعال وتهذيب الأقوال . ومتى عاد كل شيء منه إلى مستقره ، فهو صاح . والصحو للمكاشفين بحقائق الغيوب " . عوارف المعارف – ص : 332 . ويرى الجرجاني أنه : " رجوع العارف إلى الإحساس بعد غيبته وزوال إحساسه " . الجرجاني – ص : 137 . معجم المصطلحات الصوفية – ص : 108 .

3 – الزكاة اصطلاحا : " ترك الدنيا وتطهير النفس من التعلق بالغير " . كشاف اصطلاحات الفنون : 124/3 . معجم المصطلحات الصوفية – ص : 94 .

التفات لما [1] وراء ذلك . فهذا راتع في رياض الجنة وأجره ثابت على قدر نيته [2] .

وأما ذكر الحضور : فهو التزام أذكار معلومة بحسب أحوال مخصوصة ، على سبيل الاستشفاء من علل النفس ، والخلاص من أمراض متعلقاتها ، ليخرجها [3] عن الأخلاق الذميمة ، ويحليها بالأخلاق الحميدة . و [هو] [4] على ثلاثة أقسام :

1 – ذكر اللسان : في مقام الإسلام . ونعني بذكر اللسان ، قيام اللسان بحركة لفظه، مع متابعة القلب لما أمكن من معناه .

2– وذكر القلب : في مقام الإيمان . ونعني يذكر القلب ، تمكن معنى الذكر في القلب حتى لا ينفك عنه **|11|** ، مع متابعة اللسان لما أمكن من لفظه .

3 – وذكر الروح [5] : في مقام الإحسان . ونعني بذكر الروح ، الاستغراق في سر التوحيد، مشرفا على حقائقه بما نال الروح من الخلاص من الأوهام الجسمانية والطهارة من

الآفات [6] الطبيعية ، حتى لا يغيب عن معنى الذكر لمحة . وإن كان اللسان متحركا ، [فإبقاء إجراء] [7] الحركة ، رعيا لحق بدايته .

وقد يجري لنا (في) [1] أثناء كلامنا في هذا المجموع ، ذكر النفس والقلب والروح والسر والباطن؛ فقد يظن الظان أن اختلاف هذه الأسامي لاختلاف مسمياتها

---

1 – ب ، ج ، د : إلى ما .

2 – ج : رتبته .

3 – ب ، ج ، د : ليجردها .

4 – في الأصل : وهي .

5 – يرى الجنيد أن الروح : " شيء استأثر به الله بعلمه ، ولم يطلع عليه أحدا من خلقه . ولا يجوز العبارة عنه بأكثر من موجود . لقوله : قل الروح من أمر ربي " . وقال القشيري : " الأرواح مختلف فيها عند أهل التحقيق من أهل السنة . فمنهم من يقول إنها الحياة ، ومنهم من يقول أعيان مودعة في هذه القوالب " . الرسالة – ص : 48 . ويعرفها القاشاني كذلك بأنها : " في اصطلاح القوم : اللطيفة الإنسانية المجردة ، وفي اصطلاح الأطباء : هو البخار اللطيف المتولد في القلب ، القابل لقوة الحياة والحس والحركة ، ويسمى هذا في اصطلاحهم:النفس. والمتوسط بينهما،المدرك = = للكليات والجزئيات : القلب . ولا يفرق الحكماء بين القلب والروح الأول " . اصطلاحات الصوفية – ص : 151 ، وانظر أيضا : معجم المصطلحات الصوفية – ص : 92 .

6 – ب : الالتفاتات . ج ، د : الالتفات .

7 – في: أ، ج، د: فأبقى عليه أجر .

، وليست أريد بها إلا [مسمى][2] واحدا . واختلاف أساميه لاختلاف صفاته ، وهو الروح (الجوهر) [3] اللطيف الصافي الشريف ، الذاكر، العارف ، مهبط الأنوار الإلهية ، الصادر [4] من أمر الله تعالى .فما دام مائلا إلى (جنبة) [5] . النقص في أغلب الأحوال، أعبر عنه ب"النفس". ولا يزال مع قيامه بوظائف مقام الإسلام (تضعف فيه جنبة النقص ، وتقوى فيه جنبة الكمال ، حتى إذا تخلص من مقام الإسلام) [6] ، تساوت عنده الجنبتان ، فيتقلب بينهما ، فعند ذلك أعبر عنه بـ " القلب " ولا يزال مع قيامه بوظائف مقام الإيمان ، تغلب جنبة الكمال على جنبة النقص . حتى إذا تخلص من مقام الإيمان ، اتحدت فيه جنبات الكمال . لكن يبقى معها أثر من ذلك النقص كما يبقى أثر الجراحات بعد البرء . فعند ذلك أعبر عنه بـ" الروح "فلا يزال مع قيامه بوظائف [مقام] [7] الإحسان ، حتى تذهب تلك الآثار وتتخلص تصفيته . فعند ذلك أعبر عنه بالسر .

وربما أشكل الأمر فيما رقى إليه أو رقى عنه ، فأعبر عنه بالباطن .وقد أعبر ببعض الأسامي (عن) [8] مقتضيات بعضها على وجه الاتساع والمجاز ، وذلك في القليل. وفي الكتاب والسنة من ذلك كثير .فإذا تقرر هذا ، فلنرجع إلى ما يتعلق [بذكر] [9] الحضور.

فاعلم : أن لفظ كل ذكر له اختصاص بمعنى . فالأذكار مختلفة المعاني ، كما أن علل النفس مختلفة الأنواع . ولكل معنى من معاني الأذكار اختصاص بزوال نوع من أنواع علل النفس ، بالمناسبة الضدية التي بينهما .

---

1 - ساقط من ب ، ج ، د .

2 - في الأصل : معنى .

3 - ساقط من ب ، ج . والجوهر اصطلاحا هو أصل الشيء القائم بنفسه كما يقول الهجويري .معجم المصطلحات الصوفية - ص : 71 .

4 - د : الصادرة .

5 - ج ، د : جهة . والجنبة : الشق من الإنسان وغيره (اللسان / جنب) ..

6 - ساقط برمته من: ب ، ج .

7 - في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

8 - ب : على .

9 - كذا في: ب ، ج . وفي الاصل : بذلك .

وقد تقدم أن المقصود الأعظم هو طهارة النفس من عللها؛ فلنسلط على كل علة ما يضاد معناه معناها من الأذكار [1] ، حتى يؤثر ترداده انفعالا في النفس ، واتصافا بمعنى ذلك الذكر الذي يطرد (ضده من العلل) [2] ، ويرسخ ذلك الاتصاف فيها حتى تنفر عن ضده وتستوحش منه .ولنبدأ من ذلك بالأهم فالأهم .والذكر له قوة عجيبة ، واختصاص بديع [3] في تحلية النفس بالصفات الحميدة ، وتزكيتها عن الأخلاق الذميمة . لكن إنما يكون ذلك مع استعمال الأذكار بشروطها المعروفة ، على مهيعها المألوف المأخوذ عن المشايخ الربانيين الوارثين العارفين .

فبذلك تنتفي علل النفس بالجملة ، وتتخلص من أمراض متعلقاتها ، وتتصفى من كدرات مألوفاتها ، وتتحلى بحلية عالمها . ولا يوجد هذا في غير (الذكر) [4] ، ولذلك عظم الشرع أمره ، وبالغ في التحضيض عليه والترغيب فيه .وأقرب وسائل الذكر ذكر اللسان أولا ، ثم ذكر القلب ثانيا ، ثم ذكر الروح ثالثا .وذلك أن صاحب البداية إذا أدار [5] لفظ الذكر على لسانه ، وتابعه الفكر بتدبر معناه المرة بعد المرة ، انطبع مقتضى [6] ذلك المعنى في النفس ، [فحلاها] [7] ذلك المقتضى بما تضمنه من الصفات الحميدة ، وانتفى عنها ما يغايره [8] من الصفات الذميمة .وبحسب الدؤوب والمداومة على الذكر كما ذكر ، يكون استحكام اتصاف النفس بما يقتضيه الذكر من الصفات، حتى يصير ذلك لها طبعا يصعب عليها العدول عنه ، ولا شك أن الجوارح تتبع النفس فيما تتحلى به ، فتعمل بمقتضاه .

وبذلك يظهر صدق اتصاف النفس بمقتضى الذكر الذي يذكره ويردده، وهكذا يكون العمل في التزكية عن الصفات الذميمة والتحلية بالصفات الحميدة؛ حتى إذا تصفت النفس من كدراتها ، واطمأنت بخالقها ، فذلك هو المطلوب .

---

1 – ب : الذكر .

2 – ج : بالضد ين من العلل .

3 – ج : عجيب .

4 – ج : اللسان .

5 – ج : دار .

6 – ج ، د : بمقتضى .

7 – في الاصل : فحلها .

8 – ب ، د : يغايرها .

فإذا تقرر هذا ، فذكر اللسان يحرك الفكر لتدبر معناه ، وتدبر **|12|** معناه يحرك النفس للاتصاف بمقتضاه ، واتصافها بمقتضاه يوذن بطهارتها وتصفيتها ، وطهارتها وتصفيتها سبب للورود على عين الحقائق [1] ، ومطالعة الأسرار مشاهدة، حتى " يفنى من لم يكن ، ويبقى من لم يزل " [2] .

فانظر : ما أعظم ثمرة الذكر ، وما أجل شأنها . ولذلك كان الذكر أعظم الوسائل إلى المعرفة بالله تعالى ، وأشرف الطرق الموصلة إليه .

فـصــــــــل

وكيفية تناول الذكر على (سبيل) [3] التربية بمعنى الحضور ، و هو أن يسلك [به] [4] سبيل العلاج، فينظر القدوة الرباني أولا في الغالب على التلميذ من علل نفسه، فيأمره باجتنابه، والمجاهدة على تركه ، ثم يعمد إلى الذكر الذي يقتضي معناه مضادة [5] تلك العلة ، فيامره بالتزام ترداده [1] ، والمداومة عليه بوظيفة يوظفها عليه ، عددا يقتضيه [2] حاله .

---

1 – يقول الطوسي : " الحقائق جمع الحقيقة ، ومعناه وقوف القلب بدوام الانتصاب بين يدي من آمن به ، فلو داخل القلب شك ، أو مخيلة في ما آمنت به حتى لا تكون به واقفة ، وبين يديه منتصبة، لبطل الإيمان . وهو قول النبي ρ لحارثة : لكل حق حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟ . فقال: عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري ، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزا . قال الجنيد : أبت الحقائق أن تدع للقلوب مقالة للتأويل" . اللمع – ص : 413 .

2 – التعبير مقتبس من زجل شهير لأبي الحسن الشششتري ، مطلعه :

بي طلوع وبي نـزول *** اختلطت لك الغزول

وفنى من لم يكـون *** وبقى من لم يـزول

أنا لس نشكر خليـع *** إن ثمل وإن صحـا

حتى يقع في القطـيع *** ويدور بحال رحـا

إن ثبت سير وسريع *** وشرب حتى امتحا =

= وهو زجل منظوم على مذهب وحدة الوجود . انظر : ديوان الششتري ، ص : 216 . وأيضا : روضة التعريف : 112/1 ، 220/1 ، 416/2 ، 428/2 ، 486/2 ، 605/2 . وينسب كذلك لابن الخطيب : النفاضة : 239/3 – النفح 17/7 . مقدمة ابن خلدون : 3 / 1353 .

3 – ساقط من: ج .

4 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

5 – ج : زيادة : على .

فإن كانت العلة مركبة من علتين أو أكثر ، فليركب له الذكر بالمعاني التي تقتضي مضادة ذلك التركيب من علل النفس تركيبا بليغا وجيزا، بسهولة اللفظ وجزالة [3] المعنى ؛ فما اختصر [4] اللفظ وأجزل المعنى ، قوي التأثير وأسرع النفع بسرعة دورانه على الفكر حتى لا يغيب الفكر عن تلمح الذكر ؛ كلما انتهى إلى الآخر ، عاد إلى الأول بسرعة ، فلا يكاد المعنى يغيب عنه .

وأما إذا طال معنى الذكر وكثرت ألفاظه ، تشعبت معانيه على الفكر ، فأورثه تشعب ذلك إبطاء عن المقصود كحال التلاوة .

فلا يزال يردد ذلك الذكر حتى يثمر فيه . ونعني بالثمرة اتصاف النفس بمقتضاه اتصافا راسخا ثابتا .ولذلك أدلة يستدل بها عليه من حال السالك ، أكبرها وأقواها: قيام الظاهر بوظائف أوصاف الباطن التي تضمنها الذكر ، تحلية وتزكية . وفي كل منزل من منازل المقامات ، ابسط الكلام فيما يتعلق به من الأذكار والثمرات والنتائج والعلامات وغير ذلك بحول الله سبحانه .

فإذا وفى وظائف ذكره، وما يتعلق به من تزكية وتحلية، نظر القدوة (أيضا)[5] في حال التلميذ إلى الأهم فالأهم من علله ، ويفعل في ذلك كما فعل في الأول .ولا يزال معه كذلك ينقله من منزل إلى منزل ، ومن مقام إلى مقام ، حتى تستتم له طهارة نفسه، وتكمل له تصفيتها ، ولا ينقله من [منزل إلى منزل] [6] ، حتى يوفي ما عليه من وظائف الأول .

وإن كان من مشايخ هذا الطريق من يرى أن ينقل [7] التلميذ من منزل – وقد بقي عليه منه اليسير – إلى المنزل الذي يتلوه ، ويرى أن تلك البقية تتخلص له في

---

1 – ج : تعداده .

2 – ج : يقتضيها .

3 –الجزالة : القوة والشدة (اللسان / جزل) .

4 –ب : اقصر .

5 ساقط من: ج .

6 – في الاصل : منزله .

7 –ج : ينتقل .

المنزل الثاني، حكما بالغالب، ورجاء الانتهاض [1] ، فالنظر [الأول] [2] أولى وأقرب للحزم [3] وأبرأ للذمة ، وأنفع في تصفية النفس ؛ فمن بطيء ومن سريع ، بحسب القسمة في الفتح الإلهي .ومن السالكين من إذا بقيت [عليه] [4] بقية من منزل ، حجبته عن النفوذ في المنزل الذي يتلوه ، وضعف عن حمل أعبائه.

فإذا وفى السالك وظائف منزله الخاص بحاله ، قوي على النفوذ في المنزل الذي يتلوه .

ولابد من ترتيب أحوال السالك في أكله ونومه [5] وفطره وصومه وصمته وخلوته وهجيراه [6] وغير ذلك ، بحسب قوته ومشربه وحاله ، ثم لا يرفع عنه عصا التأديب وميزان المحاسبة والمناقشة والمباحثة ، بحسب حاله [7] أيضا ، فرب [8] حسنات حسنات قوم تكون سيئات آخرين [9] .

ثم لا يعدل به عن سبيل العلاج والتربية حتى يقطع المقامات بتخليص وظائف منازلها [10]، خالصة من عللها ، حتى تنال النفس الغاية من تصفيتها وطهارتها .

---

1 – ب ، ج ، د : الاستنهاض . وانتهض القوم وتناهضوا : نهضوا للقتال . واستنهضته لأمر : أي أمرته بالنهوض له ، (اللسان / نهض) ..

2 – في الأصل : إلى الأول .

3 – ب ، ج : للجزم (بالجيم) .

4 – في الأصل : عليهم .

5 – ج : شربه .

6 –هجيراه وإجرياه وإهجيراه وإهجيراؤه وهجيره وأهجورته أي دأبه وعادته وديدنه وشأنه . (اللسان / هجر) .

7 – ج : أحواله .

8 – د : فلرب.

9 – بلفظ : " سيئات المقربين حسنات الابرار " ، مقولة صوفية مشهورة ، قال بعضهم إنها حديث نبوي . إلا أن الشيباني جزم بغير ذلك ، ونسبها إلى أبي سعيد الخراز شيخ الصوفية . تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على السنة الناس من الحديث – ص : 70 . ونسبها الطوسي إلى ذي النون . اللمع – ص: 68 – 493 . ونسبها القشيري لبعضهم دون أن يذكر اسمه . الرسالة – ص : 35 – 65 . وكذلك أبو المواهب في القوانين . مخطوط . الورقة 51 .

10 –ب : منزلها .

فإذا وجدنا صاحب منزل عاكفا على ذكره ، قائما بشروطه، قد أبطأ به العثور على ثمرته أو بعضها ، علمنا أنه محجوب بعلة أحاطت به ، كامنة فيه ، عارضته ومنعته من النفوذ .

فإن عمل القدوة على خلاصه منها بالوجه المذكور ، فلم ينفع ذلك فيه ، حكم له بعدم القسمة [1] فيما وراء ذلك ، وانتظر له الفتح من الفتاح العليم .

فظهر لك من سياق [هذا] [2] الكلام أن استعمال الأذكار بحسب الأحوال ، من الحكم التي لا ينكرها من شم أدنى رائحة من نفحات العلم ، ولا يطعن فيها من شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه . [فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ، أولئك في ضلال مبين] [3]

وإذا تأملت الكتاب والسنة **[13]** ، وجدتهما يتضمنان هذا المعنى وها أنا ألمع لك من ذلك بلمعة توقفك على التحقيق وتهديك إلى سواء الطريق . وتبصرك بما قد خفي على فريق .

فـصـــــــــل

اعلم ثبت الله أقدامنا على طاعته ، وأثبتنا في ديوان أهل معرفته ، أن الله تعالى أمر عباده باستعمال الذكر مجملا ، ثم أشار إلى تفصيل ذلك بالتنبيه على استعمال الأذكار (مفصلا)[4] بحسب الأحوال :

* فمن ذلك : ذكر الاستغفار ، جعل الله فيه اختصاصا بمحو الذنوب والأوزار لأهل المتاب في قوله تعالى : [ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ، ثم يستغفر الله ، يجب الله غفورا رحيما][5] فظهر [6] بذلك أن ذكر الاستغفار له اختصاص [بمحو

---

1 – ب ، ج، د : القسمية .

2 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

3 – سورة الزمر – الآية 22 .

4 –ساقط من: ج.د .

5 – سورة : النساء / الآية 110 .

6 – د : زيادة : لك .

بمحو] [1] الذنوب ونيل الغفران . فإذا ، فالتائب المقبل من طريق المخالفة إلى طريق الموافقة [2] ، أنسب الأذكار بحاله : ذكر الاستغفار.

*ومن ذلك: ذكر الصلاة على النبي ρ ؛ جعل الله فيه اختصاصا برسوخ تعظيمه في النفس ، وثبوت محبته . وذلك سبب قوي في وجود النشاط في اتباعه ، يفهم ذلك من قوله تعالى : [إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما] [3]. فظهر بذلك أن الصلاة على النبي ρ لها اختصاص بتيسير القيام في اتباع سبيله. فإذا، فطالب وجود العزم في نفسه على القيام بوظائف الشريعة ، وتسهيلها عليه، أنسب الأذكار بحاله : الصلاة على النبي ρ.

* ومن ذلك : ذكر التهليل؛ جعل الله تعالى فيه اختصاصا بنفي الهموم بما فيه من إمحاض معنى التوحيد. يفهم ذلك من قوله تعالى بعد أن ذكر أحوال المنافقين ، وما كانوا عليه من إبطان المكايد وإضمار الحيل للنبي ρ : [فاعلم – يامحمد – أنه لا إله إلا الله] [4] ، أي استصحب معنى التوحيد ، حتى لا تكترث بأمر من سواه . قال بعض حذاق المفسرين : هذا خطاب عام للنبي ρ وأمته [5] .

فظهر بذلك أن ذكر التهليل له اختصاص بطرد الهموم وتصييرها هما واحدا للواحد الحق . فإذا فطالب الإعراض عن الخلق تعويلا على الواحد الحق ، أنسب الأذكار له : [ذكر] [6] التهليل .ومن ذلك : التنزيه ؛ جعل الله تعالى فيه اختصاصا بتصفية مشرب التوحيد من شوائب الأوهام في قوله تعالى – وقد اقترح المشركون على النبي ρ تكوين ما لم يسبق به قضاء الله ، ولا نفذ به حكمه ، خرقا لحجاب الأدب على سبيل التعجيز : [قل – يامحمد – سبحان [7] ربي (هل كنت إلا بشرا رسولا) [8]] أي عما لا يليق به من تبديل حكمه وقضائه [1] ، [

---

1 – في الأصل: محو .

2 – ج : المخاوفة .

3 – سورة : الأحزاب – الآية 56 .

4 – سورة : محمد / الآية 19 .

5 – انظر حاشية الصاوي على تفسير الجلالين : 90/4 .

6 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

7 – ج : زيادة : الله .

8 – ساقط برمته من: ب، ج ، د . والآية من سورة الإسراء / الآية : 93.

[حفظا] [2] لما رسخ في باطن النبي ρ وأصحابه من عقائد التوحيد ، وصونا لهم من شوائب الأوهام ؛ وقول موسى عليه السلام [3] وقد حمله الادلال [4]. على طلب ما لم يسبق به قضاؤه في التجلي [5] له في الدنيا . ولما أفاق من صعقته [6] ، وظهر له أن طلبه وقع في غير محل، قال : " سبحانك " أي عن أن يكون في الأكوان مالا تريد .فظهر بذلك أن ذكر التسبيح له اختصاص بتصفية مشرب التوحيد بتنزيه الواحد الحق [7] الملك المعبود .فإذا (فطالب تصفية توحيده برفع) [8] الإشكال وطرد الأوهام ، أنسب الأذكار له ، ذكر التسبيح .

* ومن ذلك : الذكر المفرد [9] ، وهو الاسم العظيم [10] جعل الله تعالى فيه اختصاصا بخروج الباطن عن الأكوان، تعويلا على المكون الحق ، ورجوعا إلى الأنس به في قوله تعالى : [قل الله ، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون] [11].

---

1 - ج : تنزيل لحكمة .

2 - في الاصل : وحفظا .

3 - الإشارة إلى الآية : 143 من سورة الأعراف : [ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب ارني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني . فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا. وخر موسى صعقا . فلما أفاق قال سبحانك تبت إليه وأنا أول المومنين] .

4 - أدل عليه إدْلالا : انبسط ، ووثق بمحبته، فافرط عليه . والادْلال يكون على من لك عنده منزلة . ويقال: تَدِلُّ عليه، أي : تجترئ عليه(اللسان / دلل) .

5 - التجلي اصطلاحا : " إشراق أنوار إقبال الحق على قلوب المقبلين عليه " اللمع – ص : 439. وقال القاشاني : " التجلي هو ما يظهر للقلوب من أنوار الغيوب " . اصطلاحات الصوفية – ص : 155 . وانظر : الإملاء – ص : 19 . العوارف – ص : 331 . معجم المصطلحات الصوفية – ص : 57 .

6 - الصعق اصطلاحا : " الفناء في الحق بالتجلي الذاتي " . اصطلاحات الصوفية – ص : 140. معجم المصطلحات الصوفية – ص : 109 . وهو اصطلاح يحيل باستمرار على واقعة الصعق الموسوي في الآية المذكورة .

7 - ج : الأخذ .

8 - ج : بتصفية توحيده يرفع .

9 - ج : الأفضل .

10 - ج : الأعظم .

11 - سورة الأنعام / الآية 91 .

فظهر بذلك أن الذكر المفرد له اختصاص بالاستغراق في معناه ، محوا لما سواه .فإذا فطالب فناء[1] نفسه عن تلمح شيء من عالم حسه ، استغراقا في سر توحيده ، أنسب الأذكار له : الاسم العظيم مفردا .

فــصـــــــل

وقد ثبت من السنة ما يدل على استعمال الأذكار بحسب الأحوال ، حتى لا يجد العاقل [2] عن ذلك مصرفا .

فمن ذلك قوله ρ : " لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم ياجوج و ماجوج مثل هذا " ، وعقد [3] الراوي بيده ستين [4] . جاء صلوات الله وسلامه عليه في هذه الحالة بذكر التهليل بين يدي كلامه مشعرا [بنفي] [5] ما يرد على **[14]** النفس من الجزع والخوف بتوقع خروج ياجوج وماجوج، ليرد وارد[6] الجزع على نفس قد تمكن فيها معنى التوحيد بنفي ما سوى الله تعالى فلا يجد الجزع إليها سبيلا . واختصاصهρ ذكر التهليل بهذا الموضع دون غيره من تسبيح وتكبير وشكر وتحميد وغير ذلك ، يوذن أن التهليل أخص الأذكار بهذه الحال وما يضارعها . فهو الإمام الأعظم والطبيب الأكبر .ومن ذلك قوله ρ : " الله أكبر

---

1 – الفناء : " عبارة عن عدم شعور الشخص بنفسه ولا بشيء من لوازمها . وقال بعضهم ومعنى الفناء : تبديل الصفات البشرية بالصفات الإلهية دون الذات . فكلما ارتفعت صفة بشرية قامت صفة إلهية مقامها ، فيكون الحق سمعه وبصره،كما نطق به الحديث... وقال بعضهم:الفناء أن لا ترى شيئا = =إلاالله ولا تعلم إلا الله ، وتكون ناسيا لنفسك ، ولكل الأشياء سوى الله " معجم المصطلحات الصوفية – ص: 137 . وقيل : "الفناء والغيبة عن الأشياء كما كان فناء موسى حين تجلى ربه للجبل. وقال الخراز : الفناء هو التلاشي بالحق " . الإملاء – ص : 20 – اللمع – ص : 417 .

2 – ب ، ج ، د : العقل .

3 – ج : وعد .

4 –متفق عليه من حديث زينب بنت جحش : البخاري –ح 3346 . مسلم : ح 1 (2880) . الترمذي : ح 2282 و قال : حديث حسن صحيح .

5 –في الأصل : النفي .

6 – الوارد : " ما يرد على القلب بعد البادي فيستغرقها . والوارد له فعل ، وليس للبادي فعل . لأن البوادي بدايات الواردات " . اللمع – ص : 418 . وقال القاشاني : " الوارد كل ما يرد على القلب من المعاني الغيبية من غير تعمل من العبد " – اصطلاحات الصوفية – ص : 47 . معجم المصطلحات الصوفية – ص : 181 .

خربت خيبر ، أنا إذا أنزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين " [1] . جاء صلوات الله وسلامه عليه في هذه الحالة بذكر التكبير بين يدي كلامه ، (مشعرا) [2] بتصغير ما وردوا عليه من أمر خيبر وتحقيره ، ليذهب عن النفس عارض استكثار العدو ، ويتلاشى[3] ما سوى (الله تعالى) [4] في جنب كبريائه وعظمته ، فيقوي جأش الجيش في استقبال أمر العدو ، فيحصل الظفر ، وهو سر قوله تعالى :[إذ يريكهم الله في منامك قليلا. ولو أراكهم كثيرا ، لفشلتم ولتنازعتم في الأمر][5] .

وأما ليصغر في النفس ما كثر من عدد المسلمين وعددهم ، تعويلا على الكبير المتعال حتى ينتفي عن النفس الركون لغير الله في الاستظهار على العدو . وذلك سر قوله تعالى : [ويوم حنين إذا أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا] [6] .فإذا، فالتكبير أخص الأذكار بهاتين الحالتين وما ضارعهما .

ومن ذلك: قوله صلوات الله وسلامه عليه : "سبحان الله ، أو ينقص الرطب إذا جف ؟ جاء ρ بذكر التنزيه [إشعارا] [7] بأن الله تعالى منزه عن التغيير والتبديل ،حفظا للنفس من طوارق[8] التشبيه، وصونا لها [9] من لحوق (كيد) [10] الأوهام

الأوهام

---

1 – أخرجه النسائي من حديث أنس : 204/7 . وتتمة الحديث : " فأصبنا فيها حمرا فطبخناها فنادى منادي النبي ، ρ فقال : " إن الله عز وجل ، ورسوله ينهاكم عن لحوم الحمر ، فإنها رجس ".

2 – ب : مستشعرا .

3 –د: زيادة: كل.

4 – ج : ذلك .

5 – سورة : الأنفال / الآية 43 .

6 – ج : زيادة : وضاقت عليكم الأرض . والآية من سورة التوبة / الآية: 25.

7 –في الأصل : استشعارا .

8 – الطوارق : " في اللغة : ما يطرق بالليل . وروي عن النبي ﷺ أنه كان يدعو : أعوذ بك من شر طوارق الليل والنهار ، إلا طارقا يطرق بخير . واصطلاحا : ما يطرق قلوب أهل الحقائق من طريق السمع ، فيجدد لهم حقائقهم . حكي عن بعض المشايخ أنه قال : يطرق سمعي علم من علوم أهل الحقائق فلا أدعه يدخل قلبي إلا بعد أن أعرضه على الكتاب والسنة " . اللمع – ص : 422 . وقال السهروردي: " هو من مبادئ الحال ومقدماته " . عوارف المعارف – ص : 333 .

9 – ج : لهم .

10 – ب : ركيكة – ج : من ركيك لخرق – د : من لحوق ركيك الأوهام .

ومن هذا القبيل هي مشروعية استعمال التسبيح للساهي في الصلاة [1].فإذا فذكر التسبيح أخص الأذكار بهذه الحال وما يضارعها .

ومن ذلك ما شرعه صلوات الله وسلامه عليه (لأمته) [2] ، من الذكر ، في أيام الأعياد، نفيا للعلل الطارئة عليهم فيها. الطارقة لنفوسهم بسببها . فلا إله إلا الله : نفي لعلة سكون النفس إلى البسط المشروع في الأعياد ، والميل إلى (متاع) [3] الدنيا الدنيا .

والله أكبر : طرد لعلة استكثار النفس عدد الخلق عند بروزهم واستكبارها بإظهار التجمل .وسبحان الله : إخماد لعلة النفس في انفعالها لما ظهر على الخلق من تحولهم من حال إلى حال . والحمد لله : محو لعلة النفس في نسيان المنعم (بالنعم)[4]،لتقوم بحق المحسن المنان. ولا حول ولا قوة إلا بالله : إخراج للنفس من علة الركون إلى تدبيرها في (تصرفها) [5] .

ثم جعل التكبير فيه ثلاثا [6] ، تأكيدا في محو أغلب العلل في ذلك اليوم فانظر فانظر ما أخص هذا الذكر بحال أيام الأعياد، كل ذلك إخراج للنفس عن عللها حتى يصح لها طريق العبودية [7] ؛ وإلا فانظر كيف كان النبي ρ يكبر علىكل شرف في

1 – لحديث أخرجه البخاري من طريق سهل بن سعد الساعدي به بلفظ : يا أيها الناس ما لكم حين نابكم شيء في الصلاة أخذتم في التصفيق ؟ إنما التصفيق للنساء ، من نابه شيء في صلاته فليقل: سبحان الله ، فإنه لا يسمعه أحد حين يقول سبحان الله إلا التفت ... الجامع الصحيح : ح 1234 .

2 – ساقط من ج .

3 –ج : منازع .

4 – ج : بالمنعم .

5 – ب ، ج ، د : تصريفها .

6 – الإشارة إلى حديث أخرجه أحمد : 454/5 (في أذكار الأعياد) .

7 – العبودية : " الوفاء بالعهود ، وحفظ الحدود ، والرضا بالموجود ، والصبر على المفقود " – التعريفات – ص : 151 . ويرى التهانوي أن العبودية أربعة : " ... ترك الدعوى ، فاحتمال البلوى، وحب المولى . وقيل : العبودية ترك الاختيار،وملازمة الذل والافتقار.وقيل: العبودية ثلاثة منع = =النفس عن هواها ، وزجرها عن مناها ، والطاعة في أمر مولاها " – معجم المصطلحات الصوفية – ص : 126 . وانظر أيضا : الرسالة – ص : 99 . معراج التشوف – ص : 36 .

سفره ، ويسبح الله إذا انحدر [1] . وقد وقعت [الإشارة] [2] إلى شيء ، من هذا المعنى فيما روي [من] [3] أن داود عليه السلام ، لما فرغ من بناء بيت المقدس ، أوحى الله الله إليه : " ياداود، ادخل البيت فسبحني وقدسني واصنع كما تصنع الأمة التي اخترتها على هذا العالم. قال: (يارب وأخبرني من هذه الأمة؟)[4] قال: [أمة] [5] حبيبي حبيبي محمد ρ . قال: يارب فأخبرني (العلامة) [6]. قال: إذا جزعوا [كبروني] [7] وإذا وإذا غضبوا [هللوني] [8] وإذا تنازعوا سبحوني " .

وإذا تأملت الشريعة ، وجدت موارد الأذكار فيها من استغفار وتهليل وتسبيح وتحميد وتكبير وبسملة وحسبلة وحوقلة وغير ذلك من الأذكار ، مقصودة بحسب الأحوال الخاصة بها ، نفيا لعلل النفس [لتتحلى][9] بالصفات الحميدة . وذلك من الحكمة[10] التي من نالها فقد نال الخير الكثير . وليس من الحكمة وضع الاشياء في غير محلها . فهذه أدلة من الكتاب (والسنة) [11] تشعرك بالمراد وتهديك إلى السداد .

وقد ورد عن السلف رضوان الله عليهم ما يدلك على استعمال الأذكار بحسب الأحوال فمن ذلك ما روي من أن هجيرا أبي بكر كان : لا إله إلا الله . وذلك لأنه كان لا يرى **|15|** في الدارين غير الله تعالى . فكان هجيراه يحفظ عليه مقامه من علل النفس في ذلك .

---

1 – لحديث خرجه أحمد : ح 19466 . وأبو داود : ح 2753 . والترمذي : ح : 3508 . وقال حديث حسن .وابن ماجة : ح 2772 . والدارمي : 1 / 5 .

2 – في : أ ، ب : الإشارات .

3 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

4 –ب : رب وما هذه الأمة – ج ، د : رب ومن هذه الأمة .

5 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

6 – ب : العلامات – ج ، د : بالعلامات .

7 –في الأصل : كبروا .

8 – في الاصل : هللوا .

9 –في الأصل : للتحلى .

10 – الحكمة " هي العلم بحقائق الأشياء وأوصافها وخواصها وأحكامها على ما هي عليه ، وارتباط الأسباب بالمسببات ، وأسرار انضباط نظام الموجودات، والعمل بمقتضاه " . اصطلاحات الصوفية – ص : 61 .

11 – ساقط من: ج .

ومن ذلك ما روي من أن هجيرا عمر كان : الله أكبر [1] . (وذلك) [2] لأنه كان يرى ما دون الله صغيرا حقيرا في جنب عظمة الله، فكان هجيراه يحفظ عليه مقامه من علل النفس في ذلك .[ومن ذلك ماروى من أن هجيرا عثمان كان : سبحان الله . وذلك لأنه كان لا يرى الكمال إلا لله، وأن الموجودات قائمة به ، مفتقرة إليه، خاضعة بين يديه؛ فكان هجيراه يحفظ عليه مقامه من علل النفس في ذلك] [3]

ومن ذلك ما روي من أن هجيرا علي كان : الحمد لله [4] . وذلك لأنه كان لا يرى النعم في [النفع] [5] والدفع ، والإعطاء والمنع ، والمحبوب والمكروه إلا من الله . . فكان هجيراه يحفظ عليه مقامه من علل النفس في ذلك .

فليس من نفى الموجودات حتى لم ير مع الموجود غيره ، كمن رأى الموجودات صغيرة حقيرة . وليس من رأى الموجودات صغيرة حقيرة ، كمن رآها على حالها لكن ناقصة . وليس من رآها ناقصة ، كمن رآها [رافعا لها]، [6] لكن حمد عليها الموجد لها .

فاختلاف أذكار الخلفاء الراشدين ، مما يدلك على استعمال الأذكار بحسب الأحوال ، لأن كل واحد منهم رضي الله عنهم التزم الذكر الذي يناسب حاله الغالب عليه في وقت استعماله ذلك الذكر [و] [7] يوافق مقامه في حال استعماله إيـاه . وهم إن اختلفت أحوالهم ، وتنوعت مشاربهم، فكلهم قد بلغ إلى ذروة الفضل ووصل إلى ربوة التخصيص، بصدق اليقين وصحيح التوحيد، فلا يدرك شأوهم ولا يشق غبارهم .

---

1 - حديث أخرجه أحمد : ح 307 .

2 - ساقط من: ب ، ج ، د .

3 - ساقط برمته من : أ ، د .

4 - من حديث أخرجه أحمد في المسند : ح 1351 و 1353 .

5 -في أ : النفس .

6 - في : أ ، ج ، د : وأفعالها .

7 - في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

فظهر لك من مجموع هذا الكلام أن استعمال الأذكار بحسب الأحوال [هو من] [1] الحكمة التي تتضمن صلاح الحال ، وتقضي بطهارة النفس وتصفيتها من جميع عللها و[أوهامها] [2] .

وفيما ذكرته ، دليل (على) [3] شرف الذكر وعلى (تخصيص) [4] استعمال الأذكار بحسب الأحوال ، وغنية لك عن طلب زائد عليه ، مع جرينا على سبيل التوسط بين الاختصار والتطويل ، والله الموفق إلى أهدى سبيل . وهذان أصلان . (ينبني عليهما كثير)[5]من فروع هذا الطريق حسبما يأتي ذكره وبيانه بعد (إن شاء الله تعالى)[6]

فــصــــــــل

واعلم شرح الله صدرك ويسر في أملك من الله أمرك أن أذكار طريق السالكين – وإن كثرت – ترجع إلى خمسة أذكار : استغفار وتصلية وتهليل وتنزيه وإفراد .

فأما ذكر الاستغفار ، فدليله من القرآن قوله تعالى: [استغفروا ربكم إنه كان غفارا][7] وقوله: [واستغفر لذنبك] [8] . وقوله: [ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله،يجد الله غفورا رحيما][9]. (إلى غير ذلك من الآيات)[10].

ومن السنة ما خرجه أبو داود والنسائي عن ابن عباس قال : قال النبي ρ : " من (لزم) [11] الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا، ومن كل هم فرجا،

---

1 – كذا في : ب ، ج ، د . وفي أ : هي .
2 – كذا في : ب ، ج . وفي أ : أوصافها .
3 – ساقط من : ج .
4 – ساقط من :ج .
5 – ج ، د: نبني عليهما كثيرا .
6 – ج ، د : بحول الله تعالى .
7 – سورة نوح / الآية: 10 .
8 – سورة غافر / الآية: 55 .
9 – سورة النساء / الآية: 110 .
10 – ساقط من : ج .
11 – ب : لازم .

ورزقه من حيث لا يحتسب "[1] .وخرج النسائي أيضا عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ρ : ("طوبى لمن وجد في كتابه استغفارا كثيرا" [2]. وخرج {مسلم عن أبي هريرة}[3] قال : قال رسول الله ρ)[4]: " والذي نفسي بيده ، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون [5] فيغفر لهم "[6] .وخرج أبو داود عن أبي بكر الصديق قال : قال رسول الله ρ : " ما أصر من استغفر ، ولو عاد في اليوم سبعين مرة " [7] ، إلى غير ذلك من الأحاديث .

وأما ذكر التصلية : فدليله من القرآن قوله تعالى : " إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما "[8] .ومن السنة ما خرجه ((الترمذي)[9] عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ρ:"[إن][10] أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة"[11].وخرج النسائي عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ρ من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ، و(حط)[12] عنه عشر خطيات ورفعت له عشر درجات " [13] . وخرج ابن أبي شيبة عن يعقوب بن

---

1 - أخرجه أبو داود : ح : 1504 . والبيهقي في السنن الكبرى : 3 / 351 . والحاكم في المستدرك : 262/4 وقال وقال : صحيح الإسناد . وعقب عليه الذهبي في تلخيص المستدرك : 262/4 بقوله : الحكم فيه جهالة . وضعف هذا الحديثَ أيضا الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة : 142/2 – ح : 705 .

2 –أخرجه النسائي : 10217 . و ابن ماجة : ح 3818 . وذكره العجلوني في كشف الخفاء : 49/2 . وقال : قال النووي : إسناده جيد .

3 – ج : البخاري عن عبد الله بن عمر .

4 –ساقط برمته من : د .

5 – ب ، ج ، د : زيادة : الله .

6 – أخرجه مسلم في الصحيح : ح 11 (2749) . ورواه أيضا البغوي في شرح السنة : 77/5 .

7 – أخرجه أبو داود في السنن : ح 1500 – والترمذي في الجامع : ح 3630 ، وقال : حديث غريب ، إنما نعرفه نعرفه من حديث أبي نصيرة ، وليس إسناده بالقوي .

8 – سورة الأحزاب / الآية 56 .

9 ج : البخاري .

10 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

11 – رواه الترمذي : ح 482 وقال : حسن غريب . والبغوي : 197/3 .

12 – د: حطت .

13 – أخرجه النسائي في السنن : 50/3 . وابن حبان في صحيحه . انظر : الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان : لابن بلبان الفارسي : 130/2 .

زيد (التيمي) [1] قال : قال رسول الله ρ: " أتاني آت من ربي فقال [لي] [2]: لا يصلين عليك عبد صلاة إلا صلى الله عليه عشرا ، قال: فقال رجل: يا رسول **|16|** الله ، ألا أجعل نصف دعائي لك ؟ قال : إن شئت. قال: ألا أجعل ثلثي دعائي لك ؟ قال : إن شئت . قال : ألا أجعل كل دعائي لك؟ قال: إذا يكفيك الله هم الدنيا والآخرة [3].

وعن عامر بن (أبي) [4]ربيعة قال : قال رسول الله ρ: " من صلى علي صلى الله عليه . فأكثروا أو أقلوا [5]. إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على الترغيب في الصلاة على النبي ρ .

وأما ذكر التهليل فدليله من القرآن قوله تعالى: [فاعلم أنه لا إله إلا الله][6]. وقوله عز وجل:[شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم] [7] .ومن السنة ما خرجه مالك بن أنس عن طلحة بن عبيد الله أن رسول الله قال : " أفضل ما (قلته) [8] أنا والنبيئون من قبلي : لا إله إلا الله " [9] . وخرج النسائي عن جابر بن عبد الله ، قال : سمعت رسول الله ρيقول : " إن أفضل الذكر لا إله إلا الله " [10] .وخرج الترمذي والنسائي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ρ: " ما قال عبد لا إله إلا الله مخلصا إلا فتحت له أبواب السماء حتى (تفضي) [11] إلى العرش ، ما اجتنبت الكبائر " [1] .وخرج النسائي عن أبي سعيد

---

1 د : التميمي .

2 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

3 – رواه ابن أبي شيبة في المصنف : 517/2 .

4 – ساقط من : ب .

5 –رواه عبد الرزاق الصنعاني في " المصنف " – ح 3115 ، من حديث عامر بن أبي ربيعة .

6 – سورة محمد / الآية : 19 .

7 – سورة آل عمران / الآية : 18 .

8 – ج . د : قلت .

9 – أخرجه مالك في الموطأ : 214/1 – 215 من حديث طلحة بن عبيد الله . والبيهقي : 117/5 وقال : " حديث مرسل وقد روي عن مالك بإسناد آخر موصولا . ووصله ضعيف " . والبغوي في شرح السنة : 157/7 .

10 – رواه النسائي في عمل اليوم والليلة – ص : 481 – ح : 831 . ورواه أيضا ابن حبان في صحيحه . انظر : الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان : 2 / 104 .

11 – د : يفضي .

الخدري قال : قال رسول الله ρ: " قال موسى : يارب علمني شيئا أذكرك بــه (وأدعوك)[2] به ، قال: ياموسى (قل) [3] : لا إله إلا الله . قال : يارب ، كل عبادك يقول هذا ، قال: قل: لا إله إلا الله. قال: لا إله (إلا أنت) [4] إنما أريد شيئا تخصني به . قال : ياموسى ، لو أن السماوات السبع (وعامرهن غيري) [5] والأرضين السبع[6] في كفة ، ولا إله إلا الله في كفة (مالت) [7] بهن لا إله إلا الله [8]. إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على الترغيب في لا إله إلى الله .

وأما ذكر التنزيه فدليله من القرآن قوله تعالى: [سبح اسم ربك الأعلى][9] . وقوله عز وجل : [فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين] [10]وقوله جل وعز : [قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا] [11] .ومن السنة ما خرجه أهل الصحة عن أبي ذر أن رسول الله ρسئل : أي الكلام افضل قال : " ما اصطفاه الله لملائكته ولعباده : سبحان الله وبحمده [سبحان الله العظيم"[12]].وعن أبي هريرة قال : قال رسول اللـه ρ : " كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم " [13] .وخرج الترمذي والنسائي عن

---

1 - رواه النسائي في عمل اليوم والليلة - ص : 482 - ح 833 . والترمذي في الجامع - ح 3660 . وقال حسن غريب من هذا الوجه .

2 - ب : وأدعو .

3 - ساقط من : ج ، د .

4 - ج : الله .

5 - ساقط من : ج .

6 - د : زيادة : و عامرهن .

7 - د : لمالت .

8 - رواه النسائي في عمل اليوم والليلة - ص : 482 - ح 834 . ورواه أيضا الحاكم : 1 / 528 . وصححه على شرط البخاري ومسلم ، ولم يخرجاه . ووافقه الذهبي في تلخيصه .

9 -سورة الأعلى / الآية : 1 .

10 - سورة الحجر / الآية: 78 .

11 - سورة الإسراء / الآية: 93 .

12 - زيادة في : ب – ساقطة من : أ ، ج ، د – والحديث أخرجه أحمد : 36/4 من طريق الأعمش عن أبي صالح . عن بعض أصحاب النبي عنه ﷺ باختلاف في اللفظ .

13 - متفق عليه . أخرجه البخاري في الجامع الصحيح -ح 6406 . ومسلم - ح 31 (2694) . والترمذي في الجامع - ح 3534 .

ابن عمر قال : قال رسول الله ρ ذات يوم لأصحابه : " قولوا سبحان الله وبحمده مائة مرة . من قالها مرة (كتبت)[1] له عشرا، ومن قالها عشرا (كتبت)[2] له مائة ومن قالها مائة (كتبت) [3] له ألفا، ومن زاد زاده الله " [4] .وخرج غير واحد من أهل الصحة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ρ : " من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة ، حطت خطاياه. وإن كانت مثل زبد البحر[5]. إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على فضل التسبيح والترغيب فيه .

وأما ذكر الإفراد ، فدليله من القرآن قوله عز من قائل : [قل الله ، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون][6] . وقوله تعالى :[ولذكر الله أكبر] [7] . وهذا الذكر هو لباب لباب الأذكار ، وإنسان حدقتها وقطب أفلاكها ، وقد أجمع كثير من أهل العلم على أنه اسم الله الأعظم.

فإذا تقررت قواعد هذه الأذكار من الكتاب والسنة ، فاعلم أن سائر الأذكار داخل تحت نطاق هذه الخمسة الأذكار ، وراجع إلى أصولها ، مع أن أهل (هذا)[8] الطريق يستعملون سائر الأذكار ، كل ذكر [9] في الموطن الخاص به، من حمد ، وشكر وبسملة [10] ، وحسبلة ، وحوقلة ، وغير ذلك ؛ لا يعدون بكل ذكر منها ، الحالة التي تخصه . وقولنا أن هذه الخمسة الأذكار (هي أذكار) [11] طريق السالكين، نعني (به) [12] أنها غالبة عليهم ، بها سلوكهم ، وإليها رجوعهم.

---

1 –ج : كتب .

2 – ج: كتب الله .

3 – ج : كتب الله .

4 – أخرجه الترمذي في الجامع – ح 3537 من حديث ابن عمر . وقال : حديث حسن غريب – والنسائي في عمل عمل اليوم والليلة – ص : 211 – ح : 159 . وتتمة الحديث : " ومن استغفر غفر الله له ".

5 – متفق عليه . أخرجه البخاري – ح 6405 . ومسلم – ح 28 (2691) . والبغوي في شرح السنة : 40/5 .

6 – سورة الأنعام / الآية: 91 .

7 – سورة العنكبوت / الآية: 45 .

8 – د: هذه .

9 – ب ، د : زيادة : من ذلك .

10 – د : زيادة ، وتصلية .

11 – ساقط من : ب .

12 – ج ، د : بها .

وكل ذكر من هذه الأذكار الخمسة ، له كيفيات مختلفات ، لكل كيفية منها اختصاص بنوع من التحلية والتزكية، ولها أيضا تركيبات ، كل تركيب منها له اختصاص بنوع من التحلية والتزكية فيما تركب من علل النفس ، وسياتي بسط هذا المعنى في موضعه من كل مقام ، بفضل الله سبحانه . وبه التوفيق (وهو حسبنا ونعم الوكيل) [1] **|17|** .

قاعدة تترجم عن المقصود

اعلم نور الله قلوبنا بأنوار معرفته ، و(بلغنا) [2] مراتب أهل ولايته ، أن الدين الدين الذي كلف الله عباده (إياه) [3] ، قائم من ثلاث مقامات محتويات على إسلام وإيمان وإحسان .فجميع وظائف الدين (داخل)[4] تحت نطاقها ، فهي الطريق التي توصل (المسافر) [5] إلى الله تعالى والسبيل (الذي يهدى)[6] إلى المعرفة به . . فجدير أن (أجلي) [7] غرة هذه القاعدة ، أوضح من فلق الصبح (المبين) [8] .

حدثنا الشيخ الرواية المعمر أبو عبد الله محمد بن عياش[9] قال : حدثني صهري أبو القاسم بن الطيلسان [1] (بالمسجد الجامع) [2]

---

1 - ساقط من : ب ، ج ، د .

2 - ج : بلغها .

3 - ساقط من : د .

4 - ب : داخلة .

5 - ب ، ج ، د : المسافرين .

6 - ب ، ج : التي تهدي .

7 - ب : أجلو .

8 - ج : المنير .

9 - الفقيه الزاهد القاضي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عياش الخزرجي المالقي ، تقلد القضاء بغرناطة على عهد أبي أبي الحجاج يوسف ، واستعفي بعد ثلاثة أيام فأعفي . من شيوخه : أبو بكر يحيى بن مسعود المحاربي . وقرأ عليه عدد ، منهم : أبو الحسن البناهي ، وذكره ابن الخطيب في الإحاطة ضمن شيوخ المعمم . الإحاطة : 192/3 . وربما كان هو نفسه شيخ الحضرمي المذكور في الإحاطة أيضا باسم ابن عياش المالقي . الإحاطة : 13/4 ، وأيضا : المرقبة العليا – ص : 20 – 148 . الإحاطة : 417/1 – 179/2 – 192/3 – 194 – 203 – 247 – 479 – 561 – النفح : 26/5. ولا ندري إن كان هو المذكور في الإحاطة أيضا باسم أبي عبد الله محمد بن عياش الخزرجي

بقرطبة [3] قال :(حدثنا) [4] القاضي أبو محمد عبد الحق [5] قال : حدثنا القـاضي أبو مروان عبد الملـك بـن (مسرة[6]) قـال : حـدثنـا أبـو البحـر

القرطبي : 127/4 . وهناك أيضا : الأديب ابن عياش المتوفي سنة 759 هـ الذي ذكره ابن القاضي في درة الحجال : 267/2 – وانظر أيضا : اعلام مالقة – ص : 92 .

1 – القاسم بن محمد بن أحمد الأوسي القرطبي ، يعرف بابن الطيلسان ، الفقيه المحدث ، متفنن في العربية والقراءات . روى عن جده أبي القاسم الشراط ، وعن ابي الحسن علي بن أحمد بن محمد الغساني . له كتاب : " غرائب المسندين " ، و" الجواهر " توفي سنة 642 هـ ، (تكملة ابن الأبار، ص : 703 ، الذيل والتكملة : 58/4 . الإحاطة : 182/4 . المرقبة العليا – ص:127.بغية الوعاة – ص : 380 . نيل الابتهاج – ص : 361 . شجرة النور الزكية : 182/1 . الرسالة المستطرفة – ص : 62 . فهرس الفهارس : 476/1 .

2 – ج : بالجامع . والمسجد الجامع بقرطبة من أهم آثار الأمويين بالأندلس وأشهرها ، اعتنى به خلفاؤهم بالتتميم والزيادة ، كان نصفه مسقفا ونصفه عبارة عن صحن بلا سقف ، عدد قسي مسقفه تسعة عشر قوسا ، وسواري مسقفه بين أعمدته وسواري قبيه صغارا وكبارا ، مع سواري القبلة الكبرى وما يليها ألف سارية . وفيه مائة وثلاث عشرة ثريا للوقيد . أكبر واحدة منها تحمل ألف مصباح، وأقلها تحمل اثني عشر مصباحا...". وقد وصفه الحميري في صفة جزيرة الأندلس – ص: 153= 154= – 155 – 156 . وانظر أيضا : مسالك الأبصار : 160/13 . المقتبس في أخبار الأندلس – ص : 19 – 101 – 104 – 149 .

3 – قرطبة : Cordoba عاصمة الأندلس الأولى وقاعدة الأمويين بها . قال الحميري إنها كانت في ذاتها آنذاك خمس مدن يتلو بعضها بعضا ، وبين المدينة والمدينة سور حاضر . وفي كل مدينة ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمامات وغيرها . طولها من غربيها إلى شرقيها ثلاثة أميال ، وعرضها من باب القنطرة إلى باب اليهود ميل واحد . وهي في أسفل جبل مطل عليها يسمى جبل العروس . صفة جزيرة الأندلس ص : 153 .

4 – ب : أخبرنا .

5 – أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الإشبيلي يعرف بابن الخراط ، محدث حافظ فقيه خطيب مشارك . ولد سنة 510 هـ أخذ بإشبيلية عن أبي الحسن بن شريح وابي حفص عمر بن أيوب وطاهر بن عطية المري ، وأبي بكر بن مديد ، وطارق بن موسى ، وأحمد بن عبد الملك الأنصاري ، تصدر للتدريس والقضاء ببجاية حيث أخذ عنه جمع غفير منهم : ابن عربي الحاتمي ، وأبو مدين التلمساني وغيرهما . توفي ببجاية سنة 582 عند نكبة تعرض لها من قبل الموحدين بعد تغلبهم على ابن غانية . من مؤلفاته : الجمع بين الصحيحين ، والمعتدل في الحديث ، وكتاب المرشد ، والأحكام الشرعية الكبرى والصغرى والوسطى ، وكتاب الحافل في اللغة وغيرها .انظر : الذيل والتكملة : 1 / 265 – 149/4 . المعجب – ص : 391 . عنوان الدراية – ص : 41 . شرف الطالب – ص : 65 . الديباج المذهب : 59/2 . الرسالة المستطرفة – ص : 130 . هدية العارفين : 503/5 . الأعلام للزركلي : 280/3 . معجم المؤلفين : 92/5 . الموسوعة المغربية : 86/1 . مظاهر النهضة الحديثة في عصر الموحدين : 70/2 . معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الأقصى – ص : 44 .

6 – أبو مروان بن مسرة ، الفقيه المحدث . لقيه أبو علي الحسن بن إبراهيم بن محمد بن تقي الجذامي المالقي ،سنة 508 هـ . وأخذ عنه كذلك ابن الطحان مسند النسائي،وغيرهما.الإحاطة : 327/2. النفح : 508/2 – 634 . وقد

سفيان [1] قال : (حدثنا)[2] أبو العباس بن دلهاث . العذري [3] قال: (حدثنا) [4] أبـو العـباس أحمد بن الحسن الرازي[5] بمكة سنة تسع وأربعمائة ، قال : (حـدثنا) [6] أبو أحمد الجلودي [7] عـن إبراهيم بن محمد

بـن سفيان الفقيه [1] قال : (حدثنا) [2] أبو الحسين مسلم بن الحجاج[3]، قال قال : (حدثنا) [4] (عبيد) [5] الله بن معاذ العنبري [6] قال:(حدثنا)[7] أبي [8] قال : قال :

يكون المقصود أيضا : عبد الملك بن مسرة بن فرج اليحصبي . من أهل قرطبة ، واصله من شنتمرية شرق الأندلس ، يكنى أبا مروان سمع الموطأ عن عبد الله محمد بن فرج واختص بالقاضي أبي الوليد بن رشد ، وصحب أبا بكر بن مفوز ، فانتفع به في معرفة الحديث والرجال والضبط ، وكان ممن جمع الحديث والفقه مع الأدب البارع والفضل والدين والورع والتواضع. وأخذ عنه ناس . توفي سنة 552 هـ . الإحاطة : 327/3 . المرقبة العليا : 99 . الديباج المذهب:18/2.وهو غير ابن مسرة الجزيري كاتب المنصور بن أبي عامر: الإحاطة:157/4 = = وغير ابن مسرة الجبلي الصوفي المشهور الذي أحرقت كتبه في قرطبة سنة350 هـ المرقبة العليا – ص : 78 .

1 – سفيان بن العاصي بن أحمد بن العاصي بن سفيان بن عيسى ، أبو بحر الأسدي ، فقيه محدث نشأ ببلنسية وتأدب بها وقرأ الفقه.سمع من ابن عبد البر كتاب الموطأ وغيره،ومن أبي العباس العذري، وروى عن الإمام الباجي وجماعة غيرهم.وروى عنه القاضي عبد الحق بن عطية المحاربي . له فهرسة . توفي سنة 520هـ . انظر : فهرسة ابن عطية – ص: 82 . فهرسة ابن خير الإشبيلي – ص : 428 . النفح : 71/2 . فهرس الفهارس : 987/2 .

2 – ب : أخبرنا .

3 – الوليد بن مزيد أبو العباس العذري . روى عن الأوزاعي وعثمان بن عطاء الخراساني وسليمان بن بشير ، وعبد الله بن شوذب ، وطائفة ، وعنه : ابنه العباس ، وأبو مسهر ، ودحيم ، كان ثقة . مات سنة 207 هـ . انظر المعرفة والتاريخ للبسوي : 143/1 . تاريخ بغداد : 121/10 . سير أعلام النبلاء : 419/9 . العبر في خبر من غبر : 343/1 . تهذيب التهذيب : 150/11 . شذرات الذهب : 2 / 8 .

4 – ب : أخبرنا

5 – أحمد بن الحسن بن بندار بن إبراهيم أبو العباس الرازي . محدث ، حدث بمكة وبهمذان عن أبي بكر الشافعي ، وأبي بكر بن خلاد ، والطبراني وعبد الله بن عدي الجرجاني ، وحدث عنه أحمد بن إبراهيم الرازي ، وأحمد البجلي ، وآخرون . توفي سنة : 409 هـ . انظر : سير أعلام النبلاء : 299/17 .

6 – ب : أخبرنا .

7 – محمد بن عيسى بن عمرويه . راوي صحيح مسلم . من أعيان الفقراء الزهاد . سمع من محمد بن إسحاق بن خزيمة ، وإبراهيم بن محمد بن سفيان ، وعبد الله بن شيرويه ، وغيرهم بنيسابور . وعنه أبو عبد الله الحكيم ، وأحمد بن الحسن بن بندار الرازي ، وعبد الغفار الفارسي من أعيان الفقراء الزهاد ، من أصحاب المعاملات في التصوف . توفي سنة : 368 هـ. ودفن بمقبرة الحيرة وهو ابن ثمانين سنة . انظر : العبر : 348/2 . الكامل في التاريخ : 711/8 . البداية والنهاية : 294/11 . شذرات الذهب : 67/3 . الوافي بالوفيات : 297/4.

(حدثنا)[9] كهمس [10] عن أبي هريرة [11]عن يحيى بن يعمر[1] قال : كان أول من قال بالقدر بالبصرة: معبد الجهني [2] فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري [3]

---

1 – أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان الفقيه الزاهد ، أحد أصحاب أيوب بن الحسن الزاهد . سمع من مسلم بن الحجاج صحيحه ، ومحمد بن مقاتل ، ومحمد بن أسلم الطوسي . وعنه : محمد بن عيسى الجلودي ، وأحمد بن هارون . قال فيه محمد بن أحمد بن شعيب : ما كان في مشايخنا أزهد ولا أكثر عبادة من إبراهيم بن محمد بن سفيان توفي سنة 308 هـ . انظر : الكامل في التاريخ : 123/8 . العبر : 136/2 . البداية والنهاية : 131/11 . شذرات الذهب : 252/2 . الوافي بالوفيات : 128/6 .

2 – ب : أخبرنا .

3 – أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري صاحب الصحيح . سمع من القعنبي وإسماعيل بن ابي أويس ، وأحمد بن حنبل ، وغيرهم ، من تصانيفهة: الجامع الصحيح ، الطبقات ، الكنى والأسماء... توفي سنة 261 هـ . انظر : الفهرست – ص : 286 . تاريخ بغداد : 100/13 . الكامل في التاريخ : 123/8 . البداية والنهاية : 33/11 . تذكرة الحفاظ : 588/2 . سير أعلام النبلاء : 558/12 .

4 – ب : أخبرنا .

5 – د : عبد .

6 – عبيد الله بن معاذ بن نصر بن حسان العنبري البصري ، ثقة حافظ ، روى عن أبيه معاذ بن معاذ، وروى عنه : مسلم في صحيحه وغيره . وقد رجح ابن معين أخاه المثنى عليه . مات سنة : 237 هـ . انظر : سير أعلام النبلاء : 389/11 . تقريب التهذيب : 539/1 .

7 – ب : أخبرنا .

8 – معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان التميمي القاضي الحافظ ، أبو المثنى العنبري البصري . حدث عن سليمان التيمي ، وأشعث بن عبد الملك ، وعوف الأعرابي ، وكهمس وغيرهم . وعنه : أحمد ، وإسحاق ، ويحيى ، وعلي ، وبندار ، وابن مثنى ، وابن أبي شيبة ، والوراق ، وأبو خيـثمة ، وخلق كثير. قال النسائي: معاذ ثقة ثبت . توفي سنة 196 هـ . انظر : طبقات ابن سعد : 293/7 =التاريخ الكبير للبخاري : 365/7 . تاريخ بغداد 131/13 . العبر : 320/1 .

9 – ب : أخبرنا .

10 – كهمس بن الحسن ، أبو الحسن التميمي الحنفي البصري العابد . أحد الثقات . روى عن أبي الطفيل ، وعبد الله بن شقيق ، وابن بريدة ، والحسن . وعنه : ابن المبارك ، ويحيى القطان ، ووكيع ، وغيرهم . قال فيه أحمد : ثقة وزيادة . توفي سنة 149 هـ . انظر : الطبقات الكبرى : 270/7 . طبقات خليفة بن خياط – ص : 221 . تاريخ ابن معين : 2/ 497 . خلاصة تذهيب الكمال – ص : 322 . تذكرة الحفاظ : 174/1 . سير أعلام النبلاء : 316/6 .

11 –أبو هريرة الدوسي . ودوس : قبيلة من الأزد . كان اسمه في الجاهلية : عبد شمس وهو صحابي جليل روى عنه ابن عباس ، وأنس ، وجابر ، وسعيد بن المسيب وخلق كثير ، يروى له حوالي خمسة آلاف وثلاثمائة وسبعين حديثا . توفي سنة : 58 هـ . انظر : الطبقات الكبرى : 362/2 . طبقات خليفة : 114 . المعرفة والتاريخ : 486/1 . الكامل في التاريخ : 21/3 . أسد الغابة : 315/5 . البداية والنهاية : 103/8. الإصابة: 4/ 202.

حاجين أو معتمرين ، فقلنا : لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله ρ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوقف لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب [4] [داخلا] [5]،فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله ، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي فقلت: يا أبا عبد الرحمن ، إنه قد ظهر قبلنا أناس يقرأون القرآن ، ويتفقرون العلم[6]، وذكر من شأنهم ، وأنهم يزعمون أن لا قدر ، وأن الأمر أنف [7] . فقال : إذا لقيت أولائك، فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم برءاء مني . والذي يحلف به عبد الله بن عمر، لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما (قبل) [8] الله منه ، حتى يومن بالقدر

---

1 – يحيى بن يعمر العدواني البصري ، أبو سليمان . ويقال : ابو عدي . قاضي مرو أيام قتيبة بن مسلم . روى عن أبي ذر ، وعمار بن ياسر ، وعائشة ، وأبي هريرة ، وابن عباس ، وابن عمر . وعنه : عبد الله بن بريدة ، وقتادة ، وعطاء الخراساني . توفي قبل 90 هـ . الطبقات الكبرى : 368/7 . طبقات خليفة : 203 . المعرفة والتاريخ : 141/2 .، تاريخ ابن معين : 666/2 . وفيات الأعيان : 173/6 . البداية والنهاية : 73/9 . تهذيب التهذيب : 305/11 .

2 – معبد بن عبد الله بن عليم الجهني البصري ، أول من قال بالقدر بالبصرة سمع الحديث من ابن عباس وعمران بن حصين وغيرهما . وحضر يوم التحكيم . كان ثقة صدوقا في الحديث ، من التابعين . مات سنة 80 هـ . قتله الحجاج . وقيل عبد الملك بن مروان صبرا أو صلبا بدمشق بسبب قوله في القدر . ويقال أنه أخذ ذلك من بعض النصارى . البداية والنهاية : 34/9 . شذرات الذهب : 88/1 . تقريب التهذيب : 262/2 ، الأعلام : 264/7 .

3 – حميد بن عبد الرحمن الحميري البصري . تابعي ثقة . روى عن أبي هريرة وابي بكرة وابن عمر . وعنه :عبد الله بن بريدة ، وابن سيرين وقتادة ، وغيرهم . قال ابن سيرين: هو افقه أهل البصرة =يقال : توفي سنة 81 هـ . الطبقات الكبرى : 147/7 . طبقات خليفة : 204 . تاريخ ابن معين : 137/2 . الثقات لابن حبان : 147/4 . الكاشف للذهبي : 1 / 192 – تهذيب التهذيب : 46/3 .

4 – عبد الله بن عمر بن الخطاب ، أبو عبد الرحمن القرشي العدوي ، صاحب رسول الله ρ . استصغر عن أحد وشهد الخندق وما بعدها مع النبي ρ . روى علما كثيرا عن السابقين . شهد فتح مصر والغزو بفارس . توفي سنة 73 و 74 هـ . ابن سعد : الطبقات الكبرى : 373/2 . طبقات خليفة – ص : 22 . تاريخ الثقات للعجلي – ص : 269 ، ترجمة : 855 . الثقات لابن حبان : 209/3 . حلية الأولياء : 292/1 ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب : 341/2 . أسد الغابة : 227/3 . تجريد أسماء الصحابة : 325/1 .

5 – في : أ، ب : داخل .

6 –أي يستخرجون غامضه ويفتحون مغلقه . وأصله من : فقرت البئر إذا حفرتها لاستخراج مائها . فلما كان القدرية بهذه الصفة من البحث والتتبع لاستخراج المعاني الغامضة بدقائق التأويلات، وصفهم بذلك . (اللسان / فقر) .

7 – روضة أنف : أي لم يرعها أحد ولم توطأ . وفي الحديث : إنما الأمر أنف : أي يستأنف استئنافا من غير أن يسبق به سابق قضاء وتقدير . وإنما هو على اختيارك ودخولك فيه .(اللسان / أنف).

8 – د : قبله .

. ثم قال : حدثني أبي عمر بن الخطاب قال : بينما نحن عند رسول الله (ص) ذات يوم ، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر (السفر) [1] ولا يعرفه منا (أحد) [2] ، حتى جلس إلى النبي ρ ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال :يا محمد، أخبرني عن الإسلام . فقال رسول الله ρ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتوتي الزكاة ، وتصوم [3] رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا . قال : صدقت ، قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال : فأخبرني عن الإيمان . قال : أن تومن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وتومن بالقدر خيره وشره . قال : صـدقت. (قال) [4] : (فأخبرني عن الإحسان ، قال:أن تعبد الله كأنك تراه،فإن لم تكن تراه فإنه يراك)[5].قال فأخبرني عن الساعة،قال:ما المسؤول عنها بأعلم بأعلم من السائل.قال:فأخبرني عن[أماراتها][6]، قال: أن تلد الأمة ربتها،وأن ترى الحفاة الحفاة العراة،العالة رعاء(الشاء)[7]يتطاولون في البنيان. قال:ثم انطلق ، فلبث مليا ، ثم قال : ياعمرأتدري من السائل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : (فإنه) [8] جـبريل

---

1 - ب : سفر .

2 - ج : واحد .

3 - ج : زيادة : شهر .

4 - ساقط من : ج .

5 - ساقط من : ج .

6 - في : أ ، ب ، د : أمارتها .

7 - ج : الشاة .

8 - ج : إنه .

أتاكم يعلمكم [أمر] [1] دينكم [2] . قال أبو عبد الله البخاري [3] حين أورد هذا الحديث الحديث : فسمى ذلك كله دينا [4] .

فظهر لك من هذا الحديث الجليل ، أن الدين قائم من ثلاث مقامات محتويات على إسلام وإيمان وإحسان ، كما تقدم ، وأن جميع وظائف الدين الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان وأعمال الجوارح ، وإخلاص المقاصد، والتحفظ من آفات النفس وعللها وغير ذلك داخل تحت نطاقها، فإذا اعتبرتها وجدتها راجعة إلى معنى هذا الحديث .ثم إن هذه المقامات لها بداية وهو الإسلام، وتمكين وهو الإيمان، وغاية وهو الإحسان .

فالإسلام يشتمل على وظائف الظاهر ، وهي الغالبة عليه ، وذلك من عالم الشهادة [5] ، تأنيسا للطباع البشرية في معاملتها أولا بما لا [تنفر][6] عنه ، لما جبلت [7] عليه النفس من الأنس **|18|** بعالم الشهادة حين علقت به ، فبرئت [8] به كأنها لا تعرف غيره .

والإيمان يشتمل على وظائف الباطن ، وهي الغالبة عليه ، وذلك من عالم الغيب، وكأن النفس لما ارتاضت بالتكليفات الظاهرة درجت إلى ما وراء ذلك من عالم الغيب ، وهي الأعمال [الباطنة] [9]القلبية . ولما انفتح لها باب من أعمال الظاهر

---

1 – زيادة في : ب ، ساقطة من : أ ، ج ، د .

2 – حديث متفق عليه . أخرجه مسلم في صحيحه – ح 1(8) . والبخاري : ح 50 .

3 – أبو عبد الله البخاري : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه ، من أهل بخارى ، جامع أحاديث الرسول pفي كتابه المشهور بالصحيح . سمع ببخارى عن عدد من الشيوخ، ولما حج ، تخلف هناك لطلب الحديث . توفي سنة : 256 هـ عن 62 سنة . ترجم له عدد لا يحصى من المؤرخين وأصحاب التراجم ، والحديث . انظر مثلا : تاريخ بغداد : 4/2 . العبر : 12/2 . سير أعلام النبلاء : 391/12 . تذكرة الحفاظ : 255/2 ... الخ .

4 – انظر : الجامع الصحيح : 157/1 .

5 – عالم الخلق وعالم الملك وعالم الشهادة ، هو عالم الأجسام والجسمانيات . وهو ما يوجد بعد الأمر بمادة ومدة ومدة كالأفلاك والعناصر وغيرها . اصطلاحات الصوفية – ص : 106 . وهو يقابل في الاصطلاح الصوفي عالم الغيب . معجم المصطلحات الصوفية – ص : 118 .

6 – في أ : تفر .

7 – جبلت : طبعت . والجبلة الطبع وأصل الخلقة . (اللسان/ جبل).

8 – برئت : أي خلقت . (اللسان/ برا).

9 – في أ : الباطنية .

للعبادة ، وأشرقت [عليها][1] من ذلك أنوار ، وتعلقت همتها بعالم الغيب ، نقلت إلى الوفاء بالأعمال الباطنة .

ثم ، لما تمكنت في الأعمال الباطنة ، واطلعت على (عالمها) [2] ، وأشرفت وأشرفت على طهارتها ، وتعلقت همتها بعالم الملكوت[3] ، نقلت إلى الوفاء بالأسرار الإحسانية ، ومن هناك تدرك غاية طهارتها وتصفيتها والاطلاع على معارف الحقائق الإلهية . وهذه تربية حسنة ، وتدريج بديع يفهم من جنبات معنى حديث جبريل عليه السلام . ولو كلفت النفس أولا وظائف الإحسان لنفرت عنه ، لبعد معناه عما علقت به من عالم الشهادة .

فإذا تبين هذا ، فالإسلام له معنى يخصه ، وهو انقياد الظاهر (للعمل) [4] بما كلف (به) [5] من وظائف الدين مع ما لابد منه من التصديق. والإيمان له معنى معنى يخصه ، وهو تصديق القلب بجميع ما تضمنه الدين من الإخبار بالغيوب ، مع ما لابد منه من شعبه . والإحسان له معنى يخصه ، وهو تحسين جميع وظائف الدين الإسلامية والإيمانية، بالإتيان بها على أكمل شروطها وأتم وظائفها ، خالصة من شوائب عللها ، سالمة من طوارق آفاتها .ثم إن الإسلام داخل تحت نطاق الإيمان، إذ لا إيمان لمن لا إسلام له . والإسلام والإيمان داخلان تحت نطاق الإحسان ، إذ لا إحسان لمن لا إيمان [6] ولا إسلام له . وهنا نكتة بديعة توضح لك ما ما (ربما) [7] لم يزل خافيا على بعض الناس، وذلك أن الشرع (نسب) [8] كل مقام إلى ما يغلب عليه .فإذا غلبت أوصاف الظاهر على أوصاف الباطن حتى إن الباطن

---

1 - في أ : عليه .

2 - ب : عللها .

3 - يقصد بعالم الأمر ، وعالم الملكوت ، وعالم الغيب : عالم الأرواح والروحانيات لأنها : " وجدت بأمر الحق بلا واسطة مادة ومدة " . اصطلاحات الصوفية – ص : 106 . ويقابله عادة : عالم الخلق ، وعالم الملك ، وعالم الشهادة .

4 - ساقط من : ج .

5 - ج : فيه .

6 - في أ ، ج : زيادة : له .

7 - ساقط من : ج .

8 - ساقط من : ج .

يستمد من أنوار الظاهر ، سمي بالغالب عليه وهو الإسلام . فإذا غلبت أوصاف الباطن على أوصاف الظاهر ، حتى أن الظاهر يستمد من أنوار الباطن ، سمي بالغالب عليه [وهو الإيمان .فإذا تصفت النفس وتطهرت ، وصارت نورا ، (يضيء)[1] منها الباطن والظاهر ، سمي بالغالب عليه][2] وهو الإحسان .

فأعطي الاسم للغالب على عادة العرب في إعطاء الحكم (للأغلب) [3] والأكثر. فكل مقام لابد [و][4] أن يكون فيه من غيره ، فمن مقل ، ومن مكثر.وليس قولنا : مقام الإسلام نعني به أنه عرى عن غيره ، من إيمان وإحسان، وكذلك مقام الإيمان و[مقام] [5] الإحسان . فإذا غلبت على السالك أوصاف مقام من هذه المقامات ، سمي به .وقد يسمى بالمقام من حصل على بعضه بنوع من الاتساع والمجاز، والأول اقرب للحقيقة .

فــصــــــــــل

والعمل في سلوك هذه المقامات ، هو الأخذ بالبداية ، حتى إذا أحكمها واتصف بمقتضاها بلغته إلى التمكين ، حتى إذا أحكمه واتصف بمقتضاه، بلغه إلى النهاية. [ولا يمد قدما إلى نهاية] [6] حتى يتخلص من وظائف التمكين ، كما لا يمد قدما إلى تمكين حتى يتخلص من وظائف البداية أو يقارب – على الخلاف المتقدم – ، إذ لكل مقام من هذه المقامات بداية وتمكين ونهاية .

فبداية الإسلام التوبة ، وتمكينه الاستقامة ، ونهايته التقوى . وبداية الإيمان الإخلاص ، وتمكينه الصدق[7] ، ونهايته الطمأنينة . وبداية الإحسان المراقبة[1] ،

---

1 – ج : يضاء .

2 – ساقط من : أ ، ومستدرك بهامشها .

3 – ب : للغالب .

4 – زيادة في ج ، د – ساقطة من أ ، ب .

5 – زيادة في ج، د – ساقطة من : أ ، ب .

6 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

7 – التعريفات – ص : 137 . وانظر أيضا : الرسالة القشيرية – ص : 150 . معجم المصطلحات الصوفية – ص : 108 .

وتمكينه المشاهدة [2]، ونهايته المعرفة . وهذه البدايات والتمكينات والنهايات هي المعبر عنها بالمنازل .

ولكل منزل ذكر يقتضي معناه حصول وظائف منزله ، ولكل ذكر مقصد يجري عليه معنى الذكر ، ولكل مقصد ثمرة ، وهي عنوان على الوفاء بحق (المقصد) [3] ، ولكل ثمرة نتيجة ، وهي تحلية النفس بإحدى عشرة صفة حميدة ، وتزكيتها عما ينافيها (بإحدى)[4] عشرة صفة ذميمة. (كل ذلك خاص بالمنزل الذي هو سالكه. وكل صفة حميدة أو صفة ذميمة)[5] تستتبع **[19]** ما يناسبها من (الصفات) [6] الحميدة أو الذميمة، ولكل نتيجة علامة يستدل بها على حصولها ورسوخها .

وقد ختمت كل منزل بوصية تناسب حال صاحبه،كل ذلك على (سبيل)[7] الاختصار من غير تطويل ، فلنبدأ أولا من : مقام الإسلام : [ببدايته][8] ، وهي التوبة. فإذا قام بشروطها ولازم ذكرها ، مبنيا على مقصده حتى لاحت ثمرته ، و(

---

1 – المراقبة : " إدامة علم العبد باطلاع الرب ، أو القيام بحقوق الله سرا وجهرا خالصا من الأوهام صادقا في الاحترام ... فمراقبة أهل الظاهر حفظ الجوارح من الهفوات ، ومراقبة أهل الباطن حفظ القلوب من الاسترسال مع الخواطر والغفلات ، ومراقبة أهل الباطن حفظ السر من المساكنة إلى غير الله . معراج التشوف – ص : 29 .

2 – يقول القشيري : " المشاهدة هي حضور الحق من غير بقاء تهمة . فإذا أصحت سماء السر عن غيوم الستر ، فشمس الشهود مشرقة عن درج الشرف . وحق المشاهدة ما قاله الجنيد : وجود الحق مع فقدانك ... وقال النوري : " لا يصح للعبد المشاهدة وقد بقي له عرق قائم " . الرسالة – ص : 43 . ويقول ابن عجيبة : " المشاهدة رؤية الذات اللطيفة في مظاهر تجلياتها الكثيفة ، فترجع إلى تكثيف اللطيف . فإذا ترقق الوداد ، ورجعت الأنوار الكثيفة لطيفة فهي المعاينة ، فترجع إلى تلطيف الكثيف . فالمعاينة أرق من المشاهدة وأتم . والحال أن شهود الذات لا يمكن إلا بواسطة تكثيف أسرارها اللطيفة في مظاهر التجليات ، إذ لا يمكن إدراك اللطيف ما دام لطيفا " . معراج التشوف – ص : 30 . ويرى الغزالي " أن المشاهدة ثلاثة : مشاهدة بالحق ،= =وهي رؤية الأشياء بدلائل التوحيد ، ومشاهدة للحق ، وهي رؤية الحق في الأشياء ، ومشاهدة الحق وهي حقيقة اليقين بلا ارتياب ". الإملاء – ص : 19 . وقال التهانوي : " المشاهدة هي رؤية الحق ببصر القلب من غير شبهة كأنه رآه بالعين " . كشاف اصطلاحات الفنون : 102/4 .

3 –ج : المقصود .

4 –ب ، ج ، د إحدى (بإسقاط الباء) .

5 – ساقط برمته من ج .

6 – ج : الصفة .

7 – ج : حسب .

8 – في أ : فبدايته .

أثمرت)[1] اتصافه بالصفات الخاصة بمنزله الاتصاف الثابت الراسخ ، وقامت على ذلك الدلالة ، بالعلامة التي يستدل بها على تخليص منزل التوبة ، انتقل إلى تمكين الإسلام ، وهو منزل الاستقامة . ثم كذلك من منزل إلى منزل حسبما ذكر ، حتى يبلغ إلى غاية المقامات ، وهي المعرفة .

ولا مطمع في النهايات إلا بتصحيح البدايات. فلا معرفة لمن لا مشاهدة له، ولا مشاهدة لمن لا مراقبة له، ولا مراقبة لمن لا طمأنينة له، ولا طمأنينة لمن لا صدق له، ولا صدق لمن لا إخلاص له، ولا إخلاص لمن لا تقوى له، ولا تقوى لمن لا استقامة له، ولا استقامة لمن لا توبة له. فيظهر لك حسن ترتيب منازل المقامات ، وارتباط بعضها ببعض .

وقد (يتكرر)[2]بعض الأذكار في بعض المنازل،لأمراقتضته الحكمة ،لكن تختلف المقاصد في ذلك باختلاف المنازل.وهذه المنازل وإن اختلفت،فبناؤها على قواعد التوحيد، لكل (منزل)[3] مرتبة تخصه من مراتب التوحيد، بها أساسه،وعليها اعتماده ، حتى توديه تلك المراتب التوحيدية إلى غايتها المعبر عنها بالمعرفة،وهي المرادة من سلوك هذا الطريق ، المقصودة من ثمرات التصديق والتحقيق[4]، (مع)[5] حفظ ملابس الشرع ، والتزام وظائف الأدب[6] ، والقيام بأحوال السنة. وكان نهاية كل مقام ، نتيجة بدايته وتمكينه. فالتقوى نتيجة التوبة والاستقامة، والطمأنينة نتيجة

---

1 – ج ، د : أثمر .

2 – ب : تتكرر – ج : تكون – د : يكون .

3 – ج : واحد .

4 – يعرف الطوسي التحقيق بأنه : " تكلف العبد لاستدعاء الحقيقة جهده وطاقته " اللمع – ص 413 ، ويرى القاشاني أنه : " شهود الحق في صور أسمائه التي هي الأكوان والأعيان ، فلا يحتجب المحقق بالحق عن الخلق ول بالخلق عن الحق " . اصطلاحات الصوفية – ص : 156 . وانظر أيضا: كشاف اصطلاحات الفنون : 89/2 . معجم المصطلحات الصوفية – ص : 58 .

5 – ساقط من ج .

6 – الأدب : " الخروج من صدق الاختيار والتضرع على بساط الافتقار " – كشاف اصطلاحات الفنون : 80/1 . وقال الغزالي : " الأدب ثلاثة : أدب الشريعة ، وهو التعلق بأحكام العلم بصحة عزم الخدمة والثاني أدب الخدمة ، وهو التستر عن العلامات والتجرد عن الملاحظات . والثالث أدب الحق ، وهو موافقة الحق بالمعرفة " – الإملاء – ص : 19 .

الإخلاص والصدق، والمعرفة نتيجة (المراقبة) [1] والمشاهدة . فمن صح له مقام الإسلام بتوفية وظائفه سالمة من عللها ، صادقة في رسوخها قيل له : قد [حصلت] [2] مقام الإسلام ، وارتسمت في زمر أهل التقوى ، فخذ في سلوك مقام الإيمان . فإذا صح له مقام الإيمان بتوفية وظائفه سالمة من عللها ، صادقة في رسوخها ، قيل له) [3] : قد [حصلت] [4] مقام الإيمان وحططت بساحة أهل الطمأنينة ، فخذ في سلوك مقام الإحسان . فإذا صح

له مقام الإحسان بتوفية وظائفه سالمة من عللها ، صادقة في رسوخها ، قيل له: قد حصلت مقام الإحسان ولحقت بأهل المعرفة ، فأنت على بينة من ربك.

ولكل منزل من منازل المقامات ، علامة يستدل بها على حصوله ورسوخه ، حسبما يأتي بيانه في كل منزل إن شاء الله . وقد بسطت الكلام فيما يتعلق بالثلاث المقامات من الرسوم العلمية حين تكلمت على حديث جبريل في كتاب : " التجر الربيح، شرح الجامع الصحيح " . وليس مرادنا من ذلك [هنا] [5] إلا ما يرجع إلى الرسوم العلمية الذوقية ، حسبما يأتي بسطه بعد (بحول الله تعالى)[6] .

فــصـــــــــل

واعلم أن النفس [كانت] [7] قبل تركيبها بالجسم ، طاهرة صافية زكية متصفة متصفة بتسع وتسعين صفة [حميدة] [8] ، تناسب طهارتها وزكاها ، فلما تركبت بالجسم ومالت إلى طبعه كما ذكر ، وتخلقت بمقتضياته ، اتصفت من ذلك بصفات ذميمة منافية لتلك الصفات الحميدة ، وتعلقت بذلك تعلقا حجبها عن أوصافها الحميدة التي تصل بينها وبين عالمها ، حتى نسيته ، ميلا إلى عالم الجسم .

---

1 - ج : التوبة .
2 - في أ : خلصت .
3 - ساقط برمته من ج .
4 - في أ : خلصت .
5 - في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .
6 - ج : إن شاء الله - - د: إن شاء الله بحوله وقوته .
7 - في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .
8 - في أ : زكية .

فالسعيد من زكاها عن أوصافها الذميمة ، وحلاها بأوصافها الحميدة ، قال الله عز وجل : [قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها] [1]. وقال عز من قائل : [ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه ، وإلى الله المصير] [2] ثم بين تعالى فرق ما بين من زكى نفسه بصفاتها الحميدة ، فلاحت له شموس المعارف، فأطلع بها على غوامض الاسرار ، و بين من غطى نفسه بصفاتها الذميمة ، فحجبته عن موارد التخصيص . فقال تعالى : [وما يستوي الأعمى والبصير ، ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور ، وما يستوي الأحياء ولا الأموات] [3] . وقال تعالى : [أو من كان ميتا فأحييناه،وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها] [4] ، إلى غير ذلك من الآيات المؤذنة بشرف زكاء النفس بالصفات الحميدة ، ودناءة تلويثها بالصفات [الذميمية] [5] .وللإنسان من عالم الجسم حجاب يحجبه عن الاطلاع على أسرار الغيب. وفرق ما بين (الحالتين)[6] . **|20|** وإلى ذلك (الإشارة) [7] بقوله ρ: وإنما تعرفون عواقب أعمالكم ، لو[8]طويت صحائف آجالكم . وكان والدي رضي الله عنه يقول ، متى جرى ذكر من هذا المعنى: "إذا انقشع الغبار ، يعرف من هو على فرس، ممن هو على حمار"[9].فالنفس إذا فارقت الجسم ، وغابت عنه ، انكشفت لها عواقب الأمور ، فظهر لها قدر ما فاتها من ربها ، فندمت حين لا ينفع الندم .

---

1 – سورة الشمس / الآية 9 – 10 .

2 – سورة فاطر / الآية 18 .

3 – سورة فاطر / الآية 21 .

4 – سورة الأنعام / الآية 122 .

5 – في أ : ساقط بفعل الأرضة .

6 – ب ، ج : الحالين .

7 – ب : أشار .

8 – ب ، د : زيادة : قد .

9 – الكلام مقتبس من بيت شعري مشهور ينسب لابن المعتز وهو :

سوف ترى إذا انجلى الغبار ** أفرس تحتك أم حمار

الإحياء : 9/4 . زهر الأكم في الأمثال والحكم : 77/3 .

فالرابح من يسر {لليسرى }[1] بطهارة نفسه، وتصفيتها، والخاسر من يسر)[2] للعسرى [3] بتلويث نفسه وتكديرها . وكل ما ورد به الشرع،إنما هو طريق لتحلية النفس بالصفات الحميدة ، وتزكيتها [عن الصفات] [4] الذميمة . فـ"الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأماني"[5] . وكلما تحلت النفس (بصفة)[6] حميدة ، تزكت لا محالة عما ينافيها من الصفات الذميمة. وعلى قدر ما يبقى على النفس من تحليتها وتزكيتها ، يكون إخلادها إلى البعد عن الله تعالى .وليس المراد هنا بالتحلية والتزكية ، ما يوجد في النفس ، وقتا دون وقت، [وإنما] [7] المراد بذلك ما يرسخ في النفس من الصفات الحميدة ، ويثبت فيها حتى تعود مخلقة به ، ذاهلة عن ضده ونقيضه، فتتصف بالصفات الحميدة وتتطبع بها حتىٍ يعسر عليها الخروج عنها أو عن شيء منها ، وتخرج عن الصفات الذميمة خروجا كليا لا رجعة لها فيه، وهذا لا مطمع فيه إلا بسلوك طريق (التربية) [8] بما تقتضيه معاني الأذكار حسبما رسمه الربانيون أطباء الأنفس.

فبسلوك مقامات الدين وقطع منازلها على أكمل أحوالها بتوفية شروطها وآدابها، وبناء أذكارها على أساس مقاصدها ، تكمل طهارة النفس وتصفيتها ، فترجح إلى ربها (مطمئنة) راضية مرضية ، فتحل في فراديس الفوز ، وتتجلى لها حقائق الأسرار .

---

1 – ب ، د : للحسنى .

2 – ساقط من ج .

3 – مقتبس من لفظ الآيات : 5 إلى 10 / من سورة الليل : [فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى ، فسنيسره لليسرى ، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى ، فسنيسره للعسرى] .

4 – في أ : بالصفات .

5 – حديث رواه الترمذي من طريق شداد بن أوس . انظر : الجامع : ح : 2577 . وقال : حديث حسن. ورواه أيضا البيهقي في السنن الكبرى : 369/3 . والحاكم في المستدرك : 57/1 .

6 – ج : بالصفات .

7 – في : أ ، ب : إذ .

8 – ج : التنزيه .

وها أنا أذكر كل مقام بما يتعلق به من المنازل والشروط والآداب والأذكار والمقاصد والثمرات والنتائج والعلامات وغير ذلك ، معتصما في ذلك بالواحد الحق الهادي الفتاح، يوتي الحكمة من يشاء[1]، وهو الحكيم العليم . (وحسبي الله ونعم الوكيل) [2] .

البـــــاب الثانــي
في مقام الإسلام وما يتعلق به مـن المنازل والأذكار والمقاصد والثمرات وغيـر ذلك

1 - اقتباس من لفظ الآية 69 / من سورة البقرة : [يوتي الحكمة من يشاء ، ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيراكثيرا] .

2 - ساقط من : ب ، ج ، د .

اعلم ، جعلني الله وإياك ممن ظفر بقربه ، وفاز بمعرفته وحبه ، أن الإسلام **في اللغة** ، هو الانقياد (مطلقا) [1] ، وفي الشرع انقياد الجوارح في قيامها بما يخصها من وظائف الدين .

فإما يكون ذلك من باب إعطاء الحكم للغالب، أو حمل الاسم على ما يسبق للأفهام، لأن الباطن لا يخلو من مشاركة الظاهر في معنى الإسلام ، بما يقتضيه من الانقياد. وبهذا الاعتبار يفهم قوله تعالى : [إن الدين عند الله الإسلام][2] ، لاحتماله أن يكون المراد بالإسلام وظائف الظاهر ، فيعبر عن جميع الدين بها ، إجراء للاسم على الغالب، كما [ورد] [3] :

الحج (عرفة)[4] أي معظم الحج (عرفة) [5] . أو يكون ذلك عبارة عما اشتمل عليه الظاهر والباطن من أمر الانقياد .

وقد جاء في الكتاب والسنة ما يدل على عموم اسم الإسلام لأعمال الظاهر والباطن .لكن حديث جبريل يقتضي اختصاصه بأعمال الظاهر .ويتصور الجمع بين الأمرين بحمل الاسم على الغالب .

والظاهر أن الشرع وسع العبارة في ذلك، فمرة عبر بالإسلام عن أعمال الظاهر وأعمال الباطن لعموم معنى الانقياد في ذلك، ومرة عبر بالإيمان عن أعمال الظاهر وأعمال الباطن ، حملا للفرع على مقتضى الأصل ، لأن عمل الباطن أصل في عمل الظاهر، ومرة خص كل اسم بموضوعه ،فعبر بالإسلام عن أعمال الظاهر ، وبالإيمان عن أعمال الباطن ، كما ورد في حديث جبريل عليه السلام. وقد أوردت في كتاب: "التجر الربيح شرح الجامع الصحيح" ، كلام أهل العلم في ذلك من خلاف ووفاق.

---

1 - ساقط من د .

2 - سورة آل عمران / الآية : 19 .

3 - في : أ ، ب ، ج : قالوا (وهو خطأ واضح ، لأن المقول حديث نبوي) .

4 - ب د.: عرفات . والحديث صححه السيوطي في الجامع الصغير – مع : فيض القدير ، للمناوي : 407/3 . وأخرجه أحمد من حديث عبد الرحمن بن يعمر في المسند : 309/4 .

5 - ب : عرفات

والذي ندرج عليه هنا هو أن الإسلام [عريق] [1] في أعمال الظاهر ، والإيمان [عريق] [2] في أعمال الباطن ، والإحسان [عريق][3] في تصفيتهما من جملة شوائب الأغيار والأوهام. وكل مقام يستتبع من غيره من المقامات أحكاما ووظائف، لكن أجري الاسم على الغالب .

وليس المراد من [4] هذا الكتاب إيراد مسائل الوفاق والخلاف ، ورسوم المقال بطريق المناظرة والجدال ، لكن المراد منه الإتيان بثمرة العلم النافع ، تسهيلا لطريق السالكين ، وتقريبا لمساعي المسافرين إلى الله عز وجل .

فالإسلام مقام ، والإيمان مقام ، والإحسان مقام ، ونهاية كل مقام تشترك مع بداية المقام الذي يتلوه في معنى ما. وفي ذلك سر ، لأن النفس إذا قطعت مقاما ، لا ترد على الذي يتلوه ، إلا وعندها (مما) [5] رقت عنه ، بعض خبر [بما] [6] رقت إليه. فيكون لها في ذلك تقريب وترييض ، فيستقيم السلوك على سبيل التدريج . وسيظهر لك (ذلك) [7] من كل مقام عند الكلام فيه بحول الله تعالى . والمنازل كالمقامات في اشتراك النهايات مع البدايات ، وبالله التوفيق [وحده] [8]

المنـزل الأول مـن مقـام الإسـلام

اعلم جعلني الله وإياك ممن أسلم وجهه لله، ولم يرفي الوجود (إلا) [9] الله أن أن أول منازل الإسلام : التوبة ، وهي بدايته ، لأنها ولوج لأول **|21|** الأبواب التي تشرع إلى طريق السالكين المسافرين إلى الله تعالى ، ونعني [هنا] [10] بالتوبة ،

---

1 - في : أ ، ج، د : غريق .

2 - في : أ ، ج ، د غريق .

3 - في : أ ، ج ، د ، عريق .

4 - في أ : ساقط بفعل الأرضة .

5 - ج : بما .

6 - في : أ ، ب : مما .

7 - في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

8 - في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

9 - ج : غير .

10 - في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

(التوبة)[1] العامة التي فرض الله على جميع أهل الإسلام في قوله عز وجل : [وتوبوا إلى الله جميعا أيها المومنون لعلكم تفلحون] [2] . وهي الرجوع من المعاصي إلى الطاعات . قال الله تعالى : [ومن لم يتب فأولائكهم الظالمون][3].

سمعت أبي (ض) يقول : للتوبة ثلاث مراتب : توبة في مقام الإسلام ، وهي الرجوع من المخالفات إلى الطاعات؛ وتوبة في مقام الإيمان، وهي الرجوع من الغفلة إلى استصحاب الذكر. وتوبة في مقام الإحسان ، وهي الرجوع من الأوهام إلى الحقائق. وخرج مسلم والبخاري عن عائشة قالت : قال رسول الله ρ : " إن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله ، تاب الله عليه " [4] .

وخرج الترمذي وابن أبي شيبة عن أنس قال : قال رسول الله ρ : " كل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون " [5]. وخرج الترمذي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ρ: " إن العبد إذا أخطأ نكتت في قلبه نكتة [6] سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب، صقل ، (وإن)[7] عاد ، زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو (الران) [8] الذي الذي ذكر الله تعالى : [كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون][9] إلى غير ذلك من أدلة الكتاب والسنة ، المتضمنة الترغيب في التوبة

---

1 – ساقط من ج .

2 – سورة النور /الآية: 31 .

3 – سورة الحجرات /الآية: 11

4 – متفق عليه . رواه البخاري : ح 4750 . ومسلم – ح 56 (2770) . والبيهقي : 153/10. والحاكم : 243/4 243/4 . والبغوي : 60/5 .

5 – رواه الترمذي ، ح : 2616 . وقال : حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث علي بن مسعدة عن قتادة ، وابن شيبة : 3 / 187 . قال العراقي في المغني عن حمل الأسفار 58/4 : أخرجه الترمذي واستغربه ، والحاكم ، وصحح إسناده من حديث أنس .

6 – النكتة : كالنقطة ، شبه الوسخ في المرآة والسيف ونحوهما . والنكتة : شبه وقرة في العتين (اللسان / نكت).

7 – ج ، د : فإن .

8 – ج ، د : الرين .

9 – سورة المطففين / الآية 14 ، والران والرين لغة : الصدأ والطبع والدنس الذي يعلو السيف والمرآة وران الذنب على قلبه : غلب عليه وغطاه . (اللسان / رين) . والحديث كله : أخرجه الترمذي في الجامع – ح 3390 . وقال : حديث حسن صحيح . وابن حبان في صحيحه – الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان :

وذلك أن العبد إذا هبت عليه نواسم الهداية، فاستيقظ من سنة [الغفلة][1]. وأفاق من سكرة المعاصي ، أضاء في باطنه قبس من نور الإيمان ، فأبصر به عيوب نفسه ، واطلع على عوراتها ، فتحركت عنده سلسلة الخوف من هول المطلع ، فلجأ إلى الله تعالى (بخالص) [2] المتاب ، طالبا النجاة ، وراغبا في الخلاص ، ومتعرضا للقبول .

فــصـــــــــــل

وهذه التوبة على ثلاثة أقسام : توبة من تضييع الواجبات، وتوبة من التلبس بالمحرمات، وتوبة من تحمل الظلامات. أما ترك الواجبات،كترك الصلاة أو الزكاة أو غير ذلك مما أوجب الله عز وجل القيام به على عباده، فالتوبة في ذلك: القيام بالواجب عليه حالا، والعزم على القيام به مآلا، وتلا في ما يجب القضاء فيه من (الفائت)[3]، بالقضاء مع الإمكان. وأما التلبس بالمحرمات، كشرب الخمر (أو) [4] الزنا (أو) [5] الكذب، أو غير ذلك مما (حرمه) [6] الله على عباده،فالتوبة (من)[7] ذلك: الإقلاع في الفور من غير توان، والعزم على استصحاب الإقلاع أبدا .وأما تحمل [الظلامات][8]، وهي عمارة الذمة بدم أو مال أو عرض ونحو ذلك، فالتوبة من ذلك الإقلاع عن ذلك حالا، والعزم على استصحاب الإقلاع أبدا، واستحلال المظلوم، واسرضاؤه إن عرف . وما عجز عنه من ذلك (فيلافيه) [9] بكثرة النوافل، وبذل الصدقات، وهبة أجر ذلك للمظلوم، والضراعة إلى الله تعالى في إرضاء الخصوم عنه وإقالة عثراته.وللتوبة شروط وآداب .

141/2 .

1 – في أ : الغافلين .

2 – د : بخلاص .

3 – ج : الفوائت .

4 – ب : و .

5 – ب : و .

6 – ب : حرم .

7 – ب، ج: في..

8 – في : أ ، ب ، د : الظلمات

9 – د : فتلافيه .

فــصـــــــــل

أما شروطها، فأربعة :

الأول :الإقلاع عن جميع[الذنوب][1] التي تاب منها، لأن الاقلاع [يضاد]

2

الإقامة ، ولا توبة من ذنب لمقيم عليه . وهو أكبر الكاذبين .

الثاني: الندم على ما [فات] [3]، وهو عمدة من عمد التوبة . قال النبي ρ "الندم توبة " [4]. والندم يضاد الاصرار، ولا توبة من ذنب لمصر عليه،**|22|** وهو أعظم أعظم المستهزئين.

الثالث: العزم. على أن لا يعود (إلى شيء)[5] مما أقلع عنه وتاب منه، لأن العزم (ضده) [6] التردد، ولا تصح توبة لا ثبات لعقدها، وهو اسوة المتلاعبين؛ والعزم (على توطين النفس) [7] على أن لا (عودة) [8] للذنب البتة. والنفس مهما أرخى لها في في زمامها مضت على أولها، واسترسلت في شهواتها، استرسال البهائم في مرعاها.

الرابع : القصد بالتوبة معاملة الحي القيوم بتعظيمه وخوف عقابه، لأن التوبة قد يكون الباعث عليها غير ذلك من (الأوهام)[9] التي ليست من معاملة الله Y في شيء، وهذا الشرط هو قطب سائر الشروط [10]، عليه مدارها.

فــصـــــــــل

---

1 - سقط من الأصل بفعل الأرضة.

2 - في أ: يضاده.

3 - في أ: ساقط بفعل الأرضة.

4 - رواه البيهقي: 154/10، والحاكم: 243/4، والبغوي: 91/5، وابن حبان (الإحسان...:) 6/2.

5 - ب، ج، د: لشيء .

6 - ب، د: ضد.

7 - ب: توطئة ، ج: على توطئة النفس، د: توطئة النفس .

8 - د: يعود.

9 - ب: الأهواء.

10 - ب: زيادة و.

وأما آدابها، فأربعة:

– **الأول:** ترك الأصحاب الذين ألفهم على التقصير وصحبهم على العصيان، فيعرض عنهم ويقاطعهم. وكذلك من يتوسم فيه الشر فهم شياطين الإنس، الذين أمر الله Y بالتعوذ منهم [1]. فهم وإن لم يدعوا للشر بأقوالهم ، فهم يدعون إليه بأحوالهم، والطبع يسرق (من) [2] الطبع. وإلى هذا المعنى الإشارة بقوله ρ : " المرء المرء [مع من أحب] [3]على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل"[4].

– **الثاني:** مواصلة أهل الخير، وموالفتهم، لا سيما الذين أقامهم الله تعالى هداة للخلق كالعلماء، فهم وإن لم يدعوا للخير بأقوالهم ، فهم يدعون إليه بأحوالهم . وإلى ذلك الإشارة بقوله ρ "الجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من جليس السوء " [5].

– **الثالث:** اجتناب مواضع السهو واللهو والغفلة، فإن النفس تنبعث بذلك إلى الشهوات، وتسترسل في الغفلة كالسماع المستعمل (الآن) [6] (بالآلة) [7] المطربة ، ، ونحو ذلك. ولا يخدعه في ذلك، ما يجده من تحريك باطنه، وهيجان طباعه، فإن ذلك خدعة طبيعية، وشرك خفي، لا مذاق فيه من طريق السالكين، ولا نفحة من سبيل العابدين، وسأبسط الكلام فيما يتعلق بالسماع منعا وجوازا في باب الجامع بحول الله.

---

1 – إشارة إلى الآية: 113 /من سورة ، الأنعام: [وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ...].

2 – ساقط: من ب.

3 – زيادة في ج ، ساقطة من: أ ، ب ، د. (وهي الأصل في لفظ الحديث).

4 – أخرجه الحاكم في المستدرك: 171/4 من حديث أبي هريرة، وصححه، ووافقه الذهبي في تلخيصه: 171/4، وعزاه السيوطي لأبي داود والترمذي وقال: " حسنه من حديث أبي هريرة. وأخطأ ابن الجوزي إذ ذكره في الموضوعات ". انظر: الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة: ص 177، ح: 367.

5 – وروي بلفظ: " الوحدة خير من جليس السوء، والجليس الصالح خير من الوحدة، وإملاء الخير خير من الصمت، الصمت، والصمت خير من إملاء الشر". قال العجلوني في كشف الخفاء، ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس: 334/2 – 335: رواه الحاكم وأبو الشيخ، والعسكري عن أبي ذر مرفوعا، والديلمي عن ابي هريرة، وانظر أيضا: السخاوي في: المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الالسنة، ص: 451 ح: 1261.

6 – ساقط من ج.

7 – ج ، د: بالآلات.

- **الرابع:** أن لا يذكر شيئا من لذاته التي خلت، ولا يخطر بباله شيئـا من شهواته التي سلفت على وجه الاستلذاذ، فإن النفس تتحرك بذلك لما قد خرجت عنه بالتوبة، وله أن يذكر ذلك ويتفكر فيه مقرونا بالوعيد عليه على وجه التخويف بالعقوبة ليسكن شره النفس، وتعلم قدرها(بما) [1] اقترفته، ولا تسكن إلى الأمن بما هي عليه من وظائف التوبة .

ذكـــــــر

واعلم أن الذكر الخاص بهذا المنزل هو الاستغفار. قالوا: الاستغفار مرهم[2] (جراحات)[3] الذنوب، به تداوى كلومها. قال الله عز وجل: [ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه، ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما][4]. وجاء في بعض (الأسانيد)[5] عن أنس بن مالك قال : "جاء رجل إلى رسول الله ρ، فقال: يارسول الله، إني درب اللسان، وأكثر ذلك على أهلي، فقال له رسول الله ρ، وأين أنت من الاستغفار" [6]. انظر إلى اختصاص هذا الدواء بهذه العلة على لسان الطبيب الأكبر، وكونه ρ، لم يقل له: وأين أنت من التهليل والتسبيح أو غير ذلك من سائر الأذكار، وإنما دله على ما يناسب حاله من الأذكار، وذلك دليل على استعمال الأذكار بحسب الأحوال.

فإن قلت: لابد في أخذ الدواء من معرفة الكيف والكم، فكيف يكون تناول هذا الذكر، وكم يكون عدد (الالتزام) [7] منه؟.فالجواب عن الكيف: أن الذكر له شروط وآداب.أما شروطه فخمسة:

أولها: أن يكون التوجه للذكر على طهارة، لأن التوجه إلى الله بذكره، ينبغي أن يكون على أكمل الأحوال وأشرفها. ومن كمالاتها أن يكون على طهارة. وقد ورد

---

1 - د: مما.

2 - المرهم: طلاء يطلى به الجرح. وهو ألين ما يكون من الدواء (اللسان / رهم).

3 - ج: جراحة.

4 - سورة النساء / الآية: 110.

5 - ج: المسانيد.

6 - رواه الدارمي في السنن: 302/2، وابن أبي شيبة في المصنف (ط: دار التاج)، 56/6 . كلاهما من طريق أبي أبي إسحاق عن ابي المغيرة عن حذيفة .

7 - ب : التزام .

أن النبي ρ، سلم عليه رجل، فأتى جدارا فتيمم فيه، ثم رد عليه السلام، فقيل له في ذلك ، فقال: "إني كرهت أن أذكر اسم ربي على غير طهارة [1]. أشار ρ إلى الكمال مع ما في الطهارة من السر الذي يعود على الباطن، بصفاء وتنوير.

ثانيها: أن يكون جلوس الذاكر للذكر متوجها إلى القبلة، لأن الذاكر يناجي ربه، فينبغي أن يكون منتصبا إلى بيت الله وحرمه. قال النبي ρ: خير المجالس ما استقبل به|**23**| القبلة [2]. (مع ما في التوجه)[3] إلى القبلة من السر الذي يعود بصرف الباطن إلى الله تعالى، وجمع الفكر في مناجاته ، وهو سر التوجه إلى القبلة في الصلاة.

ثالثها: الخلوة، فليقصد الذاكر [بتوجهه] [4] في ذكره مكانا (خليا عريا)[5] عن عن الشواغل ، لما في ذلك من تهيئة الفكر إلى القبول على معنى الذكر، وتهيئة النفس للورود على موارد الإخلاص، وأسرار الاختصاص ، وفي انفراد النبي ρ بغار حراء أول أمره دليل لذلك. ولم تزل (الخلوات) [6] من شأن أهل العبادات والرياضات وقلما يرد (على سالك) [7] فتح، ولا يلوح له سر في غير الخلوة. قال بعضهم: "لم أر شيئا أبعث على الإخلاص من الخلوة" [8].

رابعها: مدافعة الخواطر المغايرة لمعنى الذكر عن الفكر، ودرؤها على حسب الإمكان، لتصفو مرآة النفس لتلمح معنى الذكر، كي تتصف بمقتضاه. وذلك أن النفس تستمد من الحواس مواد ما لو فاتها ومتعلقاتها. فبعد أن تغيب تلك المواد

---

1 – أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، ح: 337، من حديث أبي الجهم، بلفظ: " أقبل رسول الله ρ من نحو بئر جمل، فلقيه رجل فسلم عليه، فلم يرد رسول الله ρ، حتى اقبل على الجدار، فمسح وجهه ويديه، ثم رد عليه السلام.

2 – أخرجه الحاكم في المستدرك: 4/269 – 270.

3 – ج : فالتوجه .

4 – في أ : بتوجيهه .

5 – ج : خاليا عاريا.

6 – د: الخلوة – ج: الخلوات به.

7 – ج: مسالك.

8 – النص بلفظه في الرسالة القشيرية. ص: 55 – وانظر أيضا: عوارف المعارف للسهروردي. ص: 163– منسوبا إلى ذي النون المصري.

عن (الجسم) [1]، فهي تختلج في الفكر. ولا تشك أن استعمال الفكر لذلك حجاب عن تلمح معنى الذكر، وشاغل عن تأمل مقتضاه. وعلى قدر خروج الفكر عن شواغل (الجسم) [2]، يكون خرق حجاب الغفلة. والمنجى من ذلك بالمجاهدة على مدافعة الخواطر، فهي، وإن لم (تذهب) [3] عنه بالجملة، فستذهب عنه شيئا بعد شيء، حتى لا يبقى منها اثر.

خامسها: المقصد، وهو[4] ما تحصل به [الفائدة] [5] التي عليها بناء الذكر. وتختلف المقاصد باختلاف الأذكار. وهذا الشرط آكد (سائر) [6] الشروط وألزمها، لأنه السر الذي (عليه يجري) [7] معنى الذكر. وقد علمت – أنجح الله سعيك في هذا الطريق– أن الذكر يدور على اللسان ليوثر معناه اتصافا في النفس بما يقتضيه المعنى، فإذا فلابد من إحضار قصد بين يدي الذكر يبنى عليه الفكر تدبره لمعنى الذكر، وبحسب تلمح الفكرمعنى القصد أثناء الذكر، تكون قوة التاثير في النفس.

وأهل التمكين في هذا الطريق لا يخلون حركة من حركاتهم، ولا سكنة من سكناتهم عن قصد (يتوجهون بمعناه)[8] إلى الله تعال. فلا أقل لأهل البداية من تواصل تواصل معنى [قصد] [9] الذكر أثناء الذكر بأبلغ ما يمكنهم، وكذلك سائر العبادات. روي عن طاوس [10] أنه سئل الدعاء، فقال: حتى أجد له قصدا، قال: أنا في طلب

---

1 – ب، ج، د: الحس.

2 – ب، ج، د: الحس.

3 – ج: تدفع.

4 – ساقط من د.

5 – في: أ، د: القاعدة.

6 – ج: كل.

7 – ج: يجد.

8 – ج: ما يتوجهون به.

9 – في: أ، ب: مقصد.

10 – طاوس بن كيسان، أبو عبد الرحمن اليماني الجندي. كان من أبناء الفرس الذين سيرهم كسرى إلى اليمن من موالي بحير بن ريسان الحميري. سمع زيد بن ثابت، وعائشة وأبا هريرة. وابن عباس. وعنه الزهري، وسليمان بن موسى الدمشقي، وعكرمة بن عمار. توفي سنة 105 هـ. بمكة. (طبقات ابن سعد: 537/5 – التاريخ الكبير للبخاري: 365/2، تهذيب الاسماء واللغات:251/1، حلية الأولياء: 3/4، البداية والنهاية: 235/9، تذكرة الحفاظ: 90/1، سير أعلام النبلاء: 38/5).

قصد لعيادة مريض [1] منذ شهر [2]. فلا شك أن المقاصد هي أرواح الأعمال، ولا يستقيم عمل لا روح له.

وأما آدابه فخمسة:

أولها: خلو [البطن][3] من الطعام، لأن الطعام يستحيل لبابه دما، فيسري في العروق حتى يملأها فيثقل بذلك بذلك الجسم، و(يكثر)[4] صعود الأبخرة إلى الدماغ، فبذلك يكون الكسل ويستولي النوم، وقد جاء: "لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا ، فتخسروا كثيرا". وعلى قدر الأكل من [كثرة أو قلة][5] تكون حياة الفطنة أو موتها. وقد جاء:" البطنة تذهب بالفطنة "[6]وجاء:" ما ملأ ابن آدم. وعاء[شرا] [7] من (بطن)[8]. (بطن)[8]. فليتحر أن يكون توجهه إلى الذكر على خلاء من بطنه. ولا أقل من هذا لأهل البداية.

ثانيها: جلوس الذاكر (إلى الذكر)[9] على هيئة تقتضي الخضوع والانكسار والمذلة. وليعلم أنه يناجي ملكا عظيما جليلا، والذاكر يستجدي من ربه النوال،ويستوهب منه الإحسان، بلسان الاضطرار والافتقار، فليجلس كجلوس المحتبي [10]، وليجعل رأسه على ركبتيه، (ففي)[11] هيآت الظاهر تأثير [في][1] الباطن

---

1 – د : زيادة: فما وجدته.

2 – في الإحياء: 397/4.

3 – في: أ، ب، د: الباطن.

4 – ب، ج، د: تكثر.

5 – في : أ ، ج ، د : كثر أو قل .

6 – قال الشيباني: "هو بمعناه عن عمرو بن العاص وغيره من الصحابة فمن بعدهم (تمييز الطيب من الخبيث، ص: 54).

7 – في أ: أشر شر (كذا).

8 –ب،د: بطنه. والحديث أخرجه الترمذي في الجامع: ح: 2486. وقال: حديث حسن صحيح. وأخرجه أيضا ابن حبان: (الاحسان : 330/7 – 331 بلفظ: "ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن. حسبك ياابن آدم لقيمات يقمن صلبك. فإن كان لا بد فثلث طعام، وثلث شراب وثلث نفس").

9 – ب، د: للذكر.

10 – الاحتباء بالثوب: الاشتمال. وهو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره. ويشده عليه. وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب، (اللسان/حبا).

11 – ذ: فمن.

بحسب مقتضى الهيئة. وذلك (أن)[2] النفس، للعلاقة التي بينها وبين الجسم إذا اتصف الجسم بصفة اتصفت النفس بموجبها.

وإذا تأملت وظائف الظاهر من أمور الدين، وجدت المطلوب منها اتصاف النفس (بسر)[3] تلك الوظائف وتحليتها بموجب أعمال الظاهر. وإلا، فانظر إلى وضع الجبهة على الأرض في السجود، وإلى ما يسري (للنفس)[4] بسبب [ذلك][5] من الذل والخضوع والصغار، فتعلم بذلك أن اتصاف النفس بصفة الذل والخضوع والصغار لعظمة الله وجلاله، هو المراد من وضع الجبهة على الأرض، وكذلك سائر ما كلف الخلق به من أعمال الظاهر. فإذا|**24**| (فللهيآت)[6] الظاهرة (تأثير)[7] في اتصاف الباطن بموجبها.

ثالثها: تغميض العينين عند التوجه للذكر، لأن ذلك يعين على جمع الفكر لتلمح معنى الذكر والعثور على لباب سره، ولا شك أن الفكر يتشعب بحسب (شعب)[8] الشواغل الواردة عليه من قبل الحواس وكل شعبة من تلك (الشعب)[9] تأخذ من الفكر موضعا على حسبها. فإذا تسلطت الحواس على مقتضياتها من النظر والسمع وغير ذلك، انقسم الفكر شعبا بحسب مقتضيات الحواس. وقد يكثر ذلك فيستغرق الفكر حتى لا يبقى منه لتلمح معنى الذكر شيء، أو (تبقى)[10] منه نبذة يسيرة لا تفي بالمراد، ولا تهدي إلى الرشاد.ولأجل هذا استحبت الخلوة للذاكر ليبعد عن الشواغل

---

1 - في جميع النسخ، ساقط من الأصل.

2 - ب: لأن.

3 - ساقط من ج.

4 - ج: على النفس.

5 - في أ: سقط بفعل الأرضة.

6 - ب: فالهيئة.

7 - ب: تؤثر.

8 - ساقط من د.

9 - ب: الشعاب.

10 - ب: يبقى.

والذاكر يناجي ربه، فحقيق أن يحسم موارد الشواغل)[1] عن فكره ، والعين أشد الحواس الحواس شغلا للفكر.

رابعها: اتخاذ سبحة (ليحصر)[2] بها عدد التزامه.

فإن قلت: يكفي من ذلك الحصر بالأصابع.

فالجواب: إن من المطلوب دفع الشواغل عن فكر الذاكر مهما أمكن، لا سيما أهل البداية الذين للشواغل أثر في بواطنهم. [فإذا كان][3]يحصر الذكر بأصابعه، كان له شغل من حصر الآحاد والعشرات والمئين، وربما لم (يصل بذلك إلى)[4] التحقيق، لا لا سيما في العدد الكثير، كالألف وما فوقه. مع ما له [بذلك][5] من شغل بال، و(تشتيت)[6] حال . فظهر أن اتخاذ [سبحة] [7] يحصر بها الذاكر ورده ، أسلم له من من اشتغال الفكر ، وأحفظ [لجمع][8] البال .ومن المستحب فيها أن تكون وترا . فإذا فإذا كانت مائة يزيد فيها واحدة . وأن تكون مما لا يسمع له صوت .

وهذا ، وإن كان متأكدا في حق أهل البداية ، فلا يتركه أهل النهاية ، فقد روي أن أبا القاسم الجنيد كانت سبحة في يده فقيل له : أنت مع شرفك تحتاج إلى سبحة ؟ - يشير إلى عمارة أنفاسه بالذكر - فقال : شيء وصلت به إلى الله ، لا أفارقه [9]. وقد جاء أن أبا هريرة رضي الله عنه ، كانت له سبحة من ألف عقدة ، لا ينام حتى يتمها [10] .واتخاذ السبحة من الأمر المعروف [1] الذي لا ينكر، وقد درج على على ذلك السلف الصالح، ولا ينكر ذلك إلا أهل البطالة .

---

1 - ساقط برمته من ج.

2 - ب: ليحصي - د: ليخص.

3 - في أ: فلذا كان بحيث - ج: فإذا بحيث.

4 - ج: يحصل بذلك على.

5 - في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

6 - ج : تشعب .

7 - في أ : السبحة .

8 - في أ : لجميع .

9 - بلفظه في الرسالة القشيرية ، ص : 21 .

10 - المنحة في السبحة ، لجلال الدين السيوطي ، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط. ص:60.

خامسها : أن لا يقطع في أثناء ورده بشيء (من)[2] كلام أو غيره ، وكان الذاكر إذا توجه لأداء ورده قادم على الله تعالى يخاطبه ويناجيه ويحاضره. فقبيح قطع ذلك بعارض أو الاشتغال عنه بشاغل .وقد جاء أنه كان لبعض الأمراء وزير ، فكان بين يديه يوما ، فمر بعض الغلمان ، فمال الوزير بإحدى عينيه لتلمح ذلك الغلام ، فظن أن الأمير شعر بميله عنه إلى غيره ، فصار الوزير باقي عمره ، إذا كان بين يدي الأمير[3]، ينظر إلى جانب حتى ظن الأمير أن ذلك حول حل بعينه[4].ومع ذلك ، فكأن المتوجه بورده رابط نفسه للوفاء بذلك العدد، بعهد الوجهة مع الله تعالى ، فلا يقطعه إلا لعارض واجب أو كالواجب .

وإذا أردت أن تنظر وجه الحكمة في ذلك ، [فتأمله][5] من قصد الشريعة في الانضباط والارتباط في الصلاة، بالتقييد لما بين إحرامها وسلامها.

ومن الكيف أن يفتتح ورده بالاستعاذة والبسملة، درءا لخواطر الشيطان، واستنجاحا باسم الرحمن ، وأن يختمه بالحمد والشكر اعترافا بنعمة الهداية ، وإظهارا لمنة الوقاية ، يكون ذلك وترا : ثلاثا [أو خمسا أو سبعا][6] .

وأن لا يفارق الصلاة على النبي ρ على حال . فمرة تكون مطلوبة لنفسها ، ومرة تكون مطلوبة لغيرها . وهي في منزل التوبة مطلوبة لغيرها .(ونعني بذلك أنها)[7] إذا كانت مطلوبة لنفسها ، فلابد فيها من استثمار ثمرتها الخاصة ، فلا يبرح السالك حتى تظهر عليه ثمرتها الخاصة .وإذا كانت مطلوبة لغيرها، كاستعمالها في منزل التوبة قبل الاستغفار ، [أو][8] بعده ، فإن ذلك (استثمار)[9] لثمرتها العامة ،وهي التبرك بها والتوسل في قبول المتاب وإجابة الاستغفار **|25|** . وقد جاء : ما من

---

1 – ب ، ج ، د : زيادة : المألوف .

2 – ساقط من ، ب ، ج .

3 – ب : زيادة : لا .

4 –بلفظه في الرسالة ، ص : 95 .

5 – في أ : سقط بفعل الأرضة .

6 – في أ : وخمسا وسبعا .

7 – ج : وهي .

8 – في أ : ولو .

9 – ج : استنصار .

دعاء إلا (و) [1] بينه وبين (الله[2]) حجاب ،فإذا صلى (علي) [3] انخرق الحجاب واستجيب الدعاء ، وإذا لم يصل (علي) [4]، رجع الدعاء [5]. والسالك محتاج إلى الصلاة على النبي ρ في (بدايته ونهايته) [6]. ومن الحكمة في تناول الصلاة على النبي ρ أن تكون بكيفية تناسب حال ذاكرها ، وتقتضي معنى منزله .

كذلك كيفيات أذكار المنازل ينبغي) [7]أن تكون موافقة (لحال الذاكر)[8]، مقتضية معنى منزله، فيركب ما يحتاج إلى تركيبه من ذلك ويجمع ويفرد ، ويختصر ويطول وهذا مما لا ينضبط بحصر ، ولا يرجع (إلى حد) [9] . إنما ذلك راجع إلى نظر القدوة الرباني ، فيعطي كل سالك ما يناسب حاله ويقتضيه مشربه في منزله .

ومهما وجد المعنى المراد في كيفية من الكيفيات المأثورة عن النبي ρ ، لم يعدل إلى غيرها ، للبركة الخاصة بها من كلامه وتلفظه [مع] [10] أن الأمر في ذلك واسع ، والكمال ما أشرت [11] إليه .

وقد (وردت) [12] عن النبي ρ ، كيفيات كثيرة مختلفة لولا التطويل لأوردت [13] أكثرها . وقد (ورد) [14] أيضا عن السلف من ذلك كثير .

---

1 - ساقط من ج .

2 - ب ، ج : السماء .

3 - ج : عليه .

4 - ج : عليه .

5 - حديث عزاه المتقي الهندي للديلمي من حديث علي في : كنز العمال : 88/2 ، ح 3270 .

6 - ج : بداياته ونهاياته .

7 - د : فينبغي .

8 - ساقط من ج .

9 - ج : بحد .

10 - في أ : ومع .

11 - د : زيادة : به .

12 - ب : ورد .

13 - ج : زيادة : به .

14 - ب : روي .

ولوالدي τ من كيفيات الأذكار ما يعجز عنه الحصر ، وليست كيفية من ذلك، إلا بإزاء حكمة واختصاص بأمر ، فلا تتوهم أن ذلك سدى .

وقد يحدث من علل النفس ما لابد فيه من استنباط كيفية تشاكله وتوافقه ، [لتعذر] [1] وجود المعنى المراد في الكيفيات المتقدمة ، إذ لا يخلو وقت من نوازل خاصة ، وأمور غريبة. ولا مطمع في درك وجه الحكمة في ذلك كله،لغير الوارث الرباني .

ومن الكيف أيضا أن يختم ورده بصلاة ركعتين أو أكثر ، إن كان وقت صلاة ، وينصب يديه إثر الصلاة [فيدعو] [2] بما شاء . والأكمل ان يدعو بما يناسب حاله، ثم ليقم متوجها إلى القبلة، فيسلم على النبي ρ ، ثم لينصرف، وإن لم يكن وقت صلاة ختم بالدعاء والسلام .

وكذلك إذا دخل خلوته قاصدا التوجه بالذكر ، فليقدم بين يدي ذلك صلاة ركعتين فأكثر إن كان وقت صلاة ، ثم ليتوجه للذكر كما تقدم .

وإن شق عليه مكثه على الهيئة المذكورة في جلوسه للذكر ، فليروح نفسه في خاتمة كل دور من سبحته هنيهة ، ثم يرجع إلى حاله، ولا سيما أهل البداية الذين لم يرتاضوا (لذلك) [3] . وهذا كله التزامات [لما لا] [4] يلزم ، لأن أهل الله الذين اهتبلوا بمعاملته لا يسامحون أنفسهم في (أدب) [5] ، ولا يتناءون عن كمال ضبط لأحوالهم ، ورياضة لأنفسهم، كما أن أهل الدنيا ضبطوا أمور دنياهم ، ورتبوا فيها لأنفسهم أمورا مكملة لأغراضهم و [متممة][6] لأهوائهم، كذلك أهل الآخرة، ضبطوا أحوالهم في وجهتهم إلى الله تعالى بأمور (مكملة)[7] لمقاصدهم ، [متممة] [1] لأحوالهم، لكل فريق (منهم) [2] شرب معلوم [3] .

---

1 - في أ ، ب : لتعزز .

2 - في أ ، ج : ويدعو .

3 - ب : إلى ذلك .

4 - في أ : لما – ب : ما لم .

5 - ج : آداب .

6 - في أ : متمه .

7 - ب : مكملات .

وأما الكم ، فليكن عدد التزام كل أحد على حسب حاله،وأهل البداية معاملون بالرفق والتيسير ، والتقريب والتدريج ، لأن النفس بما علقت به من المألوفات ، وتلوثت به من الغفلات ، طال أملها ، ونسيت عالمها، فإذا أردنا إخراجها عن ذلك دفعة واحدة ، أخلدت إلى العجز، وكعت عن الانتهاض . وإلى ذلك الإشارة بقوله ρ:" إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، ولا تبغض لنفسك عبادة الله ، فإن المنبت [4] لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى"[5].

ولا شك أن الضغط في الخروج عن العادة جملة في فوز [6] واحد ، يعود بالسآمة التي هي سبب الحرمان ، والعجز الذي هو (سبب)[7] الخسران . ولو قصد علاج مريض من علة ما ، فجرع من الدواء الخاص (بعلته)[8] أكثر مما تحمله الطباع ويقتضيه المزاج (لعوجلت) [9] منيته وقربت هلكته ، وذلك مناف للحكمة ، منافر للطب. فمن حسن التربية حمل السالك على ما لا يعجز عن القيام به في كل الأحوال ، لأن المطلوب (إثبات)[10] أعمال اللزوم . وقد روي أن النبي ρ كان إذا عمل عملا[11] أثبته [12] . وقد أشار (إلى ذلك بقوله) [13] ρ : " أحب الأعمال

---

1 – في أ : متمة .

2 – ب ، ج ، د : منهما .

3 –من لفظ الآية : 155 / من سورة الشعراء: [قال هذه ناقة لها شرب. ولكم شرب يوم معلوم .

4 – البت : القطع . والإنبتات : الإنقطاع . ورجل منبت أي منقطع به . (اللسان / بتت) .

5 – أخرجه القضاعي في : " مسند الشهاب " : 184/2 – ح 1147 من حديث جابر – وأيضا البيهقي في السنن الكبرى : 18/3 ، قال الهيثمي في مجمع الزوائد : 44/1 : فيه يحيى بن المتوكل ، أبو عقيل . وهو كذاب .

6 – فور الحر : شدته . وفور كل شيء : أوله . والفور : الساعة والوقت – (لسان العرب / فور).

7 – ب ، ج ، د : سبيل .

8 – ج : لعلته .

9 – ج : لعجلت .

10 – ج : أثبتت.

11 – ساقط من ج .

12 – أخرجه أبو داود في السنن . ح : 1328 .

13 – ب : بذلك إلى قوله .

إلى الله (أدومه)[1] وإن قل[2] ثم إن وجد السالك (من)[3] نفسه **|26|** نشاطا ، ، زاد بحسب نشاطه وحاله .

ولقد قال لي والدي τ يوما : كم (هو الآن)[4] عدد لزومك ؟ فأخبرته فاستكثره، (فقال)[5] لي : (لِمَ)[6] لَمْ تعمل[7] حساب الشياخة وورود الأعذار ؟ أما سمعت [بقول][8] عبد الله بن عمرو بن العاص[9] حين كبر سنه وثقل جسمه : " ياليتني قبلت رخصة رسول الله ρ فيما دعاه إليه من التخفيف "[10] ؟ ثم قال (لي)[11] : إن عدد لزومي من الذكر خمسمائة مرة ، وما اقتصرت عليها مرة قط . ولقد انتهيت إلى (ذكر)[12] ثلاثين ألفا. وإن لزومي من الضحى ركعتان ، [و][13] ما اقتصرت عليهما قط . (وإن لزومي من التلاوة في الصلاة حزبان ، وما اقتصرت عليهما قط)[14] ثم ذكر لي سائر لزوماته على نحو ذلك . ومع ذلك فإن لزوم كل إنسان يكون على حسب حاله وقوته وعزيمته وجلادته .

---

1 – د : أدومها .

2 – أخرجه مسلم ، ح : 177 (1156) من حديث عائشة .

3 – ب: في .

4 – ساقط من ج .

5 – ج ، د : وقال .

6 – ساقط من: ج ، د .

7 – ب : زيادة : على .

8 – في أ : قول (بإسقاط الباء) .

9 – عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم أبو محمد . ويقال : أبو عبد الرحمن القرشي ، صحابي جليل أسلم قبل ابيه . روى عنه سعيد بن المسيب وعروة وطاوس ومجاهد وعكرمة :وغيرهم ، توفي سنة : 65 هـ . (ترجمته في :طبقات ابن سعد : 373/2 و 4 /261 ، طبقات خليفة ، ص: 26 و 139 ، تاريخ ابن معين : 322/2 ، المعرفة والتاريخ : 251/1 ، حلية الأولياء : 283/1، الثقات لابن حبان : 210/3 ، صفة الصفوة : 270/1 ، الاستيعاب : 346/2 ، أسد الغابة لابن الاثير : 233/3 ، الإصابة : 351/2) .

10 – أخرجه البيهقي في السنن الكبرى : 300/4 .

11 – ساقط من ج.

12 – ب : الذكر .

13 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

14 – ساقط برمته من ج .

وينبغي له أن يتحين بذكره الأحيان الفاضلة . والأزمان الشريفة، فقد ثبت من الشرع اختصاص بعض الأزمان بفضائل ، كما [1] خصت بعض البقاع بخصائص .

فأخص الأوقات بذكر الاستغفار وقت السحر، وقد امتدح الله قوما بذلك فقال: [وبالأسحار هم يستغفرون] [2] . وفي حديث (النزول) [3]ما يدلك على (هذا)[4] .

.

والسالك مقبل على ربه ، فينبغي له أن يتحين بذكره مظان القبول ، فليورد على نفسه خطاب : "هل من مستغفر فأغفر له" ، فيقول: "أنا يارب بتوفيقك". والسحر ثلث الليل الآخر .

ومن افضل الأوقات ، ما بين طلوع الفجر إلى بزوغ الشمس . وقد جاء أن النبي ρ ، كان إذا صلى صلاة الغداة ، جلس (بمصلاه) [5] حتى تطلع الشمس لا يكلم أحدا [6] .

وعن أبي وائل قال : "غدونا يوما على عبد الله بن مسعود [7]بعدما صلينا الغداة ، فسلمنا عليه بالباب ، فأذن لنا . قال : فمكثنا بالباب هنيهة . قال : فخرجت الجارية فقالت : ألا تدخلون ؟ قال: فدخلنا، فإذا هو جالس يسبح، فقال: ما منعكم

---

1 - ب ، ج ، د : زيادة : قد .

2 - سورة الداريات / الآية: 18 .

3 - ج : التنازل - د : التنزل ، والإشارة هنا إلى حديث أخرجه مسلم بلفظ : " ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة ، حين يبقى ثلث الليل الأول .. "، الصحيح ، ج : 169 (758) ، وأخرجه أيضا الترمذي في الجامع : ح : 3565 ، وقال : حديث حسن صحيح . وأبو عوانة في المسند : 145/1 ،والبغوي في شرح السنة : 63/4 ، والنسائي في عمل اليوم والليلة ، ص : 341 ، ح : 484 .

4 - ج ، د : ذلك .

5 - ج ، د : في مصلاه .

6 - روي من حديث جابر بن سمرة ، أخرجه مسلم : ح 286 (670) .

7 - عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب أبو عبد الرحمن الهذلي . شهد بدرا والمشاهد كلها بعدها . كان صاحب صاحب نعل النبي ρ ، فكان إذا خلعها حملها ، تلقن من الرسول ρ سبعين سورة من القرآن وبعثه عمر إلى أهل الكوفة ليعلمهم القرآن والسنة . توفي بالمدينة ، وله 63 سنة . (انظر : الطبقات الكبرى ، لابن سعد : 150/3 ، وطبقات خليفة، ص : 16 ، المعرفة والتاريخ : 439/1 ، الكنى والاسماء للدولابي: 79/1 ، الاستيعاب لابن عبر البر : 316/2 ، الإصابة : 368/2) .

أن تدخلوا وقد أذن لكم؟ فقلنا : لا ، إلا أنا ظننا أن بعض أهل البيت نائم. قال: ظننتم بآل ابن أم عبد غفلة؟. قال : ثم أقبل يسبح حتى إذا ظن أن الشمس قد طلعت ، قال : يا جارية ، انظري هل طلعت (الشمس) [1]، فنظرت فإذا هي قد طلعت ، فقال : الحمد لله الذي أقالنا يومنا هذا ، ولم يهلكنا بذنوبنا" ، إلى آخر الحديث [2] .

ومن أفضل الأوقات ، ما بين العشاء ين . قال بعض العلماء : هو ناشئة الليل [3]. وقيل هو المراد بقوله تعالى: [ومن آناء الليل فسبح] [4] . وقال الحسن : "هو "هو المراد بقوله تعالى : [تتجافى جنوبهم عن المضاجع][5] "،يعني في ذلك الوقت.

وفي التزام ما بين العشاءين وما بين طلوع الفجر وبزوغ الشمس من الحكمة أن الإنسان إذا هب من نومه كأنه مقبل من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، والنفس ميالة إلى مقتضيات عالم الشهادة ، فإذا استقبلها بالذكر في أول أمرها ، أثر فيها معناه ، ميلا إلى جنبة الخير ، فكان لها (في) [6] مقتضى الذكر حامل يحملها على الخير أثناء (تصرفاته)[7] في سائر يومه ، وكان لها من ذلك وازع يزعها عن الشر، وإن لم يكن ذلك متصلا ، فقد يكون غالبا، وإن لم يكن غالبا ، فقد يكون (متفقدا)[8] متفقدا)[8] بحسب حال الذاكر. فإذا تم النهار وأقبل الليل، لم يخل من تفريط وتضييع وغفلة بطول النهار، ربما محت من النفس ما ارتسم فيها من ذكر (الغداة) [9] أو بعضه فكان لها من ذكر العشية تثبيت لما امتحى ، وزيادة في مادة ما بقي . مع ما

---

1 - ساقط من : ب ، د .

2 - أخرجه مسلم من حديث أبي وائل ، ح : 1861 .

3 - الإشارة إلى الآية 5 من سورة المزمل [إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا] .

4 - الإشارة إلى الآية 130 من سورة طه [ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى].

5-الإشارةإلىالآية16من سورة السجدة:[تتجافىجنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وممارزقناهم ينفقون]. قال قال ابن العربي المعافري:"وهو أيضا قول قتادة".وقول أنس وعطاء : "إنها العتمة".وقول أبي الدرداء:"إنهاصلاةالعتمةوالصبح في جماعة".وقول مجاهدوالأوزاعي ومالك:"إنه قيام الليل".(أحكام القرآن–لابن العربي:1499/3).

6 - ج ، د : من .

7 - ب : تصرفاتها .

8 - يقال : تفقدت الشيء إذا طلبته بعد غيبته ، (اللسان / فقد) .

9 - ج : الغدوة .

في ذلك من تقديم وسيلة بين يدي خروجه من عالم الحس ، ووروده على عالم الغيب بالنوم الذي يمكن أن يتوفاه الله فيه .

وأيضا، ففي لزوم طرفي النهار ، [ابتداء] [1] صحيفة أعماله بالذكر وختمها بالذكر . ولا اقل من هذا لأهل البداية ، (رفقا بهم)[2] ، لعجزهم عن مواصلة الذكر مع الأنفاس.وقد يصلون إلى ذلك بهذا التدريج (بفضل)[3] الله.

ولابدمن هجيرا يرجع إليه الذاكرمتما غفل.فليذكره في سائر أوقات الليلوالنهار مع تقلباته وتصرفاته ، [بحسب] [4] إمكانه في المنازل التي (لا) [5] تقتضي استصحاب الذكر وسبيل الهجيرا هو أن ينظر في حال السالك :

– فإن كان لم [ينتهض] [6] في المنزل الذي **|27|** هو سالكه ، فليكن هجيراه ذكر منزله ، ليتقوى به ، ويستعين على نفوذه وانتهاضه .

– وإن كان قد بقي عليه من المنزل الذي رقي عنه بقية ، – على (مذهب) [7] من يرى ذلك – فليكن هجيراه ذكر المنزل الذي بقيت (عليه)[8] منه البقية (ليستعين بذلك على الخلاص من تلك البقية) [9].

– وإن كان قد انتهض في المنزل الذي هو سالكه ، وتخلص من المنزل الذي قبله، فليكن هجيراه ، ذكر المنزل [10] الذي يرقى إليه ، ليرتاض بذلك لما يرد عليه .

وهذا في المنازل التي لا تقتضي استصحاب الذكر مع الأنفاس . وأما في المنازل التي يستصحب فيها الذكر، فذكر المنزل ليس إلا.[وبالله التوفيق][1] .

---

1 – في أ : لابتداء ، ج : ابتدأ .
2 – ج : فقالهم (كذا) .
3 – ج : في فضل .
4 – في أ : سقط بفعل الأرضة .
5 –ساقط من ب ، د .
6 – في أ : سقط بفعل الأرضة .
7 – ساقط من ج .
8 – ب : عنه .
9 – ساقط برمته من ج .
10 – ج: زيادة : الذي انتهض في المنزل .

مقـــــصـــد

واعلم أن مقاصد الأذكار تختلف باختلاف المنازل، والمقاصد من الأذكار كالأرواح من الأجساد ، وكالمعاني من الألفاظ، وهي أساس الأذكار، عليها بناء الذكر، وإليها يرجع عند (الحضور) [2] الفكر ، ومن جنبات صفحات معناه تتلمح الثمرات ، ومن تلقائه تهب نواسم الأسرار والبركات ، ومن (أغمي) [3]عليه في معنى قصده ، خاب مسعاه ، وبعد موماه .

والمدخل إلى المقصد في هذا المنزل [لذكر] [4] الاستغفار : أن يتعوذ قاصدا التلاوة ثم ليقرأ : [ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما] [5] فليورد هذا الخطاب على نفسه ، فيجيب بلبيك ربي وسعديك ، عبدك المسرف (الخطاء) [6] بين يديك، معترف بالتقصير، راغب في القبول، يقول بلسان الانكسار والافتقار ، معتصما بعونك يا غفار ، أعاهدك على لزوم طاعتك وترك مخالفتك، كل ذلك بإمدادك ، فلا حول ولا قوة إلا بك، ثم يدخل لذكر الاستغفار.وأما المدخل إلى مقصد الصلاة على النبي ρ ، فليتعوذ قاصد التلاوة ، ثم ليقرأ : [إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما][7]، وليورد هذا الخطاب على نفسه ،فيجيب بلبيك ربي وسعديك ، والعبد بين يديك ، متعرضا لقبولك ، متوسلا بذكر رسولك، يقول ممتثلا لأمرك ، طامعا في خيرك . ثم يدخل إلى التصلية .ولا تشاح في ألفاظ المقاصد إذا أحرز المعنى. وليس ذلك في قوة أكثر أهل هذا الشأن، وهو باب (كبير) [8](من الحكمة لم يفتح فيه لغير والدي ، فيما اطلعت عليه من أحوال غيره) [9] من مشايخ هذا الطريق .

---

1 - في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

2 - ذ : حضور .

3 - أغمي عليه الخبر : أي استعجم . وأصل التغمية : الستر والتغطية (اللسان / غما)

4 - في أ : الذكر - د : بذكر .

5 - سورة النساء / الآية: 110 .

6 -ب ، ج : الخاطئ .

7 - سورة الأحزاب /الآية: 56 .

8 - ج : كثير.

9 - ساقط برمته من ج .

قلت لوالدي يوما : اختلاف ألفاظ هذه المقاصد ، أشيء نقلته عن شيخك أم شيء اختصت به ؟ [فقال لي] [1] : لتعلم أن ذلك شيء خصني الله به . وما كانت المقاصد عند مشايخ هذا الطريق إلا مقصورة على ألفاظ مخصوصة ، لا يزيدون في مقصد الاستغفار على قولهم : " أعاهد ربي على لزوم طاعته ، وترك مخالفته ، (بيده)[2] الحول والقوة" . ولا يزيدون في مقصد التصلية على قولهم : "الله أصلي على على (نبينا) [3] محمد إيمانا واحتسابا لله، وتعظيما لحق رسول الله ρ وتشريفا له وتكريما". ولا يزيدون في مقصد التهليل والتنزيه والإفراد على قولهم: "الله أذكر ، وبه أستعين ، ولا حول ولا قوة إلا (بالله)" . [4](نعم) ، [5] كانوا يبدلون من لام الخفض في قولك لله باءه عند إمحاض سر التوحيد أو ما قاربه . وإنني للذي ظهر لي من اختلاف أحوال السالكين ، وتباين (طبقاتهم) [6] في قطع المقامات ، وتنويع مشاربهم مشاربهم و إدراكاتهم ، رأيت أن أقرب عليهم سلوكهم ، وأجري معهم (ما) [7] يوافق مشاربهم ، ويواتي طبقاتهم، بتركيب ألفاظ على معان في المقاصد ، مختلفة باختلاف أحوالهم ، تقرب عليهم مسعاهم وتسهل (لهم) [8] مرماهم . فكما أن كيفيات الأذكار لا لا
تنحصر
إذ علل النفس تكثر وتتشعب وتتركب ، فكذلك المقاصد ، كيفياتها لا تنحصر، ثم ترجع إلى أصل واحد، كما أن كيفيات الأذكار ترجع أيضا إلى أصل واحد، فقلت له: جزاك الله من **|28|** (مرشد ناصح) [9] خيرا . ومازال كثير من أهل البداية يعرض لهم إشكال في مقصد الاستغفار ، حتى ان يعضهم ليقول : " أجدني عند (إيراد) [10] مقصد الاستغفار بقولي : أعاهد ربي على لزوم طاعته ، وترك مخالفته ، لا أخلو

---

1 - في أ : قال .
2 - ج، د: فبيده .
3 - ج ، د : سيدنا .
4 - ب : به .
5 - ج : ثم .
6 - ب : صفاتهم .
7 - ب ، ج : لما – د : بما .
8 - ب : عليهم .
9 - ج : مرشدنا .
10 - ساقط من: ج .

عن نوع من الكذب والاستهزاء في شأن هذا العهد، إذ لا أسلم بعد ذلك من تضييع واجب وارتكاب ممنوع لغلبة هواي على عقلي ، وضعف نفسي عن استصحاب الاستقامة في الباطن والظاهر " .

وهذا عارض شيطاني يجر إلى (اليأس)[1] ، ويحمل على القنوط وذلك أن المطلوب من التائب في عقد توبته إنما هو مواطأة نفسه على العزم في القيام بوظائف التوبة.والعهد الذي تضمنه المقصد يشير إلى إبرام العزم (بما عاهد)[2] الله على التوبة بالعزم ، (مخلصا) [3] في وقته ، حتى لو مات من حينه وفوره عاقدا على مقتضى العهد بالتوبة، لكان قد حصل على [الفوز] [4] بالغفران بنص القرآن .

ثم ، من لم تثبت عصمته لا يخلو عن كبوة وعثرة وزلة ، لما في ذلك من الحكمة في لزوم افتقار العبودية ، وانكسار الاضطرار ومواصلة التوبة . وذلك سر قوله عليه الصلاة والسلام : " لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم ". وقد جاء عنه ρ : "ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة".

فحسب الذاكر أن يجدد العهد مع الله تعالى بالتوبة عند التوجه إليه بالاستغفار. إنما الأمر المحظور ، أن يكون في (حين) [5] الاتيان بالعهد الذي تضمنه المقصد، موطنا على المخالفة أو مترددا في التوطن عليها،فذلك الذي خالف قوله فعله.وهو من خصال النفاق.وإذا عرفت العلة،ارتفع الإشكال.و الله المستعان.

---

1 - ب : الإياس .

2 - د : فمعاهد .

3 - د : مخلص .

4 - في : أ ، ج : الفور (بالراء المهملة)

5 - د : حال .

ثمـــــرة

واعلم أن ثمرة مقصد الاستغفار في هذا المنزل [هي] [1] الخوف بما حركه الاستغفار من أسباب الوعيد . قال تعالى : [ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد][2]. والخوف يحث على الاهتبال بطريق (الخلاص) [3] .

وقد خرج الترمذي عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ρ : " من خاف البيات أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل . ألا أن سلعة الله غالية، ألا إن (سلعة الله) [4] الجنة "[5] .والخوف تألم النفس وتوجعها بسبب توقع مكروه (في) [6] الاستقبال ، ويراد به في هذا المنزل ، الخوف من العقوبة بسبب سالف (المخالفات) [7] ، لأن الخوف على قسمين :خوف العامة من العقوبة ، اصله التصديق بالوعيد ، وذكر الجناية ، ومراقبة العاقبة . [وعلى هذا يدور] [8] ذكر الاستغفار في هذا المنزل . وهو سوط الله ، يقوم يقوم (به) [9] [الشاردين] [10] عن بابه .

وخوف الخاصة : من المكر [11] في جريان البسط . وقد يسمى خشية. وأما خاصة الخاصة ، فحالهم عرية عن صدمة الخوف . إنما (يتجاوز)[1] به لفظا ،

---

1 – في أ : هو .

2 – سورة : إبراهيم / الآية 17 .

3 – ب : الإخلاص .

4 – ب : سلعته .

5 – أخرجه الترمذي بلفظ : من خاف دلج ... الحديث : الجامع . ح : 2567 . وقال : حديث حسن غريب لا نعرفه نعرفه إلا من حديث أبي النضر ، ورواه أيضا الحاكم في المستدرك 308/4 ، وصححه، والبغوي في شرح السنة : 9/7 .

6 – ساقط من ج .

7 – ب : المخالفة .

8 – في : أ : وهذا يدور على .

9 – ساقط من ج .

10 – في أ : الشارد . والشرود اصطلاحا " نفر الصفات من منازلات الحقائق وملازمة الحقوق " اللمع – ص: 446 . معجم المصطلحات الصوفية ص: 103.

11 – يقول القاشاني: " المكر هو ارداف النعم مع المخالفة، وابقاء الحال مع سوء الأدب، واظهار الآيات والكرامات من غير أمر ولاحد " اصطلاحات الصوفية – ص: 88. وبنفس اللفظ عند ابن عربي – ص:11. وانظر أيضا : الاملاء في اشكالات الاحياء: ص:50.

فيما(يغشاهم)[2] من هيبة[3] الجلال[4] . وسيأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى .

فإذا تحكم معنى الاستغفار من النفس ، وانطبع فيها مقتضاه بناء على ما تضمنه المقصد من سر معناه ، فإن الخوف يخامر النفس فلا ينفك عنها . وربما تترجح في هذا المنزل غلبة الخوف على الرجاء[5] ، لا سيما لأهل (موت) [6] العزائم . فإن العلة إذا أفرطت لا يتخلص منها إلا بالدواء الحاد. لتكسير سورة [7] ذلك الإفراط.وفي كيفيات الاستغفار ما يزيد في مادة هذه الثمرة ، المقدار المراد.

حدثني بعض أصحابنا قال : انتهى بي الخوف في منزل التوبة بذكر الاستغفار ، إلى أني كنت لا يقع بصري على جارحة من جوارحي إلا رأيتها تتأجج نارا ، (فتحترق) [8] لذلك أكبادي ، ويطول بكائي ويتصل ذهولي ، فأخبرت بذلك

---

1 - ب : يتجوز .

2 - ج : غشيهم .

3 - الهيبة عند الصوفية هي ضد الأنس، وهي أثر مشاهدة جلال الله في القلب. فحين يتجلى الحق تعالى على قلب العبد، ويشاهد الجلال، يكون نصيبه في ذلك الهيبة، ليكون أهل الهيبة من جلاله في تعب. وقال بعضهم: الهيبة قرينة العذاب، والعقوبة والأنس نتيجة الوصل والرحمة (كشف المحجوب ص 620) ويرى القشيري أن الهيبة والأنس هما فوق القبض والبسط. فالهيبة أعلى من القبض، والأنس أتم من البسط. "وحق الغيبة الهيبة، فكل هائب غائب. ثم الهائبون يتفاوتون في الهيبة على حسب تباينهم في الشرب..."(الرسالة القشيرية – ص: 36– أنظر أيضا التعريفات –ص: 278– معجم المصطلحات الصوفية . ص: 48– 180).

4 - يرى الصوفية أن الجلال من الصفات : ما يتعلق بالقهر والغضب. وفي مقابله : الجمال ، وهو ما يتعلق بالرضا واللطف من صفات الحق تعالى (التعريفات. ص: 80– 82 – اصطلاحات الصوفية. ص:40. – معجم المصطلحات الصوفية . ص: 68).

5 - الرجاء في اللغة: الأمل والطمع في الآجل. وهو عند الصوفية واحد من المقامات التي يرتقي فيها السالك. يقول ابن عجيبة : " الرجاء سكون القلب إلى انتظار محبوب، بشرط السعي في أسبابه. وإلا فأمنية وغرور. ورجاء العامة: حسن المآب بحصول الثواب. ورجاء الخاصة حصول الرضوان والاقتراب. ورجاء خاصة الخاصة : التمكن من الشهود، وزيادة في أسرار الملك الودود . والخوف والرجاء للقلب كجناحي الطير لا يطير إلا بهما " (معراج التشوف. ص: 27 .) وانظر أيضا:الرسالة القشيرية. ص: 67 – اللمع. ص: 91.

6 - ساقط من ج .

7 - السورة : الحدة . وسورة السلطان: سطوته واعتداؤه . (اللسان / سور) .

8 - ب ، ج : فتحترق .

والدك فقال لي : " أفرط بك الاستغفار حتى جاوز بك إلى هذا المقدار " . فنوع لي كيفية الذكر ، فسكن ذلك عني ، وملت إلى الاعتدال .

وهذا إنما يحمد لمن طال خلافه ومات عزمه واستملكته الشهوات . وأما إذا تمكن التائب وجرى على أسلوب أهل (العزائم) [1] ، فلا يعدو الاعتدال بين الخوف والرجاء. ومن لازم الخوف ، الهرب من موجب الخوف . فقد قالوا : " ليس الخائف الذي يبكي ويمسح عينيه ، الخائف هو الذي يترك ما يعذب عليه " [2] . فبالخوف ينبرم [عقد العزم] [3] ويرتص أساس التوبة، وهو سراج الباطن ، ، به يبصر الخير فيجتهد في تحصيله،ويبصر الشر فيجتهد في الخلاص [منه][4] [29]، وهو يطرد التسويف وينفي التردد كما قالوا:"ليس الخوف بتعليل النفس بعسى ولعل وسوف"[5].كيف والخوف يوجب الحذر من الذنوب، كما يحذر الأسد الضاري.

ولا يجد طعم الخوف من ادعاه ، حتى ينزل نفسه منزلة السقيم الذي يحتمي من كل شيء مخافة طول [الألم] [6] ، حتى إنه ليحتاط في ترك (المخالفات)[7]احتياطا (المخالفات)[7]احتياطا يشبه الوسواس ، لكنه محمود في براءة الذمة. وبالله تعالى التوفيق .

نتيجـــــة

اعلم أن نتيجة هذه الثمرة في هذا المنزل ، هي تحلية النفس بإحدى عشرة صفة حميدة تنفي عنها إحدى عشرة صفة ذميمة .

الأولى : الحزن. وهو توجع الباطن بما فاته من الخير ، وتألمه لما ناله من التضييع ، لأن [الحزن] [8] يحرك رؤية التفريط في العمل ويثير القلق بإيثار الجفاء،

---

1 - ج : العزم .

2 - في الرسالة ، ص : 65 (غير منسوب) . وانظر أيضا : عوارف المعارف . ص : 315 .

3 - في أ : سقط بفعل الأرضة .

4 - في أ : سقط بفعل الأرضة .

5 - في الرسالة ، ص : 65 (منسوبا لأبي علي الدقاق) ، وفي اللمع ، ص: 90 (منسوبا للقناد).

6 - في أ ، ج : الأمل .

7 - ب : المخافات .

8 - في أ : الخوف .

وذلك ينفي عن النفس القسوة في طلب الخلاص ، غفلة عن (مزعجات)[1] الوعيد ، وبعدا عن حزب الله . والقلب القاسي بعيد من الله، ولكن لا يعلمون .

الثانية : الإشفاق. وهو حذر من الوقوع فيما قد علمت هلكه عاقبته، أو فوات ما قد حصل – وقد علم صلاحه – وبه (يتوقى) [2] العبد (طوارق)[3] الهوان . قال الله تعالى : [إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم] [4] . . وذلك ينفي عن النفس الإخلاد إلى التضييع الذي هو سبيل الحرمان ، وسبب (إلى) [5] الخسران .

الثالثة : الفرار . وهو الهرب من الشر إلى الخير ، ومن البعد إلى القرب، ومن الهلاك إلى النجاة . فيستدعي الجد ، ويمحو أثر البعد . وهو من أول أبواب (الابتهال) [6] إلى الله تعالى ، والإجابة لأمره ، قال تعالى :[ففروا إلى الله إني لكم منه منه نذير مبين] [7] . وذلك ينفي عن النفس التثبط مع الشهوات، والتلبس بالمخالفات ، والركون إلى اللذات .

الرابعة : الإنابة[8] . وهي الرجوع بعد الاعتذار ، إلى صلاح الحال . وفاء بالعهد الذي (يتضمنه)[9] المقصد ، وقامت به التوبة ، (و) [10] قياما بحفظ الحدود عن طيب نفس وانشراح صدر ، وقوة عزم . فلا (تبعة) [11] إلا خرج عنها ، ولا فائت إلا استدركه ولا عثرة إلا استقال منها ، ولا فتنة إلا طلب الخلاص منها والفرار

---

1 – ب : مجزعها .

2 – ج : يتردى .

3 – ج : طريق .

4 – سورة الطور / الآية 27 .

5 – ساقط من ج .

6 – ب ، ج : الاهتبال .

7 – سورة الذاريات / آية 50 .

8 –يقسم ابن عجيبة الإنابة إلى ثلاثة : " رجوع من الذنب إلى التوبة، ومن الغفلة إلى اليقظة، ومن الفرق إلى الجمع" (معراج التشوف . ص: 27) – وأيضا: التعريفات للجرجاني. ص: 39 – معجم المصطلحات الصوفية . ص: 48.

9 – ج ، د : تضمنه .

10 – ساقط من د .

11 – ب : تباعة .

عنها مع سوء الظن بالنفس وإقامة الحجة عليها من مخالفتها المتحققة وموافقتها التي هي على خطر من قبول أورد . وذلك بنفي عن النفس التفريط في الواجبات ، ويشغل عن النظر في حال الغير .

الخامسة : السماع . وهو من شيم أهل الخير ، يراد به الإجابة إلى ما تضمنه الوعد والوعيد ، بالمسارعة إلى الخيرات ، والمبادرة إلى الخلاص،[استنشاقا] [1] [1] لنواسم الإرادة من جنبات التخصيص . وذلك ينفي عن النفس الإعراض (عن) [2] الإجابة بتصامم الغفلة،والتلوي في طريق (العلاج) [3] ، [ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم] [4] . والإعراض عن الإجابة دليل المقت .

السادسة : (المحاسبة)[5] ؛ بتقرير النفس على ما فاتها من الخير وما نالته نالته من المخالفة . فيرى التقصير لازما ، والتضييع ثابتا . فهو يحمل عليها زواجر التوبيخ حتى تشتد عرى العزائم وتتبعث (موارد) [6] القرائح . وذلك ينفي عن النفس الانهماك في متابعة الهوى الداعي إلى مهاوي الردى . و"الكيس من دان نفسه وعمل لما يعد الموت.والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني".

السابعة : المحافظة . وهي لزوم طريق الإنابة تعرضا لنفحات القبول ، وصونا لعقود العهود ، واحتياطا لشروط المتاب . وذلك ينفي عن النفس البطالة في الأعمال ، والشتات في الأحوال ، والهذر في الأقوال ، متابعة للشره وميلا إلى الشهوات .

الثامنة :الحذر.وهو قريب من الإشفاق.لكن الإشفاق لا يفارقه الترحم. والحذر – يصاحبه (التشمر)[7] – يوذن ببراءة الذمة ويفصح عن ارتفاع الهمة، ويقضي

---

1 – في أ : واستنشاقا .
2 – ساقط من ب .
3 – ب ، ج ، د : الفلاح .
4 – سورة الأنفال / الآية 23 .
5 – ساقط من ب .
6 – ب ، ج ، د : مواد .
7 – تشمر الرجل للأمر : تهيأ له وجد فيه ، من : التشمر والتشمير – (لسان العرب / شمر).

بالخلاص من التبعات . وذلك ينفي عن النفس الاسترسال المودي إلى الوبال والنكال . وهو من صفات البهائم في عدم العزائم .

التاسعة : الرفق .الذي يزين أهل الإسلام ، ويحفظ أخوة الإيمان ، ويصون شمل الألفة من شتات الأغيار .وذلك ينفي عن النفس طوارق العدوان،بإطفاء(سورة)[1] الشره ، فيكف عن البغي .

العاشرة: الثبوت . [وهو][2]عقد التوبة بروابط الإنابة|**30**|قياما بحفظ الحدود على الدوام، بنسيان الجريرة ، وإصلاح السريرة. وذلك ينفي عن النفس [التردد][3] بأوهام الهوى وقلق الطباع (لخروجها) [4] عن عوائدها الذميمة .

الحادية عشرة : الوفاء. وهو من شعار صدق العزائم ، و(علامات) [5] أهل أهل الإخبات وأمارات القبول . وذلك ينفي عن النفس الميل إلى الشهوات و(التشوف) [6] إلى المخالفات ، ويقطع عنها مواد الانتكاث والانتكاص.

فإن قلت : هذه الصفات كلها (باطنية) [7] ، والإسلام عبارة عن الوظائف (الظاهرية) [8] . فالجواب : أنه قد تقدم لنا أن جميع أعمال الإسلام والإيمان والإحسان ، إنما المراد منه تزكية النفس وطهارتها ، فتأخذ النفس من التزكية والطهارة في كل مقام بحسب ما تقتضيه وظائفه . وقد مضى لنا أن الإسلام في العرف الشرعي ليس مقصورا على أعمال الظاهر دون الباطن ، فذلك صفة النفاق .

فإذا تقرر هذا ، فاعلم أن الاستغفار إذا تحكم معناه بالباطن بناء على أساس مقصده، وأثمر الخوف فتمكن معناه من النفس، وامتزج بها، أثمر (بذلك)[9] في النفس

---

1 – ب ، د: شرر .

2 – في أ : سقط بفعل الأرضة .

3 – في : أ ، ب : عز التردد .

4 – ب ، ج ، د : بخروجها .

5 – د : علامة .

6 – ب : التشوق .

7 – ج : باطنة .

8 – ج : الظاهرة .

9 – ب ، ج ، د : ذلك .

اتصافا بالصفات المذكورة ، حتى تتحلى بها تحلية ثابتة راسخة لا انفكاك لها عنها ما لم يعرض عارض موذن بالمقت مفصح بالطرد [ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون] [1]. جعلنا الله ممن شملته عواطف إحسانه،وحفظه من عواصف حرمانه ، ، بمنه وكرمه .

علامـــــة

واعلم أن من (علامات) [2] قطع هذا المنزل : الحزن الدائم لتحقق الجزاء ، والبكاء الطويل لتوقع العقوبة، والتأثر للمواعظ ، تصديقا بالوعيد ، حتى كأنه هو المراد بجميع الزواجر، والفرق [3] من الموت حرصا على استدراك الخلاص(من)[4] قبل الفضيحة ، والاجتهاد في أداء الحقوق للخالق والمخلوقين [براءة][5] للذمة من غير ترجيح ولا تأويل، والفرار من الكبائر بغضا فيها كفراره من الأسد الضاري، والانتهاض لأداء الفرائض من غير مراعاة شاغل وإن عظمت أوهامه ، ومواصلة الأتقياء الأخيار ، ومجانبة الأشقياء الأشرار، وقلة الحرص في طلب الدنيا، تشاؤما بسوء عاقبتها حين لمحها بترك الهلع فيها ، والرغبة في طلب الآخرة تصديقا بحسن عاقبتها ، بترك الكسل فيها ، إلى غير ذلك من الفروع التي تتبع هذه الأصول .

فإذا ظهرت هذه العلامات على ظاهره ، استدل [6] على صحة الاتصاف بتلك بتلك الصفات التي صدرت عن الخوف الذي طلع من تلقاء معنى الاستغفار القائم على أساس المقصد .

وإذا لم تظهر هذه العلامات ، أو تخلف أكثرها أو بعضها ، فاتصافه معلول، وخوفه ناقص، وذكره مخدوع ، وما قد يبدو عليه من [أثر] [7] تلك الصفات، فذلك مزلزل الثبوت ، معلول الرسوخ ، فليعكف على ذكره بناء على مقتضى مقصده حتى

---

1 - سورة الأعراف / الآية: 29 .

2 - د : علامة .

3 - الفرق : الخوف (اللسان / فرق) .

4 - ساقط من ب ، ج ، د .

5 - في أ : براء ، د : إبراء .

6 - ب ، د : زيادة : بها .

7 - في أ : أمر .

تنجلي عنه عمايته ، ويرتفع عنه حجابه . وقد يعان على خلاص أمره في ذلك بلزوم ما يقتضي (انتهاضه) [1] من (كيفيات)[2] الاستغفار. والله الموفق الهادي .

وصيـــــــة

واعلم أن من اللازم لصاحب هذا المنزل أن لا يفارق المجاهدة في حفظ أحواله، وإقامة حدوده ، وليحافظ على الصلوات الخمس لأوقاتها المختارة وليؤدها بأحسن أحوالها من التؤدة في أركانها، وإحضار الفكر(لتدبر) [3] القراءة والأذكار فيها ، وليبادر إلى [الجماعة] [4] عند النداء لها ، ولا يترك النوافل الراتبة المتصلة بها ، كأربع [ركعات] [5] قبل الظهر ، [وركعتين][6] بعدها ، وأربع ركعات قبل العصر ، وست [ركعات] [7] (بعيد) [8] المغرب، والوتر بإحدى عشرة ركعة ، أو أو تسع ركعات أو سبع (ركعات)[9] أو خمس ركعات بعد العشاء الأخيرة، وركعتي الفجر قبل صلاة الصبح ، وليحسن الطهارة لها، فإن كان عليه قضاء (صلوات)[10] ، فليقتصر على ثلاث ركعات : الوتر وركعتي الفجر . وليجعل مكان سائر نوافله ، قضاء [صلواته] [11] . وإن كان ذا مال ، فليحافظ على أداء زكاته . وإن كان له أبوان ، فليبالغ في (مبرتهما) [12] والتماس رضاهما، والصغير من (عقوقهما) [13] كبير. وإن كان ذا رحم فليصله، ولو (بالزيارة والسلام) [14]. وإن كان من أهل البيع والشراء ،

---

1 – ب : الاستنهاض ، ج ، د : استنهاضه .
2 – د : كيفية .
3 – د : لتدبير .
4 – في أ : الطاعة .
5 – في أ : الركعات .
6 – في أ ، ب ، ج : الركعتين .
7 – في : أ ، ج : الركعات .
8 – ب ، ج ، د : بعد .
9 – ساقط من ب .
10 – د : الصلاة .
11 – في أ : صلوات .
12 – ب : برهما .
13 – ج : حقوقهما .
14 – د : بزيارة وسلام .

فليحافظ عل براءة ذمته من التبعات في ذلك، فليؤد الأمانة ، وليبذل النصيحة وليوت كل ذي حق حقه، ولا يبخس [31] من حقوق المسلمين شيئا من الأهل والعيال وكافة أهل الإسلام . وليطهر قلبه من جميع الأحقاد للمسلمين، ولا ينطو على مكر ولا خديعة ولا كبر ولا حسد . وليحفظ جوارحه ، وليقيدها بقيود الشرع .(فليحفظ)[1] البطن من الحرام ، واللسان من الكذب ، والغيبة والنميمة، ونحو ذلك من الفحش، والعين من النظر فيما لا يحل، والأذن عن الإصغاء إلى ما لا يحل، واليد عن البطش فيما لا يحل، والرجل عن السعي (فيما) [2] لا يحل . والفرج عن جميع مالا يحل، وليحاسب نفسه على ذلك كله، ولا يسامحها في الخطرات [3] التي ترجع إلى ذلك .

وليتعلم من العلم الضروريَّ الذي لا تقوم فرائضه إلا به، [وأوكد][4] ما على أهل الأسواق تعلم فقه البيوع والصرف .

وإن كان من أهل القرآن ، فليلتزم وظيفة من تلاوته، وإن كان في صلاة، فذلك أحسن . وإن لم يكن من أهل القرآن ، فليتعلم منه ما تقوم به فرائضه. وإن تعلمه كله ، فهو (أحسن)[5] .وليجعل لنفسه حظا من صيام التطوع ، ليكسر بذلك من شره النفس، وأقله ثلاثة أيام من كل شهر، مع ما اشتهر فضله وكثر أجره من سائر الأيام ، كعشر ذي الحجة، [ويوم] [6] عاشوراء ، والتاسع قبله والحادي عشر بعده، وأول خميس من رجب، والسابع والعشرين منه، ويوم النصف من شعبان وستة أيام من شوال .

وأوكد ما عليه ، لزوم الكتمان[7] والتستر بالأحوال عن جميع الخلق ما عدا قدوته، فهو الطبيب لعلله .وليتجاف عن الحرص على الدنيا، والهلع فيها، وليجمل في

---

1 – ب : فيحفظ – د : وليحفظ .

2 – ب: لما ، د : إلى ما .

3 – يرى الهجويري أن الخطرات هي كل " ما يخطر على القلب م، أحكام الطريق’ " كشف المحجوب ص: 628 – انظر أيضا : اصطلاحات الصوفية ص: 160.

44 – في أ : آكد .

5 – ب : أكمل – ج ، د : افضل .

6 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

7 – د : زيادة للطاعة .

التكسب وطلب الرزق ، وليجاهد على (حضور) [1] الفكر لمعنى الذكر عند التوجه بورده، بمدافعة الخواطر ، ودرء الشواغل وسعه وجهده .

وليس على أهل البداية زائد على ذلك ، لقرب عهدهم بالشهوات ، والاسترسال في اللذات والركون إلى المألوفات . فليكن كلما مال فكره إلى شيء من علق الأوهام والخيال زجره ورده إلى شأن الذكر، كذلك المرة بعد المرة، حتى يدخل عليه الحضور شيئا بعد شيء، فينعكس عنده الأمر،فتأنس النفس بالحضور [2] في الذكر،وتستوحش من الغفلة، وذلك درج لما بعده، ولا ينال (ذلك) [3] إلا بالمشاق ومجاهدة النفس . كيف كيف لا وقد " حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات " [4] .

فإن هو جاهد على (الحضور) [5] فكره في معنى ذكره عند توجهه ، وقام بهجيراه متى ما غفل في سائر أوقاته ، فإن العمارة تتصل [بالعمارة] [6] . ولا (يزال) [7] حاله في صلاح حتى يبلغ الغاية .

وإن هو أرخى (للنفس) [8] زمامها، ووافقها في استرسالها في خطراتها أثناء ذكره ، ثم لم يفارقه الذهول في سائر أوقاته ، فإن الخراب يتصل بالخراب ، ولا يزال حاله في انتكاص

وهو وإن لم يخب من أجر في حركة اللسان بالذكر ، فوابعد مرماه (من هذا الطريق) [9] وياخيبة مسعاه. وليس من أراد بناء منزل فأسس أساسه ورص بناءه وحفظه من آفات الريح والمطر [ونحو ذلك] [10] كمن أراد بناء منزل فلم يجعل له

---

1 - ج : حصول .

2 - أ ، ب ، زيادة : في الحضور .

3 - ساقط من ج .

4 -حديث أخرجه مسلم ، ح : 1(2822) ، والترمذي في الجامع : ح : 2684 . وقال : حديث حسن ، غريب غريب صحيح من هذا الوجه ، والدارمي في السنن : 339/2 ، والبغوي 306/14 .

5 - ب ، ج ، د : حضور .

6 - في أ : بالعمار .

7 - ب : يرى .

8 - ب ، ج ، د : لنفسه .

9 - ساقط برمته من ج .

10 - في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

أساسا،ولا رص له بناء،ولا حفظه من (السقوط) [1] ؛ هذا أسرع بناء للسقوط، وذلك أثبت بناء للدوام.وحفظ العمل هو [دوام][2] العمل وإن قل،كما أن فساد العمل بضياعه وإن كثر.والله يحملنا على منهاج التائبين، ويفتح لنا في اقتفاء أثر المفلحين،ويقرب علينا السعي لرب العالمين بفضله وكرمه.

- المنزل الثاني من مقام الإسلام .

اعلم (رزقني) [3] الله وإياك من المواهب أسناها ، ومن المنح الدينية أعذبها موردا وأصفاها ، أن الاستقامة هي ثاني منازل (مقام) [4] الإسلام ، وهي تمكينه. قال الله تعالى : [فاستقم كما أمرت ومن تاب معك] [5] . وقال ρ : " استقيموا ولن تحصوا"[6]. والاستقامة اعتدال (السير) [7] من غير ميل . وهي على قسمين استقامة استقامة خاصة واستقامة عامة .

أما الخاصة :فهي استقامة السر في (منهج) [8] المشاهدات من غير التفات[9]إلى شيء غير الله محفوظا|**32**|عن رؤية الرسوم[10]مطهرا من شوائب الأوهام،مغمورا في بحار أسرار الحقائق،وسيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى.

---

1 - ب ، ج ، د : الآفات .

2 - في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

3 - ب : وهبني .

4 - ساقط من ج ، د .

5 - سورة هود الآية: 112.

6 - أخرجه الدارمي في السنن : 168/1 ، والبيهقي في السنن الكبرى : 82/1 ، والحاكم : 30/1، والطبراني في المعجم الكبير : 98/2 .

7 - د : الشيء .

8 - د : نهج .

9 - الالتفات عند الصوفية هو الانشغال بغير الحق سبحانه. انظر: التعريفات للجرجاني: ص36. – معجم المصطلحات الصوفية :ص 45.

10 - المقصود بالرسوم هنا تجليات الحس من كلام وحركة ومادة وغيرها. يقول الطوسي:" الرسم ما رسم به ظاهر الخلق برسم العلم ورسم الخلق، فيمتحي بإظهار سلطان الحق عليه "(اللمع ص:427). =

= ويعرفها القشاني بأنها: "الخلق وصفاته، لأن الرسوم هي الآثار، وكل ما سوى الله آثاره الناشئة من أفعاله" (اصطلاحات الصوفية ص: 150) وقال الغزالي: "الرسم معنى يجري في الأبد بما جرى في الأزل" (الإملاء في إشكالات الإحياء . ص: 19).

وأما العامة : فهي المشار إليها في هذا المنزل وهي اعتدال [السير][1] على نهج السنة من غير تحريف، واستواء السلوك على سبيل الشرع ، من غير تبديل ولا تغيير .

والحكمة في الإتيان بهذا المنزل أول المنازل ، هي أن يرسخ في نفس السالك [معنى][2] الاتباع،بالمحافظة على السنة،فيكون ذلك واقيا له (حين)[3] ورود حقائق النهايات عليه من الغرق في لجج التعطيل عند ركوب بحار التحقيق .

فالاستقامة : الاستواء. مأخوذة من قولهم: قومت العود، إذا عدلته، وهو زوال الإعوجاج. كذلك الاستقامة. عدول عن (بنيات)[4] الطريق [5]، والسعي على المنهج الواضح . قال الله تعالى : [وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله] [6]. وقال ρ : " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار " [7] . وقال عمر τ في تفسير قوله تعالى : [إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا] [8] ، أي: "لم يروغوا روغان الثعالب "، "، لأن الثعلب بخبثه إنما يطلب بنيات الطريق [9] .

فالاستقامة حافظة من الزيغ ، هادية إلى (الطريق)[10] المستقيم، وبها يسهل السير، ويقرب (المقصد) [11].فمن لم يمل عن السنة ، فقد استقام ، وخرج عن قسم

---

1 – في : أ ، ب : السر .

2 – في أ : على .

3 – في جميع النسخ : من .

4 – ج : بقيات .

5 – بنيات الطريق : الطرق الصغار المتشعبة عن الطريق الكبير . ثم أطلقوها مجازا على الأباطيل (زهر الأكم في في الأمثال والحكم ، لليوسي : 238/2 – 68/3) .

6 – سورة الأنعام / الآية 153 .

7 – أخرجه أبو داود في السنن ، ح : 4583 ، وابن ماجة : ح 42 ، والبيهقي في السنن الكبرى : 114/10 .

8 – سورة فصلت / الآية: 30 .

9 – في الرسالة القشيرية . ص : 103 . وراغ يروغ : حاد ومال . ومنه : راغ الثعلب(اللسان/روغ).

10 –ب : الصراط .

11 – ب ، ج ، د : القصد .

الهلاك من الاثنين والسبعين فرقة [1] ، و [نزع] [2] إلى النجاة مع الفرقة الناجية التي أخبر النبي ρ أنها في الجنة ، كما أخبر عن سائرها أنهم في النار .فلا مطمع في الترقي (في)[3] منازل التخصيص لمن لم يصف له مشرب هذا المنزل ، ومن حرمه ضاع عمره ، وخاب سعيه ، وانقطع أمله . قال تعالى: [ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا] [4] .

فـصـــــل

ولهذه الاستقامة ظاهر وباطن :

- أما ظاهرها ، فتحلية الجوارح بحلية السنة ، وتعديلها بقانون الشرع ، وتهذيبها بآدابه ، وطهارتها من جميع المخالفات والعصيان، إذ لا مطمع لمخالف في البلوغ إلى (حضرة)[5] التخصيص .

- وأما باطنها : فتحلية الباطن بأخلاق الشرع، وتهذيبه بآداب السنـة،

واستقامة الباطن أصل في الاستقامة الظاهر . لأن الباطن هو المنفق على الظاهر، المشير (عليه)[6]. فالظاهر خديم الباطن ، عن رأيه يتحرك ، وعن إشارته إشارته يسكن . وإن كان قد يصل إلى الباطن من استقامة الظاهر أنوار تقوي مادة عزمه ، وتبرم عقد

انتهاضه ، فالباطن أصل في أعمال الظاهر . وقد مضى لنا التنبيه على شيء من هذا المعنى ، فلا حاجة لنا في إعادته هنا

فـصـــــل

وللاستقامة هنا شروط وآداب .

---

1 – بلفظ : "تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة ... " رواه الحاكم : 547/3 ، وبلفظ: "تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة . كلها في النار إلا واحدة" . رواه أحمد : 332/2 .

2 – في أ : فزع .

3 – د : إلى .

4 – سورة النحل / الآية: 200 .

5 – ج : منظرة .

6 – ب : إليه .

أما شروطها فخمسة :

الأول :مواصلة أهل السنة ومجانبة أهل البدعة. قال الله تعالى : [واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، ولا تعد عيناك عنهم تريد الحياة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا] [1] .

الثاني : تعلم العلم النافع الهادي إلى وظائف الشرع ، والداعي إلى أحكام السنة . قال النبي ρ: " طلب العلم فريضة على كل مسلم " [2] . قال مالك: أما كل العلم فلا ، لكن ما لابد للإنسان منه ولا يسعه جهله ، فعلم الشريعة، مقرب إلى الله ، داع إلى الخلاص والنجاة . كما أن غيره من العلوم مبعد عن الله تعالى فاتح أبواب الضلال ، موذن بالبوار والهلاك .

الثالث : تسليم النظر للشارع صلوات الله وسلامه عليه ، في جميع ما صدر عنه من قول أو فعل ، بحسن (ظن) [3] ، وصدق طوية **[33]** ، وانشراح صاد ، من غير تأويل عن السبيل ، ولا نظر مانع من اقتفاء [أثر] [4] الدليل .

وليس للعقل نظر دون الشرع، إذ لو كان للعقل نظر دون الشرع ، لسلم إليه النظر ، ولم يحتج إلى الرسول يبين عن الله تعالى . فالعبد إذن محجور عليه في نظره، فما

وافق [5] الشرع قبل وما خالفه طرح ونبذ وترك .قال أبو سليمان الداراني [6] τ : ربما تقع تقع في (باطني) [1] النكتة من نكتالقوم أياما ، فلا اقبلها إلا (بشاهدين) [2] عدلين ،

---

1 – سورة الكهف / الآية: 28 .

2 – روي من حديث علي وابن مسعود ، وابن عمر ، وابن عباس ، وجابر ، وأنس ، وابي سعيد ، رواه الطبراني في المعجم الصغير:92/1،وابن الجوزي في العلل:64/1 و71 – 72 ، قال البيهقي:متن مشهور وإسناد ضعيف.انظر:ابن عراق الكناني في:تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة: 258/1

3 – د : الظن .

4 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

5 – ب ، ج ، د : زيادة : فيه .

6–عبد الرحمن بن أحمد.أبو سليمان الداراني العنسي.روى عن سفيان الثوري،وعلي بن الحسن،وصالح بن عبدالجليل،وعنه هاشم بن خالدوحميدبن هشام العنسي وآخرون.توفي سنة215هـ،وقيل:205،انظر: الثقات لابن حبان: 376/8،الحلية:9/ 254،تاريخ بغداد:248/10،صفةالصفوة،223/4،للباب:282/1،البداية والنهاية: 255/10،وانظر أيضا:الأنساب: 243/5.الطبقات الكبرى:92/1.

، وهما الكتاب والسنة . وإلى هذا المعنى أشار إمام هذه الطريقة أبو القاسم الجنيد τ بقوله:"من لم يحفظ القرآن،ولم يكتب الحديث،لايقتدى به في هذا الأمر،لأن أمورنامقيدة بالكتاب والسنة " [3] .

واعلم أن أمورالشريعة ووظائف السنة منوطة بنسب (بينها) [4] وبين سعادة (الأخرى) [5] وشقاوتها ، منها مافتح الله تعالى للعقل في إدراكه والمعرفةبه،ومنهاماحجبه عنه،ولم يجعل له سبيلاإلى العثورعليه إلابإخبارمن الشارع صلوات الله وسلامه عليه فيما أخبر به عنه .

فإمحاض العبودية ، الإجابة بالسمع والطاعة لله ولرسوله من غير بحثولا نظر في وجه الارتباط والتناسب، إذ الإخلاد إلى العجز فيما (لم) [6] يعرف من ذلك أولى (لمن ألقى) [7] زمام تعبده بيد الشرع ، إذ لعل من أمور الشرع ما لا نسبة له ظاهره . أو لعل درك السعادة به بحكم الخاصية التي جعلها الله في ذلك . وفي الشريعة (من ذلك) [8] أمور كثيرة مما يرجع إلى الأوامر، ومما يرجع إلى النواهي.فحسب السالك أن يتلقى أحكام الله تعالى ، الواصلة إليه على لسان رسول الله ρ بالقبول ، ويقول : سمعت وأطعت .

الرابع : استعمال (آثار) [9] ، السنة من قول أو فعل أو مقصد باعتدال ،من غير (تعمق ولا تأنق)[10] ، ولا ميل مع أوهام الوسواس ، لأن ذلك مما يخرج العبادة عن مقصودها الشرعي .وما أصاب الإنسان من ذلك ، فسبيله إما دخل [11] في العقل

---

1 - ج : قلبي .

2 - ب: بشهادة.

3 - في الرسالة القشيرية ، ص : 20 .

4 - ج : بينهما .

5 - ب ، ج ، د : الآخرة .

6 - د : لا .

7 - ب : من الملقى ، د : بمن القى .

8 - ساقط من ج .

9 - د : اثر .

10 - ب : تغمق ولا تأثر (كذا) .

11 - الدخل : ما داخل الإنسان من فياد في عقل أو جسم ، (لسان العرب / دخل) .

واختلال في الذهن، وفساد في التصور، وإما جهالة (قادحة)[1] بأحوال السنة. وفي كلا الوجهين ، للشيطان عون على فساد الدين ، وذلك مما يجب العدول عنه وطلب الإقالة منه. قال الله تعالى: [يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر][2] . وقال عز ومن قائل: [وما جعل عليكم في الدين من حرج] [3].وقال النبي ρ:"ديننا هذا يسر"[4].

يسر"[4].

الخامس:بناء كل حركة أو سكنة من أمور الشريعة على قاعدة قصد القربة وحسن المعاملة لله تعالى ، ليجني من ذلك ثمرة حسن الوجهة إلى الله تعالى . لأن الأشياء التي لا يصحبها قصد القربة والمعاملة ، لا أثر لها في تنوير الباطن . وما ذلك إلا هباء لا اثر له في تنوير الباطن .(فبالتزام)[5] المقاصد بين يدي الأعمال الشرعية ، يتنور الباطن [6] ، فيأنس بالله ويستوحش من غيره .

وأما آدابها فخمسة :

الأول : متابعة النبي ρ في جميع ما ورد عنه من الأفعال والأقوال والحركات والسكنات ، مما يرجع إلى العبادات أو إلى العادات . إذ بذلك يحصل مطلق الاتباع المشار إليه بقوله تعالى : [قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله] [7] . وبقوله تعالى : [واتبعوه لعلكم تهتدون] [8] . فاتباعه في جميع حركاته وسكناته سعي إلى محل السعادة .فإن قلت : هذا في (العبادات)[9] ظاهر ، فما بال بال العادات ؟.

---

1 – ب ، ج : فادحة (بالفاء) .

2 – سورة البقرة / الآية 185 .

3 –سورة الحج / الآية 78 .

4 –رواه النسائي من حديث أبي هريرة بلفظ:"إن هذا الدين يسر،ولن يشاد الدين أحدكم إلا غلبه، فسددوا وقاربوا،واستعينوا وقاربوا،واستعينوا بالغدوة والروحة،وشيئ من الدلجة".السنن:122/8.

5 – ج : بالتزام .

6 – ج : زيادة : بها .

7 – سورة آل عمران / الآية 31 .

8 – سورة الأنعام / الآية 153 .

9 – د : العبادات .

فالجواب : أن عدوله ρ عن بعض المباحات إلى بعضها [1] يستروح منه القصد لفعل المعدول (إليه وترك المعدول)[2] عنه . ولعل في المعدول إليه سرا استأثر الله بعلمه، [وأطلع] [3] عليه نبيه أو من شاء [دون من شاء] [4] . ويبعد أن أن يكون فعل من افعاله صلوات الله وسلامه عليه ، أو قول من أقواله ، أو حال من أحواله ، عبثا لا عبودية فيه . كيف وهو إمام أهل المراقبة ، وسيد العابدين ، وقد وجدنا من (خيار) [5] أمته ، من لم يصدر عنه فعل ولا قول إلا على سبيل معاملة الله .

وقد روي أن بعضهم كان لا يأكل البطيخ ، فقيل له في ذلك فقال : ما يمنعني من أكله إلا أنه لم يبلغني كيفية أكل النبي ρ إياه [6] .

وروي أن بعض [الفضلاء] [7] لبس يوما خفه ن فذهل ولبس الشمال قبل اليمين ، فكفر عن ذلك بكيل طعام .فحسب [السالك] [8]، أن لا يتساهل في ذلك حتى يقول : ما يرجع إلى (العادة) [9] [لا معنى] [10] للاتباع فيه ، فإن هذا **|34|** القول مما يغلق بابا عظيما من أبواب السعادة .

ومن المعلوم أن النبي ρ قد أطلعه الله من سر غيبه على ما لم يطلع عليه غيره ، وأن أعماله وأقواله كانت [جارية] [1]على سبيل العدل المبلغ إلى أعلى الفراديس . فالميل عن اتباعه فيما قيل أو جل ، لا يخلو عن خسران .

---

1 - إشارة إلى حديث أخرجه الحاكم في المستدرك : 388/3 ، وأبو داود ، ح : 4764 ، بلفظ : " ما خير رسول الله ﷺ في شيئين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن في معصية " .

2 - ساقط برمته من ج .

3 - في : أ ب ، ب ج : فأطلع .

4 - في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

5 - ب ، ج : أخيار .

6 - الحكاية بنصها في: الذيل والتكملة: 1/ 54 غير منسوبة. وكذلك في: أنس الفقير ، ص : 111 ، وفي عنوان الدراية ، ص : 24 ، منسوبة فيهما إلى أحمد بن حنبل .

7 - في أ : الخلفاء .

8 - في أ : سقط بفعل الأرضة .

9 - ب : العادات .

10 - في أ : سقط بفعل الأرضة .

وقد روي عن عبد الله بن عمر τ أنه كان يوما يدير (ناقة) [2] في موضع فقيل له في ذلك فقال : لا أدري إلا أني رأيت النبي ρيدير ناقته هنا ، (فأنا) [3] أحب متابعته [4] .

الثاني : الأخذ بالأعم فالأعم من أقواله وأفعاله ρ ، فهو الأحوط وإن كان الأخص أصح ، لا سيما فيما يرجع إلى الترغيب والترهيب ، فذلك أحرى على سبيل الاتباع.[ومن هذا] [5] المعنى [نظائر] [6] كثيرة في الشرع ، كعدد ركعات الوتر ، وعدد ركعات الضحى ، وغير ذلك، وكذلك ما كان عليه صلوات الله وسلامه عليه آخر عمره ، إذ لعله انتقل عن المتقدم إلى المتأخر لحكمة ظهرت له من جانب الغيب .

الثالث : أن يقصد بمتابعته ρ : تعديل الحركات والسكنات حتى تنفعل النفس لذلك التعديل ، فتتصف به . وقد تقدم لنا ارتباط الباطن مع الظاهر . والعدل وضع الأشياء في مواضعها من غير ميل ولا تحريف. ولا يتوصل إلى حقيقة (ذلك) [7] إلا بمتابعة النبي ρ في العبادات والعادات، وذلك أن حركات الجوارح لا تكون إلا بعد أن تصورها النفس وتكيفها، فإن كانت تلك (الحركات)[8] معتدلة ، أبقت في النفس أثرا معتدلا ، وإن كانت معوجة ، أبقت في النفس أثرا معوجا .

فمهما استطاع السالك أن لا تصدر عنه حركة ولاسكنة إلا على سبيل العدل ، فهو (اللائق) [9] به ، المعين على قصده . ولا يصل إلى تحقيق الأمر [10] إلا

---

1 - في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

2 - ب ، ج ، د : ناقته .

3 - د : فإني .

4 - أخرجه بمعناه : أحمد في المسند ، ح : 5315 .

5 - في أ : ومن هذه ، د : ولهذا .

6 - في أ : نضائر (بالضاد) .

7 - ساقط من ج .

8 - د : الحركة .

9 - ب : الأليق .

10 - ب ، ج ، د : زيادة في ذلك .

بمتابعة النبي ρ ، الدليل الأكبر والطبيب (الأعظم)[1] لأن الإدراكات تقصر عن العثور على وجه العدل في أكثر الحركات والسكنات، فلا سبيل لذلك إلا من قبل الشارع ρ، وهذا مما يؤكد حكم اتباعه فيما قل وجل ، وذلك باب للسعادة الأبدية .

الرابع : أن يبني أمره [في اتباع][2] النبي ρ على أن يضبط نفسه بضابط شرعي يقمعها عن هواها، ويربطها [برابط] [3] الاقتداء بالنبي ρ ، يخرجها عن أنظارها.

أنظارها.

ولا شك أن هذا يخرج عن [التشبه] [4] بالأنفس المهملة ، المرخاة الرسن[5]، المسترسلة في اتباع هواها بحسب الطبع من غير حاجز .ومهما تعود الإنسان أن يفعل ما شاء ، ألف اتباع مراده ، وغلبت عليه صفة البهائم ، فعسر عليه الخروج عن الهوى .

فمصلحته أبدا أن يكون في جميع حركاته وسكناته ملجما بلجام الاتباع للنبي ρ ، مقيدا بقيود الاقتداء به ، ليخرج من طريق [هواه] [6] ، إلى طريق العبودية بلزوم بلزوم العدل حتى يكون اثر العبودية لائحا عليه .

فليس من ألقى زمام نفسه في تصاريفه للسنة ، كمن [ألقاه] [7] لهوى نفسه . وفي هذا سر بديع في تزكية النفس ، لأن الخروج عن بعض المباحات إلى بعضها ،(فيه) [8] نزوع عن الهوى ، هذا في المباحات ، فأحرى في الخروج عن المباحات إلى السنن .

---

1 - ساقط من ج .

2 - في أ : باتباع .

3 - في أ : بروابط ، د : برباط .

4 - في : أ، د: التشبيه .

5 - الرسن : الحبل . والرسن : ما كان من الأزمة على الأنفس (لسان العرب / رسن) .

6 - في أ : هذه .

7 - في أ : القى .

8 - د : فيها .

وإذا تأملت الحكمة في تحويل القبلة ونسخ الشرائع ، وجدتها تومئ إلى هذا المعنى .قال سهل (بن عبد الله) [1] التستري[2]: "كل فعل يفعله العبد بغير اقتداء، وإن وإن كان طاعة، فهو عيش [للنفس][3] بهواها. وكل فعل [يفعله] [4] بالاقتداء، فهو عذاب عذاب للنفس"[5] لكن فيه تشحير [6] لها .

وحال الاتباع له مراتب :

– منها ما يحمل عل تركه الكفر والزندقة ، كالفرائض .

– ومنها ما يحمل على تركه ضعف [7] الإيمان كالسنن المؤكدة .

– ومنها ما يحمل على تركه العجز والكسل والحرمان كالرغائب والنوافل .

– ومنها ما يحمل على تركه ضعف الفطنة ، وعمى (البصيرة)[8] على تلمح البركات البركات من جنبات أحواله وعاداته ، كعوائده في المباحات .والاتباع المطلق (يكر) [9] عل جميع ذلك بالقيام والاقتداء .

الخامس: مدافعة الخواطر العارضة عند التلبس بالاتباع ، بأن يمضي على قصده ويلغي جميع الأوهام ،لأن العزم يدفع جميع العوارض بالمقصد المبلغ إلى

---

1 – ساقط من : ب ، ج .

2 – سهل بن عبد الله التستري أبو محمد الصوفي ، روى عن خاله ابن السوار ، وصحبه ذوالنون المصري، وروى عنه،عمر بن واصل وأبو محمد الحريري ،وعباس بن عصام.من أشهر أعلام التصوف ، يعد في طبقة الجنيد . توفي سنة : 283 هـ أو284 هـ (انظر : حلية الأولياء ، لأبي نعيم: 189/10، صفة الصفوة لابن الجوزي : 64/4 ، اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير : 216/1 ، العبر،للذهبي: 70/2 ، البداية والنهاية ،لابن كثير : 74/11 ، الرسالة القشيرية ، ص : 15) .

3 – في : أ ، د : النفس .

4 – زيادة في ج ، ساقطة من : أ ، ب ، د .

5 –بلفظه في الرسالة القشيرية ، ص 16 .

6 – التشحير : تصفية الذهب وجميع المعادن ، وتخليصها . والشحيرة : التركيبة أو المادة التي تستعمل لتصفية المعادن (تكملة المعاجم العربية دوزي : 732/1) .

7 – ب : زيادة : في .

8 – ساقط من ج .

9 – ب : يكون .

رضى الله تعالى .فالحزم أن لا يعدل عن شيء مما [يريد] [1] الاتباع فيه ، إلابنص جلي |35| لا معارض له،وكذلك ينبغي أن يكون في مدافعة العوارض (الدنيا) [2] . فإن تأكدت ، فليجعلها تبعا لحال سلوكه في اتباعه ، لأن المحبة الصادقة تقضي باتباع المحبوب على كل حال ،كفعل ابن عمر وغيره من الصحابة ،وسائر السلف رضي الله عنهم .

فإن قلت : لقد أبلغت في (أمر) [3] هذا المنزل ، ووكدت في شأن الاتباع للنبي ρ بما لم يسبق لغيرك [ممن تكلم] [4] في المقامات .

فالجواب : أن حاملي على ذلك ما قصدته من توطئة حال الشريعة عند السالك لئلا (يذهل) [5] عنها أو عن شيء من رسومها عند صدمات الحقائق، كما قد قد جرى لبعضهم فهلك، مع ما بلغني [من أن أناسا] [6] من أهل زماننا ممن يدعي في سلوك طريق القوم ، ويتكلم في التحقيق ، حملهم [7] ما هم عليه من الجهل على أن حلوا أيديهم من (العروة) [8] الاتباعية ، ومرقوا من الأحكام الشرعية،وركنوا إلى ما لاح لهم أو توهموه من سراب الجهل في قيعة البواطن[9]، فظنوا [أنه] [10] ينبوع من الحقائق. ولو تأملوه لم يجدوه شيئا . فمالوا بذلك إلى الحرمان ، وركبوا به طريق الخذلان ، ونعوذ بالله من الهوان والخسران، فقالوا: إنما تبلغ الغاية بذكر الله ، وذكر النبي ρ ، حجاب عن الغاية .

---

1 – في أ : سقط بفعل الأرضة .
2 – ب ، ج : الدنيوية .
3 – ج : ذكر .
4 – زيادة في : ج ، ساقطة من : أ ، ب .
5 – ج : يزهد .
6 – في : أ : من أناس ، ج : أن ناسا .
7 – ب : زيادة : على .
8 – ب : القدوة .
9 – إشارة إلى الآية : 38 / من سورة النور : [والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء.حتى إذا جاء جاء ه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوافاه حسابه . والله سريع الحساب] .
10 – في : أ، د : أنهم .

وقد ترد على السالك في بداية أمره خواطر من هذا القبيل،واجب عليه أن يدفعها[1]ويعلم أنها من قبيل الشيطان،يزخرف بها هذا المأخذ الخسيس،ويبرقش[2]بها هذا هذا المسلك الوعر،ليمكر بذلك،ويستدرج إلى الكفر الصريح أو الزندقة المحضة. فمن حفظه الله من ذلك،(أظهر)[3]له فيه أثر الشر والمكر،فتعوذ منه ودافعه عن نفسه.ومن خذله الله بذلك،فزين له شيطانه سوء عمله حتى رآه حسنا،اتخذه دينا وسلكه طريقا.

فلذلك بسطت الكلام في هذا المنزل . رافعا فيه الأشكال ، وداعيا إلى محض السعادة الأبدية باتباع النبي ρ .وليس ذلك من خواص البدايات دون (النهايات) [4]، بل حالة الاتباع (من الأمر) [5] الذي يعم السالكين في بداياتهم وتمكيناتهم ونهاياتهم . لكن إذا أحكموا ذلك في هذا المنزل حتى تشرب [6] فيهم معناه [7] ، تحلوا بوظائف بوظائف السنة باطنا وظاهرا، حتى إذا وردوا على مشارب الحقائق ، واستغرقوا في لجج الأسرار بما يقتضيه معنى التوحيد ، ثبتوا عند صدمات الحقائق على ما حصلوه في هذا المنزل من وظائف السنة وأحكام الاتباع وأمور الشريعة ، فثبتت أقدامهم ولم تزل ولم تزغ ، فسهل عليهم الجمع بين الحقيقة والشريعة ، ولم تجد تلك الخواطر الردية مدخلا ولا محلا ترد عليه من الباطن .

فإن قلت : أوردت في مقام الإسلام ما قد عده بعضهم من شعب الإيمان كالتوبة والاستقامة .

فالجواب : أن الإسلام اسم يعم جميع وظائف الثلاث (المقامات) [8] . لما (فيها)[9] من معنى الانقياد . ثم كل ذلك داخل تحت نطاق الإيمان ، لأنها عن

---

1 – ب ، ج : زيادة : عن نفسه .

2 – البرقشة : تلوين بألوان شتى . وبرقشه : نقشه بألوان شتى (اللسان / برقش) .

3 – ب : ظهر .

4 – ب : النهاية .

5 – ب : والأصل .

6 – تشرب فيهم : تمكن منهم . (اللسان/ شرب)

7 – ب ، ج : زيادة : و .

8 – ب ، ج : المقامات .

9 – ب : فيه .

التصديق قامت ، وبه [ظهرت] [1] ، فسميت باسم أصلها لأنه موجبها وهي موجبه . حتى إذا أردنا تخصيص كل مقام) [2] بوظائفه جمعنا له ما يناسبه ويختص به مما لا يقوم إلا به. ولما كان الإسلام أول المقامات ، طلب المكلف أولا به ، وبما لا يقوم الإسلام إلا به ، فافهم .

ذكـــــر

(واعلم) [3] أن الذكر الخاص بهذا المنزل هو الصلاة على النبي ρ بالمناسبة التي بينها وبين حال طالب اتباع السنة والموافقة التي يقتضيها اقتفاء (أثار) [4] الشرع. قال الله Y:[إن الله وملائكته يصلون على النبيئ ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما] .ففي تقديم الإخبار بصلاة الله وملائكته على النبي ρ،قبل طلب الصلاة عليه من المؤمنين،إشارةإلى ثبوت محبة الله والملائكةإياه،وطلب ذلك من المؤمنين ، ثم دلوا على ما تحصل به محبته،وهي الصلاةعليه.وقال ρ:"أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة أكثرهم علي صلاة".وهل[يكون القرب][5]منه إلاعلىقدراتباعه والتزام طاعته،وهل يكون اتباعه إلا على قدر محبته،وهل تكون محبته إلاعلى قدر|**36**|ذكره .

واعلم أن الله Y أوجب علينا محبته واتباعه . والناس في محبته (واتباعه)[6] على درجات : فمن ناقص من كامل .

ومن المعلوم أن الذكر يؤكد محبة المذكور ، وأن المحبة تؤكد أمر الاتباع للمحبوب. فذكر النبي ρ وسيلة إلى حبه، وحبه وسيلة إلى اتباعه،واتباعه واجب، ووسائل الواجبات واجبة.

فإذا تقرر هذا ، فالمحبة تكون بحسب ذكر المحبوب من الإقلال أو الاكثار أو الغيبة أو الحضور، وقد جاء: " من أحب شيئا أكثر من ذكره "[1]. وكذلك: "من

---

1 - في أ : ظهر .

2 - ساقط برمته من د . (من: المعنى، قال سهل بن عبد الله التستري ...)

3 - ساقط من ب .

4 - ب : اثر .

5 - في أ : سقط بفعل الأرضة .

6 - ساقط من ج .

أكثر من ذكر (شيء)[2] أحبه". وقد جاء عن النبي ρ أنه قال : لا يكمل [للمؤمن] [3] إيمانه حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهله وماله والناس أجمعين" [4].

فإذا حصلت محبة النبي ρ في الباطن ، وخالطت بشاشتها القلوب ، دعت ضرورة إلى اتباع سنته وطريقته بحسب محبته .

ولذلك تأكد أمر الصلاة عليه ، لأنها تستلزم محبته ، ومحبته تستلزم اتباعه. قال بعض [أهل العلم] [5] رضي الله عنهم: " من علامة حب النبي ρ كثرة الثناء والصلاة عليه ، والدعاء له ، واتباع سنته ، ومعاداة من خالفه ومحبة من وافقه " [6]. مع ما في الصلاة عليه من سر آخر في اتباعه ، وذلك أن اتباعه هو العبادة ، ولابد في العبادة من موافقة الباطن بالتصور لها ، والقبول عليها، (وبذلك يكون)[7] القيام بها والعمل بمقتضاها .

(فالباعث)[8] (عليها) [9] محله الباطن ، وقد يحجب الباطن عن التصور والقبول الباعثين على القيام بمقتضى العبادة ما تراكم فيه من ظلم الأهواء وسحائب الأوهام.

وللصلاة على النبي ρ خصوصية في تنوير الباطن ، فإذا صلى العبد على النبي ρ داخل باطنه منها نور تشرق به أرجاؤه ، فتذهب الظلم بإشراق ذلك النور ، فيظهر للباطن إذ ذاك من الاهتداء للقيام باتباع النبي ρ ما كان عنه غائبا قبل ذلك ،

---

1 –عزاه السيوطي لعائشة.ورمز له بالضعف،انظرالجامع الصغير:30/6،وقال المناوي في فيض القدير:30/6: اجتمع عند رابعة علماء وزهاد،وتفاوضوا في ذم الدنيا، وهي ساكتة فلاموهافقالت: من أحب شيئا أكثر من ذكره،إما بحمد أو بذم،وأورده الطوسي كذلك في اللمع، منسوبا إلى سمنون المحب،ص:86.

2 – د : النبي .

3 – في أ : لأحد .

4 – متفق عليه من حديث أنس . أخرجه البخاري ، ح: 15 ، ومسلم ،ح : 70 (44)

5 – في أ : العلماء .

6 – بمعناه في الشفا للقاضي عياض : 24/2 ، وكذلك في الرسالة القشيرية في معرض الحديث عن محبة الله ، ص: 159.

7 – ج: ويؤكد ، فيكون (كذا) .

8 – ج : فالغالب .

9 – ساقط من ب .

فيتجرد الباعث ، ويقوى العزم على الاتباع ، ويشتد الحرص على الاقتداء ، فيستقيم عمود الدين وتشتد عرى العبودية. ومع ذلك فالسالك طالب طريق النجاة وسبيل المعرفة بالله، ولا مطمع في ذلك إلا بدليل ، ولا دليل كرسول الله ρ ، فلابد له من التمسك بركابه والتعلق بأذياله .

وبهذا المعنى يتقرر أن الصلاة على النبي ρ مطلوبة في كل مقام ومع كل حال، وسيظهر لك برهان ذلك فيما بعد إن شاء الله .ولا يطمع في كمال اتباعه من قصر في محبته ، كما لا يطمع في كمال محبته من قصر في ذكره .

واعلم أن حبه ρ يتأكد علينا من وجوه ، أعظمها وأعلاها محبة الله تعالى إياه، إذ من اختصه الله لمحبته العظمى، فواجب على كل قلب وروح إخلاص المحبة له ليتألف مع روحه (الكريمة) [1] في غيب [2] الغيب ، لأن : " الأرواح جنود مجندة مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف " [3]. وتعارف الأرواح بروحه ρ لا يكون إلا بإخلاص المحبة له، (وإخلاص المحبة له)[4] لا يكون إلا بالإدمان على ذكره والإكثار من الصلاة عليه . وفي الاتصال بروحه من الأسرار التي تولج في محل (الاختصاص) [5] ما لا يدرك بغير ذلك، لأن مقامه أرفع المقامات ، (والمتعلق) [6] به يظفر بكل مطلوب ومرغوب ، فلا يزال صاحب هذا المنزل يصلي على النبي ρ ، حتى تظهر (عليه) [7] ثمراتها ، وتلوح [له] [8] أسرارها أسرارها .

فإن قلت : كيف يكون تناول ذلك ، وكم يكون عدد الالتزام منه ؟

---

1 - ب ، ج ، د : الكريم .

2 - ب : زيادة : عالم .

3 - أخرجه من حديث أبي هريرة مرفوعا : مسلم ، ح : 159 (2638) وأبو داود : ، ح : 4813 ، والطبراني في المعجم الكبير : 323/6 ، والبغوي في شرح السنة : 57/13 .

4 - د : وذلك .

5 - ب : الاخلاص .

6 - د : فالتعلق .

7 - ج : له .

8 - في أ ، ب : عليه .

فالجواب : إن صاحب هذا المنزل وإن كان قد جاوز منزل التوبة ، فلم يخرج بعد عن أهل البداية. أما الكيفية في الوجهة ، فقد تقدمت بذكر الشروط والآداب وغير ذلك، فلا إعادة.

وأما كيفية الذكر ، فلكل حال من أحوال صاحب هذا المنزل اختصاص بكفية من كيفيات التصلية ، وكيفياتها كثيرة ، منها ما جاء عن النبي ρ ، ومنها ما جاء عن غيره من الصحابة وغيرهم .

ولوالدي τمن كيفياتها شيء لم يسبق إليه.ومع ذلك فلا حصر ولا حد،إذ من أحوال السالك ما يعرض،فيستدعي كيفيةربمالا توجد،فيدعو الحال إلىتكييف كيفية يكون لها اختصاص بذلك العارض.إذ العوارض(تختلف)[1]إلى قيام الساعة.

لكن ما وجد من تلك **[37]** الكيفيات النبوية ، (فيه) [2] مناسَبَةٌ لحال السالك ، فاستعمالها أولى ، للبركة المرجوة في ذلك والنظر في المناسب من ذلك ، وفي عدد اللزوم ، مقصور على القدوة ، لاختلاف الأحوال والعلل وكثرتها ، حتى فاقت الحصر .وليحافظ على التماس البركة بإيقاع الذكر في أشرف الأوقات وأشرف البقاع مع الإمكان. وقد تقدمت الإشارة إلى بعض الأوقات الفاضلة. وأما البقاع الشريفة، فأعلاها المساجد ،وأقلها مكان طاهر وخال بعيد عن الشواغل.ومن الأدب أن يتخذ السالك من منزله خلوة[3] [تكون] [4] معدة لذكره وصلاته .

ولابد في كل حال من استعمال الاستغفار ، إذ لا تعرو حالة من الأحوال عن [سببه] [5]: أما في منزل التوبة ، فمن الكبائر، وأما هنا فمن الصغائر، وفيما بعده فمن الغفلات أو [من] [6] الخطرات[7] أو من اللحظات ، أو من التقصير بسبب

---

1 – ج : مختلفة .

2 – ساقط من ج .

3 – يقول القشاني: " الخلوة محادثة السر مع الحق بحيث لا يرى غيره. وأما صورتها، فهي ما يتوسل به إلى هذا المعنى من التبتل إلى الله والانقطاع عن الغير" (اصطلاحات الصوفية . ص: 161 – كشاف اصطلاحات الفنون: 2 / 245).

4 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

5 – في أ ، ب : سبب .

6 – زيادة في ب ، د – ساقطة من أ ، ج .

7 – يقول القشيري: " الخواطر خطاب يرد على الضمائر. فقد يكون بإلقاء ملك، وقد يكون بإلقاء

بسبب الارتقاء في (درجات)[1] الولاية؛ كل معامل بالاستغفار . وقد قيل : " سيئات المقربين حسنات الأبرار "[2].

ولقد يعرض لبعض أهل النهايات حال يلزم [فيها] [3] الاستغفار (من الاستغفار) [4] . وسيأتي بيان ذلك كله في موضعه إن شاء الله .

أما صاحب الاستقامة ، (فيلتزم) [5] الاستغفار لما بقي فيه من أثر الكبائر، فإن الجرح إذا زال عينه لابد وأن يبقى أثره ، وللأثر تأثير (يلزم)[6] العمل على إذهابه ، [ولما لا] [7] يكاد ينفك عنه من الصغائر، فجدير أن يستعين على محو ذلك بالاستغفار، فهو مرهم كلوم الذنوب ، وغاسول[8]أدران التقصير .

فليبدأ أولا بذكر الاستغفار بناء على مقدماته التي خلت في منزل التوبة ، ماعدا المقصد ، فله هنا مقصد آخر . فليذكر من ذلك عددا يكون سبعين فأكثر، ثم ليدخل بعده إلى ذكر التصلية بالكيفية التي تناسب حاله ، عددا يوافق شأنه. وليبدأ

الشيطان، ويكون أحاديث النفس، ويكون من قبل الحق سبحانه" (الرسالة القشيرية – ص: 46- 47) وانظر أيضا: اللمع. ص: 418- معراج التشوف. ص: 43.

1 - ب : درجة .

2 - أورده الشيباني.وقال:هوكلام أبي سعيد الخراز و ليس بحديث . تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنةالناس من الحديث،ص 70 - ونسبه الطوسي إلى ذي النون المصري (اللمع ، ص: 68 والمقرب اصطلاحا هو:" من كملت أحواله فكان بربه لربه، ليس عن سوى الحق اخبار، ولامع الله اقرار" معراج التشوف – ص: 65. أما الأبرار، فيرى التهانوي أنه مصطلح "يرادف الأخيار، وقيل:يرادف الأبدال" كشاف اصطلاحات الفنون :170/1. وأيضا معجم المصطلحات الصوفية ص:38. وأورده كذلك القيشري في الرسالة (ص:65) وأبو المواهب التونسي في القوانين(ص:51) غير منسوب .

3 - في أ ، د : فيه .

4 - ساقط من ج .

5 - ب ، ج : فيلزم ، د : فليلتزم .

6 - ج : فيلزم .

7 - في أ : ولا .

8 - الغسول : كل شيء غسلت به رأسا أو ثوبا أو غيره (اللسان / غسل) . والغسول : نوع من الصابون يغسلون به رؤوسهم (معجم شمال المغرب ، ص : 159) - والغاسول :الطين المدعوك (تكملة المعاجم العربية 213/2)، والغاسول بمعناه الأخير –لا زال مستعملا في المغرب إلى الآن.

ورده، وليختمه بما قد مضى ذكره من الاستعاذة والبسملة والحمد والشكر والصلاة والسلام إن كان وقت صلاة ، والدعاء . لا يفارق هذا الترتيب على حال.

وتنويع كيفيات الأذكار أبدا، يكون بإضافة اسم من أسماء الله تعالى أو صفة من صفاته ، يكون في ذلك الاسم أو الصفة معنى مختص بزوال علة الذاكر. وقد يكون التنويع بأسماء النبي ρ وصفاته ، لأن أسماءه وصفاته أنوار فاضت من حضرة الاختصاص .وأسرع كيفيات الأذكار فتحا ، وأقربها نجحا [1] ، ما أعرب عن صريح المناجاة [2]، بكاف الخطاب ، أو تائه [3] ، أو (بالنداء) [4] ، ونحو ذلك . فإن ذلك مما مما يحرك دواعي الإجابة، لداعي الافتقار الذي يسلك به طريق (العبادات) [5]. وليتعاهد نفسه في سائر أوقات ليله ونهاره بالهجيرا ، كلما غفل رجع إليه. ويكون الهجيرا كما تقدم : إما ذكر المنزل الماضي ، (أو ذكر المنزل المأخوذ فيه) [6] أو ذكر المنزل الآتي ، منوطا [ذلك] [7] كله بالأحوال المفسرة قبل .

ونعني بذكر المنزل ، الذكر الغالب عليه ، المقصود له؛ لأن الأذكار منها ما هو مقصود ، ومنها ما هو لاحق ، ومنها ما هو سابق . فأذكار المنازل هي المقصودة لها . وقد تستتبع (غيرها) [8] من الأذكار حسب ما تقتضيه الحكمة . ومهما كانت كيفية الذكر أجمع معنى وأخصر لفظا ، أسرع التأثير ، لا سيما [لأهل البداية] [9] .

وليجتهد في إحضار فكره لتلمح معنى الكيفية التي يذكرها ، فعلى قدر تدبر المعنى يكون التأثير . وليدافع الخواطر الواردة عليه حال الذكر ، المغايرة لمعناه.

---

1 – ب ، ج : زيادة : لا سيما لأهل البداية – د : لا سيما لأهل البدايات .

2 – المناجاة كما يرى الطوسي هي: " مخاطبة الاسرار عند صفاء الأذكار للملك الجبار " اللمع – ص : 426 – وأيضا معجم المصطلحات الصوفية –ص 169.

3 – ب : زيادة : أوياء .

4 – د : أو ياء النداء .

5 – ب ، ج : العبادة .

6 – ساقط برمته من د .

7 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

8 – د : غيره .

9 – في أ : أهل .

وليتصور الصورة الكريمة النبوية في مرآة فكره ، كأنه بين يديه، سائلا من الله تعالى الصلاة عليه . وكلما خرج عن هذا المعنى عاد إليه، حتى يستصحبه ولو في أغلب الأحوال . إذ ليس في وسع أهل البداية التجرد عن جميع متعلقات الأفكار الوهمية .

واعلم أن الصلاة على النبي ρ ذكر من (ذكر) [1] الله ، فلا يختلج في فكرك ما (يفوه) [2] به بعض المحجوبين عن تلمح معنى الشريعة ، المطرودين عن تحقيق وجوه العبادات . فقالوا : الصلاة على النبي ρ ليست من ذكر الله ، توطئة على ترك الصلاة على النبي ρ [أو استدراجا] [3] للإقلال منها . وهنا – والعياذ والعياذ بالله – خروج عن دائرة العلم وإخلاد إلى حضيض الحرمان .

وقد جاء في بعض (الآثار) [4] أن الله تعالى قال : " يامحمد ، من أحبك فقد فقد أحبني ، ومن ذكرك فقد ذكرني ". وليست كيفية من كيفيات الصلاة على النبي ρ إلا وفيها اسم|**38**| من أسماء الله تعالى،أو صفة من صفاته، (فكيف يكون)[5][ذاكر][6]اسم من أسماء الله تعالى،أو صفة من صفاته غير ذاكر لله؟

ومع ذلك ، فالقيام بالصلاة على النبي ρ ، قيام بأمر الله تعالى حين أمر بالصلاة عليه . والقيام بالأمر ذكر [للأمر] [7]. وهل المصلي على النبي ρ إلا يناجي ربه ، (يطلب منه الصلاة) [8] على النبي ρ ؟ فقد تضمنت الصلاة على النبي ρ ذكر الله من وجوه . ولمولاي الوالد تأليف اختص بهذا المعنى ، بديع المأخذ ، جليل (الفائدة) [9] . وللصلاة على النبي ρ [10] في تنوير الباطن وتزكية النفس عجائب يجدها السالك ذوقا ، سوى ما تضمنته من الأسرار والفوائد .

---

1 – ج : أذكار .

2 – ب ، ج ، د : تفوه .

3 – في أ : واسترجاعا .

4 – ج : الأخبار .

5 – ج : فيكون .

6 – في أ ، ب : ذكر .

7 – في أ : الأمر .

8 – ب ، ج : بطلب الصلاة منه – د : بالصلاة بطلب الصلاة منه (كذا) .

9 – ب ، د : ألإفادة .

10 – ب ، ج : زيادة : تأثير .

وقد هممت مرة بحصر فوائدها ، فأربت على مائة فائدة ، ثم انفتح علي في ذلك باب من الفوائد يعجز عنه الحصر والاستقصاء . وقد أشار مولاي الوالد إلى بعضها في تأليفه المذكور .

فحسب السالك إخلاص (القصد)[1] في الوجهة إلى الله تعالى بالصلاة على نبيه ρ حتى يجني ثمرتها ، وتلوح له بركتها، وما هي في جميع منازل هذا الطريق إلا مصباح يهتدى [به] [2] ، ونور (يستبصر)[3] به .

ومثل ذلك كبيت فيه أنواع من الذخائر والأعلاق والفوائد النفيسة، وذلك البيت له باب منه يدخل إلى البيت ، ومنه يصل الضوء لمن اراد الدخول إليه لينال من ذخائره وأعلاقه [4]. وفي ذلك البيت حيات وعقارب ، ولذلك (الباب) [5] مفتاح ؛ فمن تحيل ودخل البيت من غير بابه ليصيب من تلك الذخائر والفوائد [لم] [6] (يبصر)[7] منها شيئا لكون الباب مسدودا ، فلم يكن له عثور على ما أراده من تلك الذخائر إلا بالجس ، فربما وقعت يده على حية أو عقرب ، فلدغته فأهلكته قبل العثور على مطلوبه. ومن عمد إلى المفتاح ، ففتح به الباب ، دخل البيت ، فأبصر (بضوء) [8] الباب ما فيه من الذخائر والعقارب ، فأخذ ما أراد ، واستمتع بما شاء ، وتحفظ من من تلك الآفات، حتى سلم منها ، ونال بغيته بأمن وسلامة . فالبيت هو القلب ، والذخائر والأعلاق هي أسرار الحقائق، والعقارب والحيات هي العلل والآفات الطارئة على القلب، الداعية للفتن ، المهلكة (بانبعاث الهوى)[9]، والباب هو اتباع النبي ρ، والمفتاح هو الصلاة عليه، والضوء هو نورها .

---

1 - ب : المقصد .

2 - في أ ، ب : بها .

3 - ب : يستصبح - ج يستضاء .

4 - العلق : المال الكريم . والنفيس من كل شيء . (اللسان / علق) .

5 ج : البيت .

6 - في أ : ولم .

7 - ج : يتصور .

8 - ب : بنور .

9 - ب ، ج : اتباعات الأهواء - د : بانبعاث الأهواء .

فمن عمر قلبه بالصلاة على النبي ρ ، اطلع بأنوارها على أسرار حقائق التوحيد ، وأبصر مختلفات الآفات، ومن دخل البيت من غير بابه ، أفضى ذلك به إلى الكفر والزندقة ، فهلك مع الهالكين – والعياذ بالله – .

فانظر ما احتوت عليه الصلاة على النبي ρ من الفوائد ، ومحلها من هذا الطريق.أعاننا الله على توفية الواجب في إيرادها بفضله.

ولا مطمع في درك الحقائق بالترقي إلى حضرة التخصيص لمن أعرض عن ذكره والصلاة عليه أو تكاسل في ذلك.جعلنا الله ممن أخلص في محبته، وواصل ذكره وظفر بقربه .

مقصـــــد

اعلم أن مقصد التصلية يختلف باختلاف المنازل ، واختلاف أحوال السالكين . أما ما داموا في حال التفرقة مشاهدين لأحوالهم في (معاملتهم)[1] ، فالمقصد في ذلك جار على ما(يقتضي)[2]المعاملة.وإذا حصل المعنى،لا تشاح في الألفاظ .

ولقد جرى بيني وبين [مولاي الوالد] [3] يوما كلام في ثمرة مقصد التصلية على النبيρ،فقال لي:كيف هو المقصد الذي تعقد عليه ذكرك الآن من (الصلاة على النبيρ) [4] فقلت له : لله اصلي على سيدنا محمد إيمانا واحتسابا لله وتعظيما لحق لحق رسول الله ρ ، وتشريفا له وتكريما ، فقال لي : ألا أدلك على ما هو أجمع وأنفع(وأبلغ) [5] في استثمار ثمرة الصلاة على النبي ρ ؟ فقلت له : وما ذاك ؟ فقال (لي) [6] إذا قرأت : [إن الله وملائكته يصلون على النبيء ، ياأيها الذين أمنوا ، صلوا عليه وسلموا تسليما] ، فأورد هذا الخطاب على نفسك، فأجب بلبيك ربي

---

1 – ب ، ج ، د : معاملاتهم .

2 – ج : تقتضي .

3 – ب ، ج ، د : في أ: والدي رحمه الله (وهو تحريف من ناسخ هذه النسخة بلا شك، لأن الكتاب ألف في حياة والد المؤلف كما سبق بيانه). وفي بقية النسخ: مولاي الوالد.

4 – د : التصلية .

5 – ساقط من ج .

6 – ساقط من ب .

وسعديك،والخير كله في يديك،وكل شيء منك وبك وإليك، والعبد الضعيف[1] يتوجه إليك،بالإجلال لنبيك|**39**| والتعظيم، والصلاة [عليه][2] والتسليم ، ويقول : بإمدادك ومنتك ، وبما وهبته من نعمتك: اللهم صل على (سيدنا)[3] محمد ، إلى آخر دور سبحتك، أو إلى آخر وظيفتك من ذلك . فما هو إلا أن استعملت ذلك ، فوجدته يشير إلى حال الجمع بما فيه من التبري عن الأفعال[4] ، فضعفت عن حمل أعبائه . فذكرت ذلك له ، فقال : أضف إليه المقصد الأول، فإذا قلت: "و[يقول][5]بامدادك ومنتك ، وبما وهبته من نعمتك،" فصل به : "لله أصلي على سيدنا محمد إيمانا واحتسابا لله ، وتعظيما لحق رسول الله ρ ، وتشريفا له وتكريما". ففعلت ذلك ، فوجدت له أثرا حسنا .ومن الحكمة وحسن التربية ، حمل كل إنسان على ما يقتضيه حاله ويقوى ؛ ومتى ضعف السالك عن حمل أعباء ذكر أو (مقصد)[6] ، علم أن ذلك لبقية بقيت فيه ، فليقهقر إلى ما يناسبه ، ترفقا وتلطفا ، وليبق عليه شاهده محفوظا من طوارق الثبات .

والشيخ العارف الرباني أدرى بالأحوال وما يناسبها من الأذكار والمقاصد وقد تقدم لنا أن الاستغفار مطلوب في كل المنازل ، لكن تختلف موجباته كما تقدم ، [فتختلف][7] مقاصده . وإن كان مقصد الاستغفار المأثور عن مشايخ هذا الطريق يعم أحوال [مقامي][8] الاسلام والإيمان ، لكن لا يخلو عن بعض إشكال لمن ارتفع عن الكبائر، (فيحتاج)[9] إلى مؤونة في رد حاله إلى مقتضاه. وتقريب المعاني وأحكام المقتضيات ، عون على تحصيل الفوائد وتسهيل المرام .

---

1 – ب : زيادة : بين يديك .

2 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

3 – ساقط من ب ، ج ، د .

4 – التبري عن الأفعال : نفي نسبتها إلى نفس الذاكر .

5 – في أ : نقول .

6 – في د: قصد .

7 – في أ : فيختلف .

8 – في أ : مقام .

9 – ج : يحتاج .

فإذا توجه للذكر صاحب هذا المنزل ، وأراد أن يبدأ بذكر الاستغفار ، فليتعوذ قاصدا التلاوة ، ثم ليقرأ : [استغفروا ربكم ، إنه كان غفارا] [1] فيورد هذا الخطاب على نفسه ، ثم ليجب عنه ب: لبيك ربي وسعديك ، والخير (كله) [2] في يديك والعبد يعاهدك على لزوم المتاب ، عازما على ترك الصغائر ، ومحو آثار الكبائر، ويقول بلسان الاعتذار : أستغفر الله ، إلى آخر الكيفية التي تناسب حاله . فإذا أتم عدده من الاستغفار ، – [و][3] يستحب له تقديمه بين يدي التصلية ، ليهيئ له محلا طاهرا لورود ورد التصلية عليه ، أدبا مع الجناب النبوي – ، فليتعوذ قاصدا التلاوة، ثم ليقرأ: [إن الله وملائكته يصلون على النبي ، ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما] ، فليورد هذا الخطاب على نفسه ، ثم ليجب ب : لبيك وسعديك ، والخير كله في يديك ، والعبد الضعيف بين يديك ، (يمتثل) [4] أمرك في الصلاة على نبيك والسلام ، والإجلال له والإعظام ، ويقول بلسان الضراعة : لك أصلي على سيدنا محمد، إيمانا واحتسابا لك ، وتعظيما لنبيك، وتشريفا له وتكريما ، اللهم صل على (سيدنا) [5] محمد ، إلى آخر الكيفية التي تناسب حاله .

وليجتهد في صرف باله وفكره إلى مقتضى (مقصده)[6] ومعنى ذكره ، فإن الألفاظ قوالب المعاني ، والسر في المعاني لا في القوالب . وحرام ورود الأسرار على قلب غافل عن [تدبر المعاني] [7] .

(فالمقاصد)[8] أساس الأذكار ، والأدب حلية الخدام ، واللزوم سبب الفتح ، ومتابعة السنة قائد إلى الفلاح ، وحرز الأعمال نجاح الآمال، والافتقار داعي الأسرار .

ثـمـــرة

---

1 – سورة نوح / الآية 10 .

2 – ساقط من ب .

3 – ساقط من الأصل .

4 – ج : ممتثلا . ذ

5 – ساقط من: ج ، د .

6 – د : قصده .

7 – في أ ن ج : تدبير المعنى – د : تدبر المعنى .

8 – ب : المقصد .

اعلم أن ثمرة مقصد الصلاة على النبي ρ انطباع صورته الكريمة في النفس انطباعا ثابتا متأصلا متصلا، وذلك أن المداومة على الصلاة على النبي ρ بإخلاص القصد[1] ، وتحصيل الشروط والآداب ، وتدبر المعنى ، حتى يتمكن حبه من الباطن تمكنا صادقا خالصا،(تصل)[2]بين نفس الذاكر وبين نفس النبي ρ ، وتولف بينهما في محل القرب والصفا [3] ، بحسب تمكن حبه من النفس ، فالمرء مع من أحب أحب ، والحب يوجب الاتباع للمحبوب ، والاتباع يوذن (بالوصل)[4] قال الله Y : [ومن يطع الله والرسول ، فأولئك مع الذين أنعم الله عليهممن النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولائك رفيقا][5]. والأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف .

فإذا تمكن حب النبي ρ من النفس **|40|** لم تغب صورته الكريمة عن [عين][6] [عين][6] البصيرة لمحة . وهي الرؤية (الحقيقية) [7] . لأن رؤية البصر إنما هي لتؤدي حقيقة المبصر إلى عين البصيرة ، فيحصل عند البصيرة الاطلاع على حقيقة ما (أداه) [8] إليها البصر من المبصرات .

ولا شك أن الصلاة على النبي ρ ، إذا [خلص] [9] مشربها [10] ، سطعت أنوارها في الباطن ، فصارت النفس مرآة لصورته ρ ، لا تغيب عنها، وهو العلم

---

[1] – يقول الطوسي: "القصد معناه الإرادة والنية الصادقة المقرونة بالنهوض إليه. حكي عن بن عطاء أنه قال: من قصد في قصوده غير الحق، فقد عظمت استهانته بالحق." (اللمع ص: 446).

[2] – ب : توصل – ج ، د : يصل .

[3] – ج ، د : زيادة : تأليفا .

[4] – ب ، ج ، د : بالوصال .

[5] – سورة النساء / الآية 69 .

[6] – في : أ ، ب ، ج : العين .

[7] – د : الحقيقة .

[8] – ج : أراده .

[9] – في : أ . أخلص .

[10] –المشرب:شريعةالنهر ،والمشرب:الماءالمشروب نفسه.والمشرب كذلك:الوجه الذي يشرب منه(لسان العرب –شرب) .

اليقيني الذي لا شك فيه. وما قرب[السند ، بعد] [1] عن العلم تطرق الظنون . وفرق بين من يروي [2] عن بصره ، ومن يروي عن بصيرته .

ومع ذلك ، فرؤية البصر ربما داخلتها الأوهام ، ورؤية البصيرة الصافية لا وهم فيها ولا خيال ، فأفهم هذه الإشارة ، وأعلم حقيقة هذه العبارة.

فــصـــــل

ثم الناس في انطباع الصورة الكريمة في النفس على طبقات بحسب مشاربهم وأذواقهم في الصدق والحضور .

فمنهم من لا تثبت الصورة الكريمة في نفسه إلا بعد تأمل وتثبت وإعمال فكر ،وهذا أضعف القوم ، لتعلق بعض البقايا الخاصة بهذا المنزل بالنفس، وهذا قليل الرؤية إياه في النوم، وإن رآه فإنما يراه على غير كمال الرؤية .

ومنهم من تثبت الصورة الكريمة في نفسه أحيان ذكره إياه ، لا سيما في الخلوات عندما يتمحض [3] الفكر في معنى التصلية، فإذا فتر غابت عنه . وهذا أنهض من الأول . لكن مع بقية فيه مما يقتضيه منزله . وهذا يراه في النوم على صورته الكاملة ، راغبا به عن رؤيته بحسب استصحاب حضوره (في)[4] فكره .

ومنهم من إذا سد عينيه بالنوم وغاب قليلا عن الحس ، رآه في (أغلب)[5] أحواله .

ومنهم من إذا سد عينيه يقظة أو نوما ، رآه بعين بصيرته ، (و)[6] على كل حال، وهم أهل (النهايات)[7] الذين اطمأنت قلوبهم بذكر الله حتى (رقت)[1] نفوسهم

---

1 – في : أ ، ج : استدفعه .

2 – ج ، د : زيادة : عن بصيرته .

3 – المحض : الخالص من كل شيء . وأمحضه ومحضه : أخلصه ، وصدقه (اللسان / محض) .

4 – ح : و .

5 – ج : غالب .

6 – ساقط من : ب ، ج ، د .

7 – د : النهاية .

إلى فراديس التقريب، وظفروا بمجاورة [الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولائك رفيقا][2] .

ولا يبعدُ عليك هذا المرمى،ولا يشكلُ عليك هذا المسلك إذا فهمت سر قوله ρ: " الأرواح جنود مجندة،فما تعارف منها ائتلف،وما تناكر منها اختلف".

ووراء هذا ما هو أعلى درجة منه ، وهو أن يراه بعين رأسه عيانا في عالم الحس.ولا تنكرْ هذا،فقد يكرم الله من (يشاء)[3] من عباده بإقامة صورته الكريمة له حتى يشاهدها . وهذا من جائز الكرامات [التي] [4] يتحف الله بها أوليـاءه .

ومايختلف من أحوال رؤيته ρمن خفاءووضوح،وقرب وبعد،وتغيير وتعديل، إنما ذلك راجع إلى حال[5]السالك بحسب قوة الحب وضعفه،واعتدال الاتباع وميله.

حدثني أبي τ قال:حدثني شيخي أبو القاسم المريد[6]قال:"كان من جملة أصحابي الذين أخذوا عني رجل يقال له أبو عبد الله بن الخطيب[7]بلغ بكثرة الصلاة على النبي ρ درجة القرب منه واتصال مواصلته ، حتى أن الفقيهين المحدثين كانا إذا اختلفا في الحديث من أحاديث النبي ρ ، فقال أحدهما: هو صحيح ، وقال

---

[1] – ج : رأت .

[2] – سورة النساء / الآية 69 .

[3] – ب ، ج ، د : شاء .

[4] – في : أ ، ج : الذي .

[5] – يقول القاشاني: " الحال ما يرد على القلب لمحض الموهبة، من غير تعمل واجلاب، كحزن أو خوف أوبسط أو قبض أو شوق أو ذوق، وتزول بظهوره صفات النفس، سواء يعقبه المثل أو لا. فإذا دام وصار ملكا سمي مقاما." (اصطلاحات الصوفية ص: 57.) –وانظر أيضا اللمع ص: 411– الإملاء في إشكالات الإحياء . ص: 18 – الرسالة القشيرية ص: 34.

[6] – قاسم بن محمد بن يحيى اللخمي اللوشي ، أبو محمد ، إلا أنه عرف بأبي القاسم . ولقب بالمريد لشدة نسكه وزهده . ولد سنة 595 هـ ، وستأتي ترجمته مفصلة عند المؤلف فيما بعد . والواقع أنـه باستثناء ترجمة الساحلي هذه لا تمدنا النصادر القديمة بمعطيات مفيدة . ولم يذكره صاحب الإحاطة إلا عرضا : 239/3 .

[7] – لم اقف على ترجمة قطعية له ، خصوصا أن عدد غير قليل من أهل القرن الثامن لقبوا بابن الخطيب .

الآخر : هو ضعيف ، أتيا (إلى أبي) [1] عبد الله بن الخطيب [2] ، فيرغبان منه أن يسأل النبي ρ عن الحديث المختلف فيه، ثم إنه إذا نام رأى النبي ρ ، فيسأله عن ذلك الحديث ، فيقول [له] [3] إما :"نعم أنا قلته"، وإما :" لم أقله " . فيعرفهما بذلك ، فيفيدهما ذلك قوة ظن لما علم من صدق أبي عبد الله بن الخطيب ، واشتهر من حاله في العدالة .

وهذا وإن لم يفد قطعا ، فلا يقصر عن تغليب الظن ، وكان τ ، بحيث لا يتصرف في أمر إلا عن إذن النبي ρ .

وحدثني أبي τ ، عن شيخه أبي القاسم عن شيخه أبي عمران [4] أنه قال في حكاية طويلة : أيظن أصحاب محمد ρ أنهم اختصوا به من دوننا ؟ والله لأزاحمنهم فيه حتى يعلموا أنهم قد خلفوا بعدهم رجالا[5]. وهذا إشارة (لتمكين) [6] وصلته به ، بكثرة ذكره ذكره ، والعكوف على حبه .

نتيجـــة

واعلم أن نتيجة هذه الثمرة ، اتصاف النفس بإحدى عشرة صفة حميدة، تنفي عنها إحدى **|41|** عشرة صفة ذميمة .

---

[1] – ساقط برمته من : ب – وفي : ج ، د : ابا .

[2]–في هامش الأصل تعليق نصه:"ابن الخطيب شيخه أبو القاسم المريد،وقدحكى عليه هذه الحقيقة فانظرها ".

[3] – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

[4] – الشيخ أبو عمران موسى البردعي من أعيان فاس وأغنيائها في القرن 7 هـ . وهو شيخ أبي القاسم المريد له كرامات ومرويات . انظر ترجمته عند الساحلي فيما يأتي . وانظر أيضا : جامع كرامات الأولياء – للنبهاني – ص : 380– مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات – لمحمد المهدي الفاسي. ص: 58 .

[5] – هذه العبارة أوردها الغزالي في الإحياء منسوبة إلى أبي مسلم الخولاني حيث يقول: " وكان أبو مسلم الخولاني قد علق سوطا في مسجد بيته يخوف به نفسه، وكان يقول لنفسه: قومي، فوالله لأزحفن بك زحفا، حتى يكون الكلل منك لا مني. فإذا دخلت الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه. ويقول: أنت أولى بالضرب من دابتي.وكان يقول: أيظن أصحاب محمد ﷺ أن يستأثروا به دوننا. كلا، والله لنزاحمنهم عليه زحاما حتى يعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم رجالا"(إحياء علوم الدين:436/4)

[6] – د : لتمكن .

الأولى : إيثار محبة النبي ρ عزما وإخلاصا . وذلك ينفي عن النفس العدول عن العمل في اتباعه وهي علة في هذا المنزل .

الثانية : محبة الأمة لمحبته ρ إياهم . فيسترعيوبهم ، ويظهر فضائلهم ، ويرعى أخوتهم في الغيب والشهادة، وذلك ينفي عن النفس الحقد والنميمة، والحسد والغيبة. والبغي، وسائر الإذايات الحسية والمعنوية.

الثالثة : الرجاء بحسن الظن بالله تعالى ، ثقة بالتعلق بأذيال الشفيع ، وميلا إلى جاهه المنيع ، من غير ميل إلى الأمن ، إذ [لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون] [1]. وذلك ينفى عن النفس الإياس [2] و القنوط الكائنين (من) [3] إفراط الخوف. إذ [لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون][4].

الرابعة:الحرص علىنيل الإنابة[5]بالسعي على سبيل السنة بقوة عزم،وصدق توجه، وذلك ينفي عن النفس الكسل عن النوافل،والميل إلى اللهو والباطل.

الخامسة : الرعاية ، أعني بها رعاية الأعمال من شوائب الإخلال القادح في العلم . وذلك ينفي عن النفس نفحات البدعة ويخلصها من ربقة الضلالة .

السادسة: الحرمة ، وهي تعظيم الأمر والنهي تهيبا لعظيم أمر الشريعة [6] ونهيها.

---

[1] – سورة الأعراف / الآية 77 .

[2] – أيس يايس: مقلوب من يئس ييأس. والإياس بمعنى: اليأس (اللسان / يأس – أيس) .

[3] – ج : على – د : عن .

[4] –سورة يوسف / الآية 87 .

[5] – والإنابة كذلك من مقامات السلوك . وعادة ما تكون بعد مقام التوبة وهي عندهم : " رجوع يصحبه انكسار ، ونهوض إلى السير . وهي ثلاث مراتب : رجوع من الذنب إلى التوبة، ومن الغفلة إلى اليقظة ، ومن الفرق إلى الجمع " معراج التشوف ، ص : 27 – وأيضا : التعريفات ، ص : 39 – معجم المصطلحات الصوفية ، ص : 48 .

[6] – الشريعة يقصد بها عادة الرسوم والأحكام الظاهرية للدين في العبادات والمعاملات، ولذلك عادة ما توظف – كمصطلح – في مقابل : " الحقيقة " وهما يدخلا في إطار الثنائية الضدية التي أشرنا إليها فيما قبل ، لكونها تهيمن

وذلك ينفي عن النفس مد العنق إلى المخالفات و المجاسرات [1] باستسهال المكروهات.

السابعة : المحاسبة أصلها إساءة الظن بالنفس في الخروج عن المحظورات والمكروهات . وذلك ينفي عن النفس الاقتحام فيما لا يعني ، إذ "من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه" [2] .

الثامنة : التحمل ، أصله الصبر عن حمل مشاق الدين التي منها حسن المعاشرة مع الخلق بحمل أذاهم وكف الإذاية عنهم، وهو تكميل لبقايا الصفة الثانية . وذلك ينفي عن النفس الجزع الحامل على التورط في لجة الهلك ، والداعي إلى خصال ذميمة ، أدناها إساءة الظن بالمسلمين .

التاسعة : الصمت ، صيانة للنفس عن الهفوات التي يفوه بها اللسان ، (فتهدم)[3] مراقي [4] الإنسان . وذلك ينفي عن النفس شتات قواعد الكلام، و(يخلصها)[5] من العتاب والملام .

العاشرة : التواضع في غير مهونة ، علما بنزارة أمر الدنيا ، ودناءة أسبابها، وشكّاً في ثبوت أعمال الصلاح وقبولها . وذلك ينفي عن النفس رذائل الكبر ونحوه [6] .

على نمط التفكير الصوفي . فالشريعة"التزام بالعبودية، والحقيقة مشاهدة الربوبية . فالشريعة قيام بما أمر ، والحقيقة شهود لما قضى وقدر ،وأخفى وأظهر".الرسالةالقشيرية، ص: 46 – وانظر:معراج التشوف ، ص : 59 – معجم المصطلحات الصوفية،ص:103 .

[1] – جسر يجسر جسورا وجسارة ، وتجاسر عليه : أقدم (لسان العرب / جسر) وفي ج: المخامرات.

[2] – أخرجه أحمد من حديث الحسين بن علي به بلفظ : "إن من حسن إسلام المرء قلة الكلام فيما لا يعنيه". ح : 1731 ، وابن ماجة من حديث أبي هريرة به . بلفظ :"من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه". ح : 3976 .

[3] – ب : فتهزم .

[4] – مفرده مرقاة : وهي الدرجة ، وكل ما يرقى عليه أو به (اللسان / رقا) .

[5] – ج : يتخلصها .

[6] – في هامش الأصل تقييد نصه : " على أن التواضع مطلوب في ما ليس بمهانة ، فتفطن لهذه النكتة رحمك الله"

الحادية عشرة : الشفقة، التي من أثرها توقير الكبير ورحمة الصغير . وذلك ينفي عن النفس القسوة التي يكون عنها تضييع حقوق الإسلام والمسلمين.

وهذه الصفات قواعد ترجع إليها فروع تناسبها . وكل صفة منها يتعلق بها كلام يؤول إلى التطويل ، وقصدنا من ذلك هنا التنبيه على فوائد المنازل ومقتضيات المقامات ، وكثرة الرسوم [1] (بتطويل) [2] الكلام ، يعود بشغب الفكر. وبالله التوفيق .

علامــــــــة

وعلامة حصول هذه النتيجة ، تدرك من وجوه :

منها المثابرة على الفضائل ، وشرف الهمة بالتنزه عن الرذائل ، تطهيرا للظاهر، مع ما أمكن من الباطن ، حتى إذا تمكن في المنازل ، يتمكن في طهارة الباطن إلى أن يستكملها [3] . ومنها المواظبة على أفعال السنن ، والحرص على التخلق بأخلاق الشرع ، حتى (يرى) [4] أن جميع ما يصده عن شيء من ذلك – وإن عظم – لا خطر له ولا قدر في جنب ما (يثيره) [5] العزم من حال الاتباع [6] . ومنها ملازمة الأدب مع الجناب النبوي بإقامة العدل ما بين جنبتي [7] الغلو والتقصير ،

---

[1] –المقصود بالرسوم هنا تجليات الحس من كلام وحركة ومادة وغيرها ، يقول الطوسي : " الرسم ما رسم به ظاهر الخلق برسم العلم ورسم الخلق ، فيمتحي بإظهار سلطان الحق عليه " اللمع ، ص : 427 . ويعرفها القاشاني بأنها : " الخلق وصفاته لأن الرسوم هي الآثار وكل ما سوى الله ، آثاره الناشئة من أفعاله : (اصطلاحات الصوفية ، ص : 150 ، معجم المصطلحات الصوفية ، ص : 90) .

[2] –ج ، د : فتطويل .

[3] – في هامش الاصل تقييد نصه : " على أن رفع الهمة تطهير للظاهر مع ما أمكن من الباطن ، وذلك بترك الرذائل " .

[4] – ساقط من ج .

[5] – ب : يفيده .

[6] – في هامش الاصل تقييد نصه : " إن كل ما يصد عن مقتفيات أثره ﷺ ، أو يخل بشيء من آدابه ، لا عبرة به وإن عظم ، لا خطر له ولا قدر له " .

[7] – الجنب والجنبة والجانب : شق الإنسان وغيره . (اللسان / جنب) .

جامعا [في ذلك] [1] بين مراعاة جلاله[2] بالهيبة والتعظيم ، ومراعاة جماله بالسرور والمحبة . والمصلي على النبي ρ [في الحقيقة][3] مشاهدٌ سرَّه بِفِكْرِهِ ، (ومباشرٌ) [4] [4] روحَهُ بروحه . فجدير أن لا يفارقه الأدب بملازمة دواعي المحبة، فلا يخرق حجاب حجاب الوقار بفتح باب الإدلال ، ولا يفل[5]حسام الهيبة [6] بهامة [وارد] [7] الانبساط الانبساط [8]. ومنها تحرك الطباع [9] عند سماع ذكره والتصريح باسمه، فيتحرك الباطن

---

[1] – في أ : بذلك .

[2] – الجلال من الصفات، ما يتعلق بالقهر والغضب ، وفي مقابله : الجمال . وهو ما يتعلق بالرضا واللطف (التعريفات ، ص : 80 – 82 – اصطلاحات الصوفية ، ص : 40 – معجم المصطلحات الصوفية ، ص : 68) وهما كذلك من الثنائيات المذكورة سلفا .

[3] – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

[4] – ج: ومشاهد .

[5] –فله يفله بالضم: أي هزمه وكسره. والفل كذلك : الثلم في السيف، من فله يفله (اللسان/فلل).

[6] – الهيبة هي أثر مشاهدة جلال الله في القلب، وهي ملازمة كذلك للأنس وضده ، إذ يرى بعض الصوفية أن الهيبة قرينة العذاب والفراق والعقوبة، والأنس نتيجة الوصل والرحمة. وهما معا حالان فوق حالي : القبض والبسط ، كما أن القبض والبسط فوق الخوف والرجاء . فالهيبة مقتضاها الغيبة.والأنس مقتضاه الصحو والإفاقة.(التعريفات ، ص : 278– الرسالة القشيرية ، ص : 36 – معجم المصطلحات الصوفية ، ص:180). ولذلك قال ذو النون حين سئل عن الأنس : هو انبساط المحب إلى المحبوب ، (معجم المصطلحات الصوفية ، ص : 48).

[7] – كذا في : ب ، ج ، د – وفي : أ : واردة .

[8] – الوارد: "ما يرد على القلب بعد البادي فيستغرقها . والوارد له فعل وليس للبادي فعل ، لأن البوادي بدايات الواردات" – اللمع – ص : 418 . وقال القاشاني:" الوارد : كل ما يرد على القلب من المعاني الغيبية من غير تعمل من العبد" – اصطلاحات الصوفية – ص : 47 – انظر أيضا : الرسالة القشيرية ، ص : 47 – معجم المصطلحات الصوفية . ص : 181 . وأما الانبساط فيعني رفع الهيبة والأنس بالجمال القدسي وهو مأخوذ من البسط . وسيأتي شرحه فيما بعد .

[9] – الطبع عند ابن عربي هو : "ما سبق به العلم في حق كل شخص" – معجم المصطلحات الصوفية، ص: 113 .

الباطن حنينا واشتياقا ، حرصا على اجتماع شاهد الحس[1]بشاهد المعنى ، لأن النفس لا تقنع بدون الغاية . فمن الأدب في ذلك ، سكوت الظاهر بلزوم الوقار ، كأنه بين يديه . وما أزعج في ذلك من صياح أو حركة جارحة ونحو ذلك ، (فهو)[2] نقص لا يخلو عن **|42|**شوب (هوى بسبب ضعف عن حمل)[3] أعباء واردات واردات المحبة.

ومنها استحلاء ذكره والتلذذ به ، حتى أن بعضهم ليجد الحلاوة (و)[4] يحسها كأحلى شيء يكون ، فتراه لا يكاد يفتر عن ذكره .

ومنها السلوة عن جميع سائر المحبوبات ميلا (إلى)[5] الله ، حتى يستحسن جميع مألوفات الشرع في العادات والعبادات، (متحليا)[6] بذلك لا يرى به بدلا.

ولقد بلغني أن رجلا أحسبه ملكا كان له ابن محبوب عنده ، لم يكن له ولد غيره ، فيوما كان يأكل معه لحما بدباء [7] ، قال له : ياوالدي لا أحب الدباء ، والعجب من حب النبي ρ إياها ، فتغير الوالد لذلك (واستقبل) [8] ابنه فضرب عنقه عنقه على الفور ، فصاحت أم الولد ، فقال لها : قبيح بمن يدعي حب النبي ρ أن يسامح أحدا في تنقيص شيء من نظره ورأيه في شي من الأشياء .

---

[1] – " الشاهد في اللغة هو الحاضر . وفي اصطلاح القوم هو ما كان حاضرا في قلب الانسان وغلب عليه ذكره ، فإن كان الغالب عليه العلم. فهو شاهد العلم، وإن كان الغالب عليه الوجد، فهو شاهد الوجد، وان كان الغالب عليه الحق، فهو شاهد الحق – (التعريفات ، ص : 129) . وانظر أيضا : الرسالة القشيرية ، ص : 47 – معجم المصطلحات الصوفية ، ص : 102 .

[2] –ب ، : هو

[3] – ج : " هو سبب في ضعف " – د : " هوى سبب في ضعف عن حمل .

[4] – ساقط من : د .

[5] – ساقط من : ب – وفي : ج . د : إليه (مع إسقاط لفظ الجلالة).

[6] – ج : محليا .

[7] – الدباء والدبة : القرع . واحدته دباءة . (اللسان / دبي) .

[8] – ج ، د : واستغفل .

وأكبر العلامات في هذا المنزل ، شدة المثابرة (على حب النبي ρ ومتابعته في)[1] الحركات والسكنات ، فيما قل أو جل، ولا يخفى على القدوة شيء من [علاماته][2] الجلية والخفية ، إذ لا ينقله من منزل إلى منزل إلا بعد وضوح علامات تخليص المنزل الذي ينقله عنه . وبالله تعالى التوفيق .

وصيـــــة

وليجتهد صاحب هذا المنزل في حضور الفكر لتلمح معنى الذكر مضافا إلى ما يقتضيه المقصد ، مستروحا منه نفحات ثمرته ، دافعا عن فكره جميع الشواغل معرضا عن جميع الخطرات ، مجاهدا على ذلك مع إمكانه . إذ ليس في وسع أهل البداية زائد على ذلك ، لكن بالمداومة والمواظبة تضعف الخواطر حتى تضمحل . وللذكر اختصاص في ذهاب عين ذلك واثره.

واعلم أن ذكر اللسان يشغل عنه الكلام بغيره،مع ما (في) [3] الكلام بغير الذكر من شتات في الباطن؛ فليقلل من الكلام، وليجعل عوضا عنه هجيراه دائرا على لسانه، كلما غفل وتذكر رجع إليه ليحفظ به على نفسه ما نالته من اثر ذكر ورده ، ويحرسها به من الأغيار الطارئة عليها ، كي تتصل عمارتها ، فيقوى التاثير ويتمكن معنى الذكر منها . وقد تقدم لنا سبيل كيفية الهجيرا ، فلا معنى لاعادته .

(والهجيرا بواب) [4] (البواطن) [5] ، يدفع (عنها) [6] أسباب الغفلات، ويحفظ عليها ما حصل فيها من الحضور . ولا يزال (يتتبع) [7] سير النبي ρ (وسننه) [8] وأخلاقه ، فيجاهد نفسه على التحلية بها ، ليحصل له صدق الاتباع .

---

[1] – ب ، ج ، د : " على متابعة النبي ﷺ وموافقته في جميع " .

[2] – في أ : علامات – وفي : د : علامته .

[3] – ب : يلقي – ج : ينفي – د : يبقى .

[4] – ج : الهجيرا ثواب .

[5] – د : الباطن .

[6] – ساقط من : ج .

[7] – ج : يتبع .

[8] – ج : سنته .

ولا يترك المجاهدة ما بقيت فيه بقية من هوى نفسه اعتدادا بمجرد الذكر، فإن المجاهدة كالحمية للمريض ، والذكر كالدواء له ، ووظائف الدين كالغذاء، ولا شك أن فعل الدواء يكون [1]عند المزج بالغذاء . ولا يزال في سلوكه بين مجاهدة ومكابدة حتى يسهل عليه الصعب ويقرب منه البعيد . وهذا جار في كل منزل .

وبالمداومة على ما تضمنه هذا المنزل ، يحصل الاتباع الحقيقي الذي لا نقص فيه ولا تقصير . وبذلك يستعين على النفوذ في باقي (المنازل) [2] . وكل وصف حصل عن ذوق وتربية ، فهو الثابت المتاصل ، لأنه يصير كالأمور الذاتيات ، وما يناله الإنسان بغير ذلك ، لا يعدم فيه تزلزلا وتفلتا وضعفا واعتلالا .

ومثاله كمن (صبغ)[3] ثوبا بعد غسله وإنقائه ، وانتقاء أصبغته ، وتعديل أوزانها ، و[جري في] [4] صبغه على قوانين أهل الصنعة أولي المعرفة، فلا جرم أن أن هذه الصبغة تكون ثابتة بهية جميلة، بخلاف من عمد [5] إلى صبغ ثوب فلم يغسله ولم يعبأ بانتقاء أصبغته ، ولم يحفل بمقاديرها وأوزانها ، ولا (سلك)[6] سبيل المعرفة في صبغه، فلا مرية أن هذه الصبغة تكون قليلة (الثبات والبهاء)[7]. وربما لم لم تمض أيام يسيرة إلا وهو قد اضمحل وزال ، فشتان ما بين الفريقين. (و)[8] وكذلك من سلك طريق

---

[1] – ب : زيادة : " الحمية . وأن قوة الغذاء تكون بحسب صلاح قوة " – ج ، د : زيادة : " الحمية وأن قوة الغذاء يكون بحسب صلاح " .

[2] – ج : المنزل .

[3] – د : غسل .

[4] – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

[5] – ساقط من د : بفعل الأرضة .

[6] – ساقط من : ج .

[7] – ج : الثياب ، والبهار .

[8] – ساقط من : ج ، د .

التربية حتى تخلق عن ذوق ،ومن اقتصر على مجرد العلم ، [فتخلق بمقتضى طبعه وهواه [1]] .وليجعل وظائف توبته أساسا ، فيقيم عليها بناء استقامته.

وليورد السنن والفضائل والرغائب على أكمل وجوهها وأتم أحوالها ، بعد إقامة الفرائض بوظائفها وشروطها بإمحاض إخلاص القصد فيها .وليواصل الطهارة تكريما للذكر وسائر وظائف الخير . وليجعل أكثر دعائه للنبي ρ .وليسارع إلى

المساجد في أوائل أوقات (الصلاة) [2] ، حرصا على أن يكون أول داخل لها وآخر خارج منها .

وليحافظ على عوائد النبي ρ في أكله وشربه ولباسه وكلامه **|43|** ومشيه ونومه ويقظته ،وغير ذلك من تصرفاته .

وليجتنب الدَّيْن ، فإنه شين الدِّين ، والحذاق من أهل (هذا)[3] الطريق أولوا (الحزم)[4] فيه ، لا يسامحون أنفسهم في الدَّيْن ، ولا يترخصون بما فعله بعضهم ممن ممن غمره بحر اليقين ، فاستدان ، مستندا في ذلك إلى قوة يقينه ورسوخ إيمانه، (بل) [5] اكتفوا بمضمن قول النبي ρ :"صلوا على صاحبكم" يعني الميت الذي [6] عليه عليه الدين [7] وقد كان الشيخ أبو عمرانρ، لا يأكل طعام الشيخ أبي القاسم ، لما علم علم أنه كان عليه دين ، حتى قضاه . وكان يقول له : دينك أولى عليك ، فاجتهد في قضاءه . وفرق بين حال من لا تفارقه الأوهام ، وبين من يستمد من بحر اليقين ثقة بضمان القدوة. ولينفق كما أمره الله تعالى ، إن كان ذا سعة ، فمن سعته، وإن كان

---

1 – في أ : " فتخلص بمقتضى علمه " .

2 – ج ، د : الصلوات .

3 – ج : هذه .

4 – ج ، د : العزم .

5 – ساقط من : ج .

6 – ج : زيادة : كان .

7 – أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة . ح : 1619/14 – وأحمد من حديث زيد بن خالد الجهني ، ح:21665 – والترمذي ، ح : 1075 . وقال : حسن صحيح ، والدارمي : 263/2 ، كلاهما من حديث ابي قتادة ، وابن ماجة من حديث أبي هريرة . ح : 2407 .

مقدورا عليه، فمما أتاه الله ، لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها] [1] . وقد رأيت ناسا (يعتبون) [2] على الدين فيقولون إنما نأخذه على ذمة الله، فيشيرون إلى ذروة اليقين، ثم بعد ذلك ، ربما ضغطهم الدين فتبدو عليهم شواهد التلوين[3]، ولعل ذلك يذهلهم عن عن الفرائض فضلا عن النوافل، والمقصود خلاء الفكر عن جميع ما يشغل عن [معنى] [4] الذكر ولا شاغل كالدين.

وليبسط وجهه بالقبول للمسلمين ، قريبهم وبعيدهم ، مع سلامة الصدر والتحفظ والتيقظ . وقد كان رسول الله ρ يتحفظ من الناس ويتحذر [5] منهم من غير أن أن يطوي عن (أحدهم)[6] بشره ولا خلقه .والرحم مؤكدة الصلة ، فليواصل صلتها ، ولو بتعاهد الزيارة وإفشاء السلام .

وليسع في طلب الحلال جهده ، فهو مصباح باطنه، وإن كان صاحب دنيا ، فليعمل على محو الميل إليها (من باطنه ، بترك)[7] الرغبة فيها والإعراض عن الهلع الهلع والحرص على التكاثر [8] .وليثابر على صدقة التطوع زيادة على الزكاة الواجبة، الواجبة، ليجاوز حد البخل.

وإن كان ذا فقر، فليرض بما قسم (الله) [9] له ، ولا يستعجل الرزق فيطلبه من غير وجهه ، وليعلم أن الله (تعالى) [1] قد اختار له ما اختار لنبيه من الفقر ،

---

[1] – من لفظ الآية: 7 من سورة الطلاق : [لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله . لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها ، سيجعل الله بعد عسر يسرا].

[2] – ب : يعاتبون .

[3] – قال القاشاني: " التلوين هو الإحتجاب عن أحكام حال أو مقام سني بآثار حال أو مقال دني ..." (اصطلاحات الصوفية . ص: 157)

[4] – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

[5] – ب ، د : يتحرز .

[6] – ج : أحد منهم .

[7] – ج: من ترك .

[8] – من لفظ الآية : "الهاكم التكاثر ... " سورة التكاثر / الآية : 1 .

[9] – ساقط من : ب ، ج ، د .

واختصه بخلاء السر في الدنيا وتخفيف الحساب في الآخرة . [2] وليتبع الحوبة التوبة ، وليمحها بالاستغفار وليطلب العلم النافع الذي لا تحصل له الاستقامة إلا به، فقلما يستقيم عمل دون علم. وليتجاف عن العلوم التي ضرها أقرب من نفعها .وليقلل الخلطة[3]، وليقصر على صحبة الأخيار الذين (تدعوه إلى الله أقوالهم وأفعالهم) [4]، والعمل اليسير مع حرزه وحياطته ، خير من العمل الكثير مع تضييعه .

وبتحصيل هذا المنزل يقرب مرام ما (بعده) [5] من المنازل ، فإنه الاساس الذي عليه بناء طريق السالكين ، والقطب الذي عليه تدور أفلاك مقامات الدين، ولم يحجب أكثر الخلق إلا (بما) [6] نالوه من تضييع لبعض وظائف هذا المنزل ، فشد عليه يد الضنة [7] واسع إلى توفية وظائفه وشروطه ، تشرف منه على بحابيح الاختصاصات [8] والعنايات . وبالله التوفيق (وهو حسبنا ونعم الوكيل) [9] .

المنزل الثالث من مقام الإســـلام .

اعلم جلعني الله وإياك من خلصاء أهل التقوى، وسلك بي وبك على منهاجه الأرضى وسبيله الأهدى ، أن هذا المنزل هو نهاية مقام الاسلام وهو التقوى . قال الله تعالى : [يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما] [10] .

---

[1] – ساقط من : ج ، د .

[2] – الحوب ، والحوب . والحاب : الإثم ، والحوبة : المرة الواحدة منه (اللسان / حوب) .

[3] – الخلطة : الفوضى والتداخل (تكملة المعاجم العربية : 394/1) والمقصود هنا : ملابسة الناس ومداخلتهم .

[4] –ب : " يدعون إلى الله بأقوالهم وأحوالهم" – وفي : ج ، د: تدعوه إلى الله اقوالهم وأحوالهم"

[5] – ج : قبله .

[6] – ب ، د : ما .

[7] – الضنة والضن والمضنة ، والمضنة : الإمساك والبخل (اللسان / ضنن) .

[8] – بحبوحة الشيء وسطه وسعته . (اللسان / بحح) .

[9] – ساقط من : ب ، ج ، د .

[10] – سورة الأحزاب / الآية 71 .

والتقوى أول درج من أحوال الرعاية. قال الله تعالى: [إن الله مع المتقين][1]. ومن كان الله معه صحبته الإعانة وسهل عليه المرام . والتقوى سبب في صلاح الأعمال، قال الله تعالى : [يصلح لكم أعمالكم][2]. (ومن صلح عمله زكت أحواله . . والتقوى وسيلة في القبول ، قال الله تعالى)[3]: [إنما يتقبل الله من المتقين][4] . وعن وعن أبي سعيد الخدري τ قال : " جاء رجل إلى رسول الله ρ فقال : يانبي الله أوصني . قال : عليك بتقوى الله ، فإنه جامع كل خير " [5] .

والتقوى في اللغة من الاتقاء ، (مأخوذ)[6] من وقاية الشيء . وهو في الشرع التحرز والتحذر من مواقعة المخالفات، وذلك أن التائب في أول الإسلام حظه حفظ الحدود ، بالإقلاع عن المحرمات،والقيام **|44|** بالواجبات . والمستقيم في تمكين الإسلام حظه(اتباع)[7] النبي ρ في جميع العبادات . والمتقي في نهاية الإسلام حظه حظه القيام بمعاملة الله تعالى بطاعته توقيا من واردات[8] العقوبات فلا يتم له مقام الإسلام إلا وعنده مذاق من معاملة الله تعالى بالتوجه إليه ، (و) [9] بعبادته أمرا ونهيا ونهيا ، ليرد على منزل الإخلاص أول منزل من منازل مقام الإيمان ، وعنده في معاملة الله تعالى ما يسهل عليه به مرام الإخلاص ، وتتقعد به قاعدة التوحيد .قال بعض العارفين: " التقوى قاعدة النعوت والصفات ، وبها (تتحفظ)[10] الظواهر

---

[1] – سورة التوبة / الآية 7 .

[2] – سورة الأحزاب / الآية 71 .

[3] – ساقط برمته من : ب .

[4] – سورة المائدة / الآية 27 .

[5] – أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة باختلاف في اللفظ ، ح : 3508. وقال : حديث حسن .

[6] – د : مأخوذة .

[7] – ب ، ج ، د : التلبس باتباع .

[8] – الوارد " كل ما يرد على القلب من المعاني من غير تعمل من العبد" (اصطلاحات الصوفية. ص: 47) وقال الطوسي: " الوارد ما يرد على القلوب بعد البادي فيستغرقها " (اللمع ص: 418) . وانظر أيضا: الرسالة القشيرية. ص: 47 – معجم المصطلحات الصوفية. ص: 181.

[9] – ساقط من : ب ، ج ، د .

[10] – د : تحفظ .

والبواطن من الممنوعات والشبهات" [1]، وقال النوري [2] –وقد ذكرت بين يديه التقوى–: : " عند الصباح يحمد القوم السرى ، وعند الممات يحمد القوم التقوى"[3]. (ثم قال : قال الله تعالى)[4] : [أم نجعل المتقين كالفجار] [5] .

ورأيت لبعض الناس كلاما في التقوى معناه أن الناس ثلاثة [6]: رجل تلبس بالذنوب [7] والمعاصي ولم يقلع ، فذلك هو الفاجر . ورجل قارف الذنوب والمخالفات ثم أقلع عنها وندم ، فذلك هو التائب. ورجل حصل عنده من يقين التوحيد ما صده ووقاه عن الوقوع في المعاصي و(التبعات) [8] ، فذلك هو التقي ، اشار هذا القائل إلى أن التقي لا يكون (متلبسا)[9] بذنب، إنما من تحفظ من الذنوب،ولم يتقدمه تلبس بها بخلاف التائب الذي اقلع بعد المقارفة والملابسة[10]. وفي هذا نظر ، لأن عموم معنى التقوى يشمل الصنفين معا . وقد قال النبي ρ : "التائب من الذنب كمن لا ذنب

---

[1] – الرسالة القشيرية ، ص : 56 .

[2] – أحمد بن محمد أبو الحسين النوري الزاهد . شيخ الصوفية ، يقال أنه كان أعلم أهل العراق بلطائف القوم، صحب السري السقطي ، وكان الجنيد يعظمه . قدم الشام وأخذ عن أحمد بن ابي الحواري . توفي سنة 295 هـ . (الطبقات الكبرى : 102/1– حلية الأولياء : 249/10 – تاريخ بغداد : 130/5 – صفة الصفوة : 439/2 – اللباب لابن الأثير : 330/3 – سير أعلام النبلاء : 70/14 – البداية والنهاية: 106/11 – اللمع ص : 492 –الرسالة القشيرية ، ص 21– الموسوعة الصوفية ، ص : 397 .

[3] – النص ورد في الإحياء شعرا : 74/3 منسوبا إلى علي بن ابي طالب بلفظ :

" عند الصباح يحمد القوم السرى ** وتذهب عنهم عمايات الكرى "

وقد اشتهر صدر هذا البيت مثلا يُضْرَب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة . ويقال إن أول من قاله: خالد بن الوليد (مجمع الأمثال – الميداني : 3/1) .

[4] – ج ، د : وقال : قال الله تعالى .

[5] – سورة ص / الآية : 28 .

[6] – ب : زيادة : أقسام .

[7] – ب : زيادة : والمخالفات .

[8] – ب : التباعات .

[9] – ج ، د : من تلبس .

[10] – لابس الرجل الأمر : خالطه (اللسان / لبس) .

له" [1] ، فصارا معا في التحفظ والتوقي من الذنوب بما حصلا عليه من معنى التوحيد سيين .

والتقوى لها عموم يشترك فيه جميع المقامات ، لكن المراد بها هاهنا ما وقعت إليه الإشارة .سمعت والدي τ يقول : التقوى ثلاثة اقسام: فتقوى أهل مقام الإسلام: حراسة الجوارح من العصيان ، اتقاء سخط الديان ، وتقوى [أهل] [2] (مقام)[3] الإيمان: حراسة الباطن من العدوان ابتغاء مرضاة الرحمان، وتقوى [أهل][4] مقام الإحسان : حراسة السر مما سوى الله مع الأنفاس . وفي كل منزل تقع الإشارة إلى ما يخصه من ذلك بفضل الله سبحانه .

فتقرر إذن أن التقوى في نهاية الإسلام هي حراسة سبيل العبادة بما يقتضيه التوحيد ، ميلا إلى طاعة الواحد الحق من الميل عن مخالفته ، فتكون بذلك تهيئة في الباطن لما يرد عليه (من)[5] مقام الإيمان من أسرار التوحيد ، وذلك كالحمية الصالحة لأخذ الدواء، إذ قد ينبغي أن يستعد بطهارة الباطن من [أدناس] [6] المخالفات ، تنزها وترفعا لما يرد عليه من أسرار التوحيد الموذن بخالص العبودية .

فـصـــل

واعلم أن للتقوى في هذا المنزل شروطا وآدابا :

* أما شروطها فأربعة :

---

[1] – أخرجه ابن ماجة – ح : 4339 من حديث أبي عبيدة بن عبد الله عن ابيه ، والبيهقي في السنن الكبرى: 10154.

[2] – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

[3] – ساقط من ج .

[4] – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

[5] – د : في .

[6] –في أ : أجناس .

الأول : (الإعراض) [1] عن جميع المخالفات رأسا ، بالباطن والظاهر ، تنزها عنها وترفعا إلى ما قصده من حضرة العبودية ، باستحضار (الفكر)[2] في معنى الربوبية والحذر من فضيحة السؤال على رؤوس الأشهاد .

الثاني : الإعراض عن جميع أسباب المخالفات، إذ للسبب [حكم مسببه][3]، كمواضع الفتن ومراتع الشهوات ، وموالفة أهل التضييع .

الثالث: مواصلة الطاعات ، فهي المجن[4]الواقي من الخذلان، والحرمان. قال الله تعالى : [يأأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته [5]]. قال ابن عباس [6]: "أطيعوه حق طاعته " [7]. وقال مجاهد: معناه أن يطاع فلا يعصى ، ويذكر فلا ينسى ، ويشكر فلا يكفر" [8].

الرابع : إمحاض القصد في التقوى لله تعالى لأن بواعث التقوى تختلف ، ولا تأثير لما كان منها لغير الله تعالى . ولا (يستقيم عمود)[9] التقوى إلا بإمحاض[10] القصد في عقد أمورها للواحد القيوم ، لأن المقاصد هي الأسس التي يقوم عليها [11] حائط الوجهة إلى الله تعالى .

وأما آدابها فأربعة :

---

1 – د : إعراض .

2 – ب ، ج : الفكرة .

3 – في أ : حكم في مسببه .

4 – المجن : الترس الواقي (اللسان / جنن) .

5 – سورة آل عمران / آية 102 .

6 – ج ، د : زيادة : معناه .

7 –تفسير البغوي : 77/2 .

8 – تفسير عبد الرزاق الصنعاني : 129/1 .

9 – ج : تستقيم عهود .

10 – المحض من كل شيء : الخالص . (اللسان / محض) .

11 – ب ، ج ، د : زيادة : بناء .

الأول : التحفظ من الشبهات ، وهي الوسائط المشكلة **|45|** التي بين طرفي الحلال والحرام، (وهي حمى الحرام)[1] ، والراتع[2] في حمى الحرام وشيك بالحرام. فالاحتياط للدين في معاملة رب العاملين، التنزه عن المشكلات ، فذلك أبرأ للذمة وأقرب للسلامة والنجاة.إذ لعل العاقبة تنكشف في ذلك عن (العقول) [3]. قال النبي ρ : " الحلال بين والحرام بين ، وبينهما أمور (مشتبهات) [4] لا يعلمها (كثير) [5] من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع فيها واقع الحرام ، كالراتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه . ألا إن حمى الله محارمه" [6]. ومن هذا القبيل[7] ما روى عن ابن سيرين[8] من أنه كان له أربعون جبا مملوءة سمنا فأخرج غلامه من أحدها فارة ، فسأله من أي جب (أخرجها) [9] ، فأشكل عليه، فصبها كلها كلها [10] . وكان بعضهم لا يجلس إلى ظل شجرة غريمه ، ويرى ذلك انتفاعا بمال المديان [11] .

---

[1] – ساقط من : ج .

[2] –الرتع : الأكل والشرب رغدا في الريف (اللسان / رتع) .

[3] –ب ، ج ، د : العقوبة .

[4] ب : متشابهات .

[5] – ج : شيء .

[6] – أخرجه أحمد ، ح : 18309 و 18344– والبخاري : ح 2051 – وابن ماجة ، ح : 3984 .

[7] –د : زيادة : هو .

[8] – ابن سيرين : ابو بكر محمد الأنصاري البصري ، مولى أنس بن مالك ، كان من سبي جرجرايا .
أدرك ثلاثين صحابيا وسمع منهم. كان إمام وقته في علوم الدين بالبصرة، واشتهر بالوع وتعبيرا لرؤيا.
توفي سنة 110 هـ (ترجمته في طبقات ابن سعد : 193/7 – 206 – وطبقات خليفه ، ص : 210 – التاريخ الكبير للبخاري : 90/1/1 – تاريخ ابن معين : 520/2 – تاريخ بغداد : 331/5 – تاريخ دمشق لابن عساكر : 210/15 – صفة الصفوة : 241/3 – الكاشف : 46/3 – سير أعلام النبلاء : 606/4 – تهذيب التهذيب : 214/9 – وفيات ابن قنفذ ، ص : 108 .

[9] –د : أخرجتها .

[10] –الحكاية بلفظها في الرسالة القشيرية ، ص : 57 .

[11] – بلفظه أيضا في الرسالة القشيرية . نفسه .

الثاني : التحفظ من فضول الحلال في الأكل، والشرب، واللباس، والكلام[1]، والسعي، والبطش، وغير ذلك، وروي أن النبي ρ قال :"إنما سمي المتقي متقيا لتركه ما لا بأس به حذرا (مما)[2] به البأس"[3]. كما روي أن أبا يزيد دخل يوما (الجامع)[4]،فغرز عصاه في الأرض، فسقطت ووقعت على عصا شيخ كانت إلى جانبها، فسقطت عصا الشيخ (إلى)[5] الأرض ، فلما قام الشيخ منصرفا انحنى حتى انحنى حتى أخذ عصاه فانصرف، فمضى أبو يزيد لدار الشيخ (فاستحله) [6]، وقال: كنت السبب في انحنائك لأخذعصاك[7] .

الثالث : سلوك الاعتدال في سبيل التقوى من غير تفريط ولا إفراط، لأن التفريط تقصير،والإفراط غلو، فلا يفارق في تقواه ميزان الشرع ومعيار السنة وحدود العلم . وقد شدد بعض الناس في استعمال التقوى حتى جاوزوا الحد المراد، إما جاهلا وإما غلبه وسواس، وتراخي آخرون في ذلك حتى قصروا عن المقصود جهلا أو ترخصا. وحدقة إنسان[8]التقوى هي صفاء الباطن مما عسى أن يكون قد علق به من آثار المخالفات، فالإثم ما حاك في النفس[9] . ومتى سومح الباطن في شيء مما يحبس في الباطن من القوادح[10]بشيء من الرسوم العامة، عدولا عما يقتضي

---

[1] – ج ، د : زيادة : والنظر .

[2] – ج ، د : لما .

[3] –حديث أخرجه ابن ماجة من حديث عطية السعدي بلفظ :"لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع مالا بأس به . حذرا لما به البأس "، ح : 4215 .

[4] – د : المسجد .

[5] – ج، د : في .

[6] – ساقط من ج : – وفي : د : واستحله .

[7] – الحكاية بلفظها في : الرسالة القشيرية ، ص : 57 .

[8] – الحدقة : السواد المستدير وسط العين (اللسان / حدق) . وهي هنا كناية عن اللب والجوهر .

[9] – من لفظ حديث رواه مسلم من طريق النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:"البر حسن الخلق،والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس"الصحيح – ح : 14(2553).

[10] –قدح في الشيء : عابه . والقوادح : الدود الذي يأكل الشجر ، وأسنان الإنسان (اللسان / قدح).

التخصيص ونحو ذلك، فآثار المخالفات باقية، وهي قادحة في الورود على مقتضى التوحيد،مخلدة عن العثور على فوائد الإخلاص، والموحد أخو الموافقة .

الرابع : التستر بذلك وسع الإمكان ، ليسلم بذلك من أمرين أحدهما: الرياء،والثاني الوقوع فيه للخروج عن مألوف العامة من الترخص . وله في التورية متسع حين يعدل عن الفضول ، ويترك (المشتبهات) [1] التي لا يعلمها كثير[2] ، (فظاهره) [3] بذلك يوقع [4] في حيرة مما لا يعلمه ، ويفتح [5] باب باب الاعتراض و(الجدال) [6]،إذ ليس كل الناس[7] فلقه الورع، ولا كلهم (متصف)[8]. والسالك عامل أبدا على حفظ باطنه وباطن غيره مما يوجب المقت.

فإن قلت : لقد أكدت أمر هذا (المنزل) [9] وأطنبت في تبيينه ، وما كنت أظن إلا أن التقوى من وظائف (منزل)[10] التوبة .

فالجواب : أن أمر التقوى صعب المرام لأنها حافظة لما تقتضيه التوبة والاستقامة من أمر العبودية من شوائب [11] الفساد ، ولكثرة تشعب أمور (الفساد)[12] واختلاف موارده ، احتاجت التقوى إلى يقظة دائمة وفطنة صحيحة متصلة ، وقوة

---

1 –ب : المشبهات – ج : المتشابهات .

2 – ب ، ج ، د : زيادة : من الناس .

3 – ب ، د : فتظاهره .

4 – ب ، د : زيادة : غيره .

5 – د : زيادة : له .

6 – ج : الجدل .

7 – ب ، ج ، د : زيادة : يفهم .

8 –د : منصف .

9 – سقط من د ، بفعل التآكل .

10 – ساقط من : ج .

11 –من شاب الشيء شوبا : خلطه ، والشوائب : الأقذار والأدناس ، واحدتها شائبة (اللسان / شوب).

12 – ج : العباد .

صادقة إيمانية في مدافعة خطرات الشيطان واجتناب [خطواته][1] لأن الإنسان بملابسة العوائد وغلبة الهوى تسترسل الطباع مع مألوفاتها ، فلا [يوقظها إلى] [2] النظر في الصلاح والفساد منها إلا فطنة تبعث الحذر وتحد النظر وتصفي الفكر . وما هو إلا كالماشي في الماء يطلب التحفظ من بلله . قال الله تعالى: [إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون] [3]، وذلك (أن) [4] النفس [4]

(تخدع)[5] بموافقة ((العادات) [6] وتستفز [7] بميل الطباع إلى الشهوات، فلابد وأن وأن يكون الباعث على مدافعة المكروه من ذلك [8] مادة إيمانية ، وقوة يقينية يدرأ [9] بهما في نحر الشيطان|**46**|، ويفل بهما حسام الخسران، وينفي بهما طوارق [10]العدوان . والنفس قد تتحمل المشاق العظام من وظائف العبادات ولا (تتحمل)[11] ذرة من الخروج عن هواها . ولذلك كان الصبر عن المعصية أفضل من الصبر على الطاعة . فالتقوى جامعة لخيرات كثيرة في الدنيا والآخرة حسب ما تضمنه الكتاب والسنة . وفيما ذكرته غنية عن استقصاء جميع ما يتعلق بالتقوى ، وبالذكر تنال غايتها وتدرك ثمراتها . وبالله التوفيق .

---

[1] – ساقط من الأصل – وفي : ج : خطراته .

[2] – في أ : يوقظنا إلا .

[3] – سورة الأعراف / الآية 201 .

[4] – ب : لأن .

[5] –ج : تجزع .

[6] –ج : العادة .

[7] –استفزه من الشيء : أخرجه ، واستفزه : ختله حتى ألقاه في مهلكة (اللسان / فزز) .

[8] – ب ، د : زيادة : عن النفس – ج : على النفس .

[9] – يدرأ : يدفع (اللسان / درأ) .

[10] – مفرده طارق ، وهو الآتي والوارد (اللسان / طرق) .

[11] – ج، د : تحمل .

ذكـــــــر

اعلم أن الذكر الخاص بهذا المنزل هو التهليل . فقد علمت أن التقوى ولوج لأول أبواب العبودية ، وأول قدم من أقدام المعرفة ، وأول جرعة من مذاق التوحيد . والتوحيد هو الباعث على القيام بما يرضاه الواحد الصمد من حفظ وظائف الدين من طوارق الفساد وعوارض الشتات ، (باتحاد)[1] الوجهة له ، فلابد وأن يكون الذكر مناسبا لهذا المعنى، فالذي يحرك الباطن للانبعاث إلى التوحيد الذوقي هو التهليل .

ولابد [2] هنا من ذكر مقدمة تشرق من جنباتها أشعة أنوار معاني التوحيد توطئة لما يأتي بعد ، فأقول معتصما بالله : إن التوحيد على ثلاثة أقسام : تقليدي ونظري وذوقي .

أما التقليدي ، فهو الظاهر الجلي الذي يقي من الشرك الأعظم ، وعليه نصبت القبلة ، وبه وجبت الذمة ، وحقنت الدماء والأموال ، وصحت به الملة للعامة ، وإن لم يقوموا بحق الاستدلال. إذ ليس في وسع كل إنسان الاهتداء لطريق النظر والاستدلال [3] ، لاختلاف الفكر وتباين الطباع ، لا سيما لأول وهلة . وقد كان الداخلون في الإسلام من الأعراب وغيرهم على عهد رسول الله ρ ، يدخلون في الإسلام فيحسبون من أهله لمجرد التقليد ، ثم لا يزالون يباشرون أحوال الدين [4] ، ويعملون بها حتى تستمكن بشاشة الإيمان [5] من قلوبهم ، فيقوى إيمانهم ويرتص [6] بناء توحيدهم . فهذا النوع من التوحيد أقل ما يجزي لأهل التوبة ، وإن فتح لهم في زائد عليه ، فهو أحسن وأكمل .

---

[1] – ج : باتخاذ .

[2] – ب ، ج ، د : زيادة : لنا .

[3] – أي الاستدلال بالمخلوقات على الخالق ، والإشارة هنا إلى العلوم العقلية .

[4] – ب ، ج ، د : زيادة : ووظائف الإسلام .

[5] – بشاشة الإيمان : الفرح به ، والانبساط إليه والأنس به . (اللسان / رصص) .

[6] – يرتص : ينضم ويجتمع ويلتصق بعضه ببعض (اللسان / رصص) .

وأما النظري ، فهو ما يحصل من اليقين (عند) [1] النظر في المخلوقات، فيستدل بها على الخالق ، وفي المصنوعات فيستدل بها على الصانع ، وفي المحدثات فيستدل بها على القديم، بتحقيق جواز الجائز ووجوب الواجب، واستحالة المستحيل،بقوانين علمية ومقاييس عقلية ، تفيد القطع بوجود الباري تعالى وصفاته وأفعاله،(ثم) [2] لا يدخله في ذلك تشكيك ولا احتمال .

وليس من شرط هذا النوع من التوحيد إفصاح لسان كل أحد ممن يدعيه بحجج المناظرة على صحة ذلك ، ولا تجويد العبارة عن حقائقه ، إذ ليس كل إنسان يقدر على الوفاء بالتعبير عن المعاني القائمة في نفسه .

وهذا النوع من التوحيد اقل ما يجزئ لأهل الاستقامة، لأنهم قد أعذر لهم بما (زاولوه) [3] من أمور الدين ، ووقفوا عليه من آثار الشرع ، (وباشروه)[4] من وظائف وظائف السنة، مع ما (واصلوه) [5] من محبة النبي ρ وذكره والصلاة والسلام عليه،حتى قام لهم من ذلك نور ينشرح(له)[6] الصدر لتدبر العبر،والاهتداء لطرق الاستدلال والنظر.ولا شك أن العقل تشحره وتجوهره وتصفي مرآته أعمال الطاعات،ووظائف العبادات،حتى يهتدي بذلك إلى سبيل النظر والاستدلال.

وأما الذوقي فله سبع مراتب :

المرتبة الأولى : تفيد حسن الاهتداء بالباطن لنيل مذاق يفيد الزيادة في مادة ما أفاده النظر والاستدلال من ثلج اليقين في التوحيد القطعي . وتختص هذه المرتبة بمنزل التقوى ، لأن التقوى كما قلناه تنزيه القلب عن الذنوب بملاحظة حق الله تعالى . فكلما خطرت (بباطنه) [7] همة شيطانية ، تذكر ما لديه من أمر

---

[1] – ج : عن .

[2] – ب ، ج ، د : حتى .

[3] – ب : ناولوه .

[4] – ج : وما شيدوه .

[5] – ج : وصلوه .

[6] – د : به .

[7] –في الأصل: بباله.

العبادة [1]، فظهر له بنورها أن معبوده واجب أن يطاع ، فلا يعصى، (فيطرد)[2] بذلك عن باطنه جميع واردات الشر، فيذهب عنه بذلك من الكدرات |47| التي تحجب عن (استبصار) [3] الحقائق ، (ما يفيده ذهابه) [4] زيادة (من) [5] ثلج اليقين ، وقوة وقوة (في) [6] نور التوحيد .

فهو بما حصل عنده من ذلك مستغن عن مؤونة النظر والاستدلال ، ومنزه عن معرة [7] التقليد .

والمرتبة الثانية : تفيد تحصيل بداية توحيد الأفعال. وتختص بمنزل الإخلاص أول منازل مقام الإيمان .

والمرتبة الثالثة : تفيد تحصيل نهاية توحيد الأفعال . وتختص بمنزل الصدق ثاني منازل مقام الإيمان .

والمرتبة الرابعة : تفيد تحصيل بداية توحيد الصفات . وتختص بمنزل الطمأنينة [ثالث] [8]مناول مقام الإيمان .

والمرتبة الخامسة : تفيد تحصيل نهاية توحيد الصفات . وتختص بمنزل المراقبة أول منازل مقام الإحسان .

---

[1] – يقول القاشاني: " العبادة هي غاية التذلل، وهي للعامة. والعبودية للخاصة الذين صححوا النسبة إلى الله بصدق القصد إليه في سلوك طريقه. والعبودة لخاصة الخاصة الذين شهدوا نفوسهم قائمة به في عبوديته فهم يعبدونه به في مقام أحدية الفرق والجمع" (اصطلاحات الصوفية. ص: 107)

[2] – ج : فيرد .

[3] –د : استنصار .

[4] – ج : ما يفيدها به .

[5] – د : في .

[6] – ج : من .

[7] – المعرة : الجناية والإثم ، والجرب . وكل ما هو مكروه (اللسان / عرر) .

[8] – في : أ : ثاني .

والمرتبة السادسة : تفيد تحصيل بداية توحيد الذات . وتختص بمنزل المشاهدة ثاني منازل مقام الإحسان .

والمرتبة السابعة : تفيد تحصيل نهاية توحيد الذات . وتختص بمنزل المعرفة ثالث [منازل] [1] مقام الإحسان .ونهاية كل مرتبة تشترك مع بداية المرتبة التي تليها .

ونعني بتوحيد الأفعال العثورَ على ما تقتضيه أفعاله تعالى من سر التوحيد، وبتوحيد الصفات العثورَ على ما تقتضيه صفاته تعالى من سر التوحيد، وبتوحيد الذات العثورَ على ما تقتضيه ذاته المقدسة من سر التوحيد.

واعلم أن الله (تعالى) [2] حجب ذاته المقدسة بصفاته ، وحجب صفاته العلية العلية بأفعاله ، وحجب أفعاله الجميلة بمألوفات طباع الإنسان، وقد أفصح بهذا عبد الله بن عباس حين تكلم في التوحيد فقال: "حجَبَ الذات بالصفات، وحجَبَ الصفات بالأفعال". [فبقدر] [3] ما يخرج الإنسان عنه من مألوفات طباعه ، يبدو له من حقائق توحيد الأفعال، وبقدر ما يحصل عليه من توحيد الأفعال ، يظفر به من أسرار توحيد الصفات، وبقدر ما يلوح له من أنوار توحيد الصفات ، يشاهد من عجائب توحيد الذات ، وذِكْرُ (غاية) [4] ذلك إنما هو بنسبة أقصى ما يحمله عقل الإنسان ، لأن أسرار التوحيد لا غاية لها ولا نهاية ، فهي تستغرق العقول، وتكتنف [5] الأذهان ، وتقطع نياط [6] مجال الأفكار. وأضربُ لك مثلا لما تقدم من مراتب التوحيد وهو أن ملكا ضخم المملكة عظيم الشان باهر الصفات جميل الأفعال ، له حضرة بديعة

---

[1] – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

[2] – ب ، ج ، د : عز وجل .

[3] – في أ : بقدر .

[4] – ج : غايات .

[5] –اكتنف الشيء : أ حاط به من كل جانب (اللسان / كنف) .

[6] – نياط كل شيء : معلقه . كنياط القوس والقربة ، والنياط : عرق علق به القلب من الوتين فإذاقطع، مات صاحبه صاحبه ، ومنه قيل للأرنب: مقطعة النياط (اللسان / نيط) .

العجائب كثيرة الأعلاق [1] والذخائر ، يعمرها من اصطفاه من عبيده لنفسه واختاره لأسراره . (فأراد)[2] هذا الملك أن يتعرف لمن في بلاده وتحت إيالته[3] من عبيده وأصناف رعيته ، ليقوموا بوظائف خدمته،فينالوا من إحسانه ، فوجه لهم من [خواص] [4] عبيده من عرفهم به ، وقرر لديهم من أوصافه وأفعاله ما يرغب في خدمته والتعرض لمعرفته . وأقام هذا الملك مبنى عظيم [الهيئة] [5]،حسن الوضع بهي المنظر، جميل الأوصاف ، يعلم جميع من يراه بتأمل وتدبر بما احتوى عليه [ذلك][6]المبنى من العجائب، ما هو عليه مالكه من عظيم الشأن وجميل الصفات. ونصب من هذا المبنى طريقا سالكة تفضي إلى حضرته . ووكل به من خواص عبيده من يعرف هذا الطريق بما احتوى عليه من مناهل ومراحل وعقبات، وقطاع، وآفات، ليدلوا من أراد الوصول إلى حضرة الملك على هذا الطريق . وجعل في كل مرحلة بابا يشرع [7] إلى رياض من رياضات الملك ، محتو على صنوف من العجائب ، (معد) [8]. لنزول المسافرين على هذا الطريق ، فيه [يستريحون] [9] ويتنزهون ، ومنه ومنه يتزودون إلى المرحلة التي يقدم عليها المسافر بعد ذلك، فهو يجدد الزاد من رياض منزل إلى رياض المنزل الذي يتلوه. والملك مشرف من حضرته ، لا يخفى عليه شيء من أحوال رعيته وعبيده .

فمنهم من سمع تعريف أولائك الخواص بالملك ، فلم يعرج عليهم ولا (قبل) [10] منهم ، استغراقا فيما هم فيه من (العمل)[1] لأنفسهم . ومنهم من سمع

---

[1] – مفرده : علق : وهو النفيس من كل شيء ، والمال الكريم (اللسان / علق) .

[2] – د : فإذا أراد .

[3] – الإيالة : السياسة (اللسان / أول) .

[4] – زيادة في : ج ، د – ساقطة من أ ، ب .

[5] – في : أ : الهيبة .

[6] – في : أ : من ذلك .

[7] – يشرع : يؤدي إلى موضع (اللسان / شرع) .

[8] – د : معدا .

[9] – في الاصل : يستروحون .

[10] – د : اقبل .

خطابهم وعقل تعريفهم ، فصدقهم ثقة بأمانتهم ومعرفتهم ولم ينظر فيما وراء ذلك.ومنهم من صدقهم ، لكن نظر في ذلك المبنى **|48|** الذي علم أنه ملك الملك وصنعه،وتفكر فيما احتوى عليه من العجائب ، فحصل له بذلك زيادة يقين ، ومعرفة بالملك وما هو عليه من الصفات التي يشهد (لها) [2]ذلك المبنى، (لم)[3] ينظر فيما وراء ذلك .

ومنهم من حصل عنده ما حصل عند الرجلين بالوجهين المذكورين، لكن حمله شرف الهمة وقوة العزم على أن يسعى كي يدرك الغاية من معرفة هذا الملك ، فسأل هل له إلى حضرته من سبيل، فدل على ذلك الطريق ، فتعلق بدليل من أولائك الخواص ليدله بذلك الطريق على حضرة الملك ليتصل بغاية معرفته ، فينتظم في سلك خواصه وأحبابه في حضرته . فشد حزامه وأزمع رحله ورافق ناسا (في السفر إلى الحضرة ، كلهم متعلق بهذا الدليل الذي يهديهم) [4] ، ثم سافروا (فمنهم)[5] من أعرض عن دليله واستبد بنظره وخاض في السفر برأيه ، فما هو إلا يسير حتى عرض له أسد أو لص أو غير ذلك من الآفات ، [أو][6] أغمي عليه الطريق حتى انقطع به دون الرفقة .

ونهض الباقون مع دليلهم [7] ، فنزلوا في المرحلة الأولى في رياض الملك ليتنزهوا ويستريحوا ويتزودوا.فمنهم من اشتغل في ذلك الرياض بالنظر في ظلال مبانيه وأشجاره عن أن ينظر في عجائبه أو يتزود من ثماره ، حتى نهض أصحابه وخلفوه .ومنهم من زاده ما نظر فيه من عجائب ذلك الرياض يقينا في معرفة الملك ،

---

1 – د : الأعمال .

2 – ج : له .

3 – ب ، د : ولم .

4 – ساقط برمته من : د .

5 – د : ومنهم .

6 – في أ : و .

7 – ب ، د : زيادة : " في السفر إلى الحضرة ، كلهم متعلق بهذا الدليل الذي يهديهم "

وحرصا على لقائه،ورغبة في الورود على حضرته ، وعلم أن الزاد ضروري [1] في بلوغه الحضرة،فتزود ولازم الدليل .

فلم يزل المسافرون يتخلفون في كل منزل،حتى لم يبق مع الدليل إلا الأنجاد [2]والأكياس [3] ، الذين حصل عندهم بما شاهدوه في [4] كل منزل قوة اليقين في معرفة الملك،وشدة الحرص على الانتظام في خلصائه في حضرته. حتى [إذا] [5] أشرف على باب الحضرة ، أطرف [6] من صفات الملك ما ملك قلبه ، فلم يستطع عنه اصطبارا ولا آثر عنه قرارا ، فجد في السير ملازمـا [الدليل] [7].حتى إذا دخل باب الحضرة ، واطلع على عجائبها وذخائرها ، وابصر باهر صفات الملك ، [استغرق] [8] في حبه لما حصل عنده من معرفته. (فحين) [9] حصل في الحضرة انتظم مع خلصاء الملك، فهو معه لا يفارقه مدى الأحيان . ومن شأن هذا الملك أن يتولى من تولاه ، ويعطف على من أتاه ، ويستخلص من حصل في حضرته، حتى لا تكون منهم حركة ولا سكنة إلا بإشارته وإمداده ، فعنه ينطقون،وبه يتحركون ويسكنون ، و(منه) [10] يصدرون، وإليه يرجعون ،

وعليه يعتمدون [11] فالملك هو الله (تعالى) [1] – [(ولله) [2] المثل الأعلى] [3] – ؛ والخواص هم الرسل [4] وورثتهم ؛ والمبنى هو هذا الوجود ؛ والطريق هو ما اشتملت

---

[1] – ب ، ج ، د : زيادة : له .

[2] – الشجعان الماضون فيما يعجز عنه غيرهم . مفرده : نجد ، ونجد ، ونجيد (اللسان / نجد)

[3] – الكيس: الخفة والتوقد (اللسان / كيس).

[4] – ب ، ج ، د : زيادة : رياض .

[5] – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

[6] – أي شاهد وأبصر (اللسان / طرف) .

[7] – في : أ : لدليل – وفي : ج ، د : للدليل .

[8] – في : أ ، واستغرق (بإثبات الواو) .

[9] – في: أ، ب، ج: فكلما .

[10] – د : عنه .

[11] – بنفس السياق الرمزي والخيالي ، (مع اختلاف في العمق ، وفي شكل التوظيف الأدبي طبعا) ،

عليه مقامات الدين . والادلاء هم المشايخ الربانيون ؛ والمراحل (هي منازل) [5] المقامات . والرياضات هي مراتب التوحيد الذوقي . والزاد هو ما يختص (به) [6] كل منزل من وظائف الأعمال . والطائفة الأولى هم أهل الكفر والضلالة. والطائفة الثانية هم أهل التقليد [7] . والطائفة الثالثة هم أهل النظر

والاستدلال [8]. والطائفة الرابعة هم السالكون على طريق الأذواق [9].ثم هم أصناف: فصنف عدل عن رأي قدوته وشيخه اعتدادا بنظر نفسه ، فأحاطت به علله ، فانقطع [به] [10] . وصنف اجتهد حتى إذا (ما) [11] بلغ منزلا من منازل (المقامات)[12]، لعب به هواه وشغله ببعض الأوهام

يصف كتاب " منطق الطير " لفريد الدين العطار ، رحلة رمزية نحو : " جبل قاف " ، رمز الهوية والحق المطلق ، حيث تعترض المريدين المسافرين سلسلة من العوارض والعوائق والآفات تجعلهم يضعفون عن الصمود والسير ، فيسقطون عبر مراحل الرحلة ، الواحد تلو الآخر ... وحين يصل الواصل إلى جبل قاف يكتشف أنه هو المطلوب لا غيره . إن الرحلة هنا بمثابة سفر اختباري لانتقاء أقدر المسافرين / السالكين على السير قدما نحو غاية الطريق ومنتهاها : عين الحق . انظر: الموسوعة الصوفية – ص : 297 .

[1] – ساقط من : ب .

[2] – ج ، د : وله .

[3] –سورة النحل / الآية 60 .

[4] – ب : زيادة : صلوات الله وسلامه عليهم .

[5] – ج : والمنازل .

[6] – ساقط من : ج .

[7] –أهل التقليد : يقصد بهم الفقهاء . وعامة المسلمين .

[8] –أهل النظر والاستدلال : المتكلمون والفلاسفة .

[9] –السالكون على طريق الأذواق : الصوفية .

[10] – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

[11] – ساقط من : ب ، ج ، د .

[12] – د : مقامات .

(عن النفوذ)[1] إلى قدام . وصنف –وهم (الأقلون)[2] ، جعلنا الله منهم – كلما بلغوا إلى منزل (من منازل)[3] المقامات ، واطلعوا على ما اختص (به)[4] من مراتب التوحيد، قوي يقينهم واشتد حرصهم ، وعظم عزمهم.فهم منتهضون إلى قدام،رافضوا [5] ما يعرض لهم أو يقطع بهم من الأوهام .

والحضرة هي ما اشتمل عليه مقام الإحسان،[وبابها] [6] المراقبة،والموضع الذي أشرف منه على بعض الصفات هو الطمأنينة . (والحاصلون)[7] في الحضرة هم أهل المعرفة ، الظافرون بأعلى درجات التوحيد

وإن كانت المرتبة الأولى من مراتب التوحي – وهي التقليدية –يحصل (عنها)[8] اليقين الذي تبرأ به الذمة ، فليس من علم **|49|** بموجود ما باخبار المخبرين،كمن علمه بسماع كلامه ، ولا من علمه برؤيته إياه من وراء حجاب، وإن كان رقيقا، كمن علمه برؤيته إياه من غير حجاب . فمراتب العلم تختلف باختلاف أسبابها ، وإن كان مطلق العلم حاصلا بأدناها . وقد بسطت الكلام في مراتب الإيمان في كتاب :"التجر الربيح شرح الجامع الصحيح". ولم يكن لنا بد من إيراد هذه النبذة هنا، لنبني(عليها) [9] كثيرا من أصول المنازل وفروعها فيما يأتي بعد (بفضل الله سبحانه)[10].

---

[1] – ساقط من : ب .

[2] – ب: الأعلون .

[3] – ساقط من : ج .

[4] – ساقط من : ج .

[5] –كذا في جميع النسخ .

[6] – في أ : وبابه .

[7] – ج : والخالصون .

[8] – ج : منها .

[9] – د : عليه .

[10] – ج : إن شاء الله .

فإذا تقرر هذا ، فالذي يختص به منزل التقوى من مراتب التوحيد هو ما يفيد ثلج اليقين الزائد على ما يفيده النظر والاستدلال بأن الله تعالى أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد . وبما هو عليه من الأسماء الحسنى ، والصفات العلى ، ويغلب ذلك على الباطن حتى تتشعشع أنوار ذلك في الباطن، وتثبت قاعدته في النفس ، وتلوح دلائله على الظاهر ، وتتجلى حقيقته للبصيرة سافرة عن وجه الدلالات ، رافعة حجب الإشكالات والشبهات،[موضحة][1] جبين اليقين ، ويتمكن ذلك من سويداء القلب تمكنا لا تقدح فيه التشكيكات، ولا تفله الإشكالات . حتى يصير هذا المعنى قائما بالنفس لا يفارقها على حال .

ولا (يغالط) [2] أهل النظر والاستدلال في هذا ، فيقولون قد يتوصل إلى هذا [المقدار] [3] من التوحيد بالنظر والاستدلال ، كيف وبين أظهرهم الكتب التي فيها من الإشارات إلى بعض الشبه ما حيرت الأفكار ، و(شغفت) [4] الأذهان، فهم يتداولونها عصرا بعد عصر، كل يقول بما عنده ويحوم حول الحمى ولا يظفر بالمقصود [5]. وأما هذا الطريق، فتدخل فيه الحقائق على السالك أوضح من الشمس ، وأجلى من البدر ،بلا شك ولا ريب ، وليس كل إنسان يقدر على التعبير عما في نفسه كما تقدم [6] .

ولذكر التهليل اختصاص بهذا المعنى ، قال الله تعالى : [قل هو الله أحد الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفؤا أحد] [7]. وقال تعالى: [فاعلم أنه لا إله إله إلا الله] [8].ومن أكبر الأدلة على أن للتهليل قوة في تثبيت معنى التوحيد في

---

[1] – في : أ ، ب ، ج : واضحة .

[2] – د : يغلط .

[3] – في أ : المقول .

[4] – ج : وشعبت – د : شغبت .

[5] – د : زيادة : بها .

[6] –يرى الصوفية أن علومهم ومعانيهم ذوقية وجدانية لا تستوعيها أشكال التواصل اللغوي المألوفة .

ولذلك فلا مطمع لمن يريد إدراكها ، أو الظفر بها إلا بمعاناة مواجيد القوم وسلوك طريقهم .

[7] –سورة الإخلاص : .

[8] – سورة محمد / الآية 19 .

النفس، الدخول في الإسلام به ، والحض عليه .وإذا تأملت موارد هذا الذكر من الكتاب والسنة ، وجدتها موذنة بفتح أبواب أسرار التوحيد .

فإن قلت : قد أشرت إلى أن باقي منازل المقامات تختص بباقي مراتب التوحيد ، وأن التهليل يختص بمراتب التوحيد ، فيه تستثمر ثمرتها ، فهل استعمال التهليل في جميع المنازل يكون على حد سواء ؟ أو تختلف ألفاظه باختلاف معاني المنازل ؟ فإن اختلفت ألفاظه ، فكيف يكون استعماله في هذا المنزل؟ .

فالجواب : أنه[1] تقدم أن المراد من التوحيد هنا (ما ينيل ذوق) [2] مبادئ أسرار التوحيد، ليخرج به من معرة التقليد ، وليرقى عن (شغب [3]) النظر والاستدلال،والاعتراض والانفصال،إلى اليقين الذي لا يسع معه تردد [ولا تلجلج ، وذلك] [4] بأن يجني من معنى التهليل ثمرة يستطعم منها أن الله واحد في ذاته ، واحد في صفاته ، واحد في أفعاله ، لا يشبه شيئا ، ولا يشبهه شيء؛ أول بلا غاية، [وآخر] [5] بلا نهاية ، [لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير الخبير] [6] خلق جميع المخلوقات بقدرته التي قهر بها جميع المفطورات [7]، عليم بجميع المعلومات ما دق وجل، وظهر وخفي، مريد (جميع)[8] الكائنات على ما هي عليه ، لا يجري في ملكه إلا ما يريد . سميع جميع المسموعات،وإن خفيت، بصير

---

[1] – ب ، ج ، د : زيادة قد .

[2] –د : هو ما ينيل الذوق .

[3] – ج ، د : شعب. والشغب : والشغب والتشغيب: تهييج الشر . (اللسان / شغب) ، والشعب (بالعين المهملة) " الصدع والتفرق في الشيء جمعه شعوب (اللسان / شعب) .

[4] – في أ : ولا ثلج. والتلجلج : التردد في الكلام . ولجلج اللقمة في فيه : أدارها من غير مضغ ولا إساغة، فلا يبتلعها ولا يلقيها . واللجلج : المختلط الذي ليس بمستقيم . وتلجلج في صدرك أي تردد في صدرك وقلق ولم يستقر. (اللسان / لجج) ومنه قيل: الحق أبلج والباطل لجلج (زهر الأكم في = الأمثال والحكم – اليوسي : 126/2.

[5] – في : ب : أخير – وفي : أ ، ج: أحد .

[6] –سورة الأنعام / الآية: 103 .

[7] – المفطورات : من فطر الله الخلق يفطرهم : خلقهم وبدأهم (اللسان / فطر) .

[8] – د : لجميع .

جميع المبصرات ، وإن دقت . متكلم بالكلام الأزلي القديم من غير صوت ولا حرف، صفاته أزلية قديمة[1] قائمة بذاته . وهذا أقل ما يجزئ في سكون الباطن،لإفراد الموحد بتحقيق وحدانيته بنفي الأضداد ، والأشباه والأنداد، بلا تشبيه ولا تكييف، ولا تصوير ولا تمثيل.

فلا يزال يذكر التهليل مشيرا به إلى إثبات الوحدانية له وسلبها عن غيره ، حتى يرسخ معنى ذلك في نفسه رسوخا ثابتا لا تزلزله الأوهام ، ولا تحل عقده الشبهات ،|**50**|ولا يحتاج معه إلى نظر ولا إلى تأمل، بل تصير كل جارحة وكل شعرة منه ممتزجة بهذا المعنى معربة بحالها عنه، وإذا حصل (له)[2] هذا، تقعدت له له قاعدة تقوم عليها أركان توحيد الأفعال وتوحيد الصفات وتوحيد الذات .

ومهما اختل عليه من هذه القاعدة شيء ، أو بقي عليه منها بقية ، فلا مطمع له في درك ما وراءها من مراتب التوحيد .

وكيفيات التهليل كثيرة ، أنسبها لصاحب هذا المنزل : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير [3] ، محمد دليله ورسوله ρ ، ، مع أن كيفيات الأذكار إنما هي بحسب أحوال الذاكرين، وأحوال الذاكرين لا تنحصر ، فإذن فالنظر في المناسب من الأذكار لحال الذاكر راجع إلى نظر القدوة [4]. وكذلك يرجع إلى نظره مقدار عدد اللزوم [5] .

وليثابر على إيقاع لزومه في الأوقات الفاضلة،كالأوقات المذكورة أولا . ولابد له من ذكر الاستغفار ، يستعمل منه عددا (أقله) [6] مائة مرة،يبدأ بها أولا ليطهر به من باطنه محلا لما يرد عليه من الذكر بعد ذلك . ثم يأتي بالصلاة على النبي ρ

---

[1] – ب ، ج ، د : زيادة : ثابتة .

[2] – ساقط من : ب ، ج ، د .

[3] – لحديث أخرجه ابن ماجة عن عمر بسنده . ح : 3074 – والدارمي : 291/2 – والترمذي . ح : 3488 . وقال : حديث غريب – وأبو داود . ح : 1491 . من حديث المغيرة .

[4]–القدوة:يقصد به الشيخ المسلك الذي يسلم له المريد زمام أموره فيرتب له أذكاره،وجميع حركاته وسكناته

[5]–المقصود باللزوم هنا:الورد المنتظم المحدد الذي يلتزم المريد بذكره بأمر من المسلك حسبما هو معروف عند القوم.

[6] – د : ولو .

. وليكثر منها،فإنها نوره الذي تنقشع به ظلم باطنه، ولا اقل من خمسمائة مرة بكيفية تناسب حاله [1]. كذلك الاستغفار، (فللمناسبة) [2] التي بين الأحوال والأذكار تأثير قوي في تحلية الباطن وتزكيته ، ثم ليأت على إثر ذلك بذكر التهليل ، يلتزم منه عددا [يقتضيه][3] نظر قدوته بحسب حاله وقوته وجلادته وعزمه . وليجر ذلك كله على ما تقدم من شروط الذكر وآدابه ، لا يفارق شيئا من ذلك .

وليعط (الذكر)[4] حقه من التدبر والتفكر بتلمح المعنى . فهو وإن كان مقامه مقامه الإسلامي خاصا بذكر اللسان ، فإن قلبه لا يزال يتابع لسانه من أول منزل التوبة ، فلا يصل إلى منزل التقوى إلا وقد تساوت جنبة الباطن وجنبة الظاهر في إيراد (الذكر)[5] وتدبر معناه. ولا يزال يرتقي شيئا بعد شيء ، و(جنبة)[6] الباطن الباطن تستمد

من (جنبة)[7] الظاهر، فلا يصل إلى آخر مقام الإيمان، إلا وسلطان الحضور قد استولى على قلبه . فبعد أن كان الباطن تابعا يصير متبوعا . ونعني بالتبعية ما يكون من ثقل مؤونة الذكر وخفتها لأن الظاهر هو الذي يتبع الباطن في الانبعاث (على العمل) [8] على الإطلاق . ولكن تارة تكون المؤونة في ذلك ثقيلة على الباطن خفيفة خفيفة على الظاهر ، وتارة يكون العكس، إذ الأعمال كلها –العرية عن الذهول والغفلة – لا تقوم إلا بإشارة الباطن، فتجده في بعض الأحوال يستصحب مقتضى تلك الإشارة ، وفي بعض الأحوال يعطي الإشارة حقها ، ثم يغفل عن مقتضاها . فربما قامت الجوارح بالعمل بمقتضى تلك الإشارة، والباطن ذاهل غافل وإلى هذا المعنى الإشارة بذكر اللسان وذكر القلب، واتباع اللسان للقلب،واتباع القلب للسان.

---

[1] – ب : زيادة : و .

[2] – ج : بالمناسبة .

[3] – في أ: يقتضي .

[4] – د : للذكر .

[5] – ب : الفكر .

[6] – ب : جنبات .

[7] – ب : جنبات .

[8] – ب ، ج : للعمل – د : للأعمال .

فإذا تقرر هذا ،فذكر القلب لا يحصل لأول وهلة ، لأنه إخراج (له) [1] عن (مألوفه) [2] من الغفلة والذهول . والإخراج عن المألوف لا يكون إلا بالمجاهدة والمكابدة . فالمراد من [صاحب] [3] هذا المنزل ، دفع الخواطر عن فكره جهده، حتى تستوي مؤونة القلب مع مؤونة اللسان في إيراد الذكر [4] . ثم لا يزال كذلك حتى يعود الذكر في آخر مقام الإيمان يجري من قلبه مجرى الخواطر التي لا تنفك، كما حدثني أبي τ – وقد سألته عن أحوال السالكين في سرعة إيراد الذكر وإبطائه – فقال : للذاكر أربع حالات في تناول الذكر :

أولها: [في] [5] بداية أمره، يثقل عليه ذكر اللسان وحضور القلب (لخروجهما)[6]

(لخروجهما)[6]

في ذلك عن (عادتهما)[7]، فيأتي بالعدد اليسير فـي (الزمن) [8] الطويل .

ثانيها : في تمكين بدايته،يخف عليه ذكر اللسان ، لكن له من مؤونة تدبر المعنى [بالقلب] [9] شاغل عن الإكثار والتعجيل .

ثالثها : في بداية نهايته عند **|51|** موافقة القلب (اللسان)[10] ، يأتي بالعدد الكثير في (الزمن)[11] اليسير حتى أنه لا ينطق بالحرف الواحد من أول حروف الذكر ، إلا والقلب قد استوعب جميعه .

---

1 – ساقط من : ج .

2 – ج : مالوفات .

3 – في أ : أصحاب .

4 – ج : زيادة : إبطائه .

5 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

6 – ج : لخروجها .

7 – ج : عادتها .

8 – ب ، ج ، د : الزمان .

9 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

10 – ب ، ج : للسان .

11 – ب ، ج ، د : الزمان .

رابعها : في نهايته (حين) [1] يستغرق الفكر فيما ينبلج [2] له من أسرار الذكر حتى يود أن لا يخرج عن اللفظة الواحدة من الذكر كلما (تأملها انبلجت له منها)[3] المعاني والأسرار . فهو كماضغ الحلوى ، كلما زاد مضغا (زاد) [4] طيبا . فتجده لا يوفي من الذكر عشر مرات إلا في (الزمن) [5] الطويل. وبالله التوفيق

مقصـــــــد

اعلم أن مقاصد التهليل تختلف باختلاف منازله ، لأن المقاصد هي التي تجذب معاني الأذكار بحسب المشارب. وإن كانت قاعدة المقاصد واحدة ، لكن لابد وأن يكون في مقصد كل منزل ما يشير إلى ثمرته (تيسيرا)[6] وتقريبا ، وهو مذهب والدي. ونقل لي عن أشياخه أنهم كانوا يستعملون في الاستغفار مقصدا واحدا في جميع المنازل ، وفي التصلية مقصدا واحدا في جميع المنازل ، (وكذلك) [7] لا يزيدون في مقصد التهليل والتنزيه على قولهم :"لله أذكر، وبه أستعين" في جميع المنازل التي يستعمل ذلك فيها ، وكذلك الذكر المفرد . نعم كانوا يبدلون اللام من قولهم: " لله " بباء [8] ، فيقولون : "بالله" ، عند استشرافهم [9] على مبادئ الجمع، و(كذلك) [10] يختمون سائر المنازل . وربما استدعى ذلك كلفة في رد مختلفات الأحوال

---

[1] – ج : حتى .

[2] – ينبلج : يسفر ، ويضيء ، وينكشف (اللسان / بلج) .

[3] – ب : تأمله تثلج له منه .

[4] – ب : زادت .

[5] –ب ، ج ، د : الزمان .

[6] – ج : يسيرا .

[7] – ب ، ج ، د : وكانوا .

[8] – للباء دلالة خاصة عند الصوفية إذ تشير إلى معنى الجمع . ولذلك كان أبو مدين يقول :"ما رأيت شيئا إلا رأيت الباء عليه مكتوبة ، فإن الله تعالى يقول : بي قام كل شيء "(بغية السالك ، ص) وسئل الشبلي : أنت الشبلي ؟ فقال :"أنا النقطة تحت الباء"(الرسالة القشيرية ، ص: 11) وانظر أيضا : معجم المصطلحات الصوفية،ص : 52 .

[9] – يقال : استشرف الشيء : إذا رفع بصره ينظر إليه (اللسان / شرف) .

[10] – ب ، ج ، د : بذلك .

إلى معنى هذا المقصد الواحد، وهو مما يعسر ويقضي بالإبطاء. وليست الفطر واحدة ، ولا الطباع متفقة. [فالأحسن] [1] في ذلك تقريب معنى ثمرة كل منزل بالألفاظ التي التي تدل عليها لتهتدي (القرائح) [2] إلى المراد ، فتسهل على الأفكار موارده .

وليس هذا بتعقب على من [سلف] [3] من المشايخ قدس الله أرواحهم، إنما ذلك من باب التكميلات والتتميمات ، بناء على أصلهم ، وجريا على أسلوبهم . وربما سنح (للمتأخرين)[4] ما لم يسنح (للمتقدمين) [5] من الفروع التي ترجع إلى الأصول الأصول المعروفة .

فليبدأ أولا بالاستعاذة قاصدا التلاوة ، ثم ليتل : [(واستغفروه)[6] ثم توبوا إليه ، إن ربي رحيم ودود][7] .وليورد هذا الخطاب على نفسه وليجب عنه بـ :"لبيك ربي وسعديك ، عبدك ضارع فقير بين يديك معول في صلاح حاله عليك ، يقول معاهدا على الوفاء بالمتاب ، ملازما باب توفيقك ياوهاب ، مستعينا بك على لزوم الحق والوفاء بالعهد : أستغفر الله[8] الذي لا إله إلى هو [9] الواحد الأحد من كل ما قلته وفعلته وقصدته"، أو غير ذلك من كيفيات الاستغفار التي يقتضيها حاله .ولا يخلها عن تهليل . وإن كانت الكيفية موذنة بالخطاب ، فذلك أبلغ في التاثير بضمير من ضمائر الخطاب .

ثم إذا فرغ من لزوم اسغفاره ، حمد الله وشكره ثلاثا أو خمسا أو سبعا كما تقدم، ثم ليتعوذ قاصدا التلاوة، ثم ليتل : [إن الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها

---

[1] – في أ : فالإحسان .

[2] – ج : العزائم .

[3] – في أ : سلفه .

[4] – د : للمتأخر .

[5] – د : للمتقدم .

[6] – د : واستغفروا ربكم .

[7] – سورة هود / آية 90 .

[8] – ب : زيادة : الحي القيوم .

[9] – ج : زيادة : الحي القيوم .

الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما]. فليورد هذا الخطاب على نفسه وليجب ب: "لبيك ربي وسعديك ، أمر الدنيا والآخرة في يديك ، عبدك ممتثل أمرك في الصلاة على أكرم الخلق عليك ، يعاملك بتعظيمه وتوقيره ، ويتوسل إليك بإجلاله وتعزيره [1] . ويقول داخلا في حرمة جنابه :"اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، الدال عليك ، الكريم لديك، صلاة ننال بها كرامة المزيد ، ونبلغ بها خالص التوحيد ، وسلم"، أو غير ذلك من الكيفيات التي يقتضيها حاله .

فإذا فرغ من عدد لزوم التصلية ، حمد الله وشكره كما تقدم ، ثم يدخل إلى ذكر التهليل ، فيتعوذ قاصدا التلاوة ، ثم ليتل : [قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفؤا أحد] وليورد هذا الخطاب على نفسه فيجيب ب :. "لبيك ربي وسعديك ، أشهد أنك الواحد الأحد ، وأذكرك كما أمرت في التنزيل مرددا ذكر التهليل فأقول: لا إله إلى الله **[52]** وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير [2]. محمد حبيب الله ودليله" ، أو غير ذلك من كيفيات التهليل التهليل التي يقتضيها حاله .

فإذا تم عدد لزومه،[فليختم][3] بالحمد والشكر.وإن أعاد المقصد في أول كل[4] كل[4] دور من أدوار سبحته، فذلك أبلغ وأنفع، وإلا فيجزيه في أول عدد اللزوم وهنا نكتة تظهر في (تعيين) [5] عدد السبحة أو عدد اللزوم في المقصد . ولكل مرتبة من مراتب التوحيد معنى يخصها، تتنسم نفحاته من جنبات معنى المقصد ، حسب ما يأتي بيانه إن شاء الله .ومن الحكمة وضع الأشياء على وفاق المناسبة والإتيان بها على (وزان) [6] الموافقة ، [ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا][7] .

---

[1] – التعزيز : التفخيم والتعظيم . (اللسان / عزر) .

[2] – ج : زيادة : و .

[3] – في أ : فليجتهد – وفي : ج ، د : فليختمه .

[4] – ب : زيادة : ذكر .

[5] – د : تغيير .

[6] – ج : وزن .

[7] – سورة البقرة / الآية 269 .

. ولا يزال الذاكر مستحضرا معنى(المقصد)[1]مستثمرا منه ثمرة ذكره بنفي الخواطر وتطهير الأفكار، حتى يبلغ مقام الولاية.

ولا مطمع في العثور على ما أشرت إليه إلا بالذوق،بعد التشمير[2]والعزم، والسلوك على سبيل القوم.فبذلك يصل السالك إلى استطعام أذواق أسرار الأذكار.وقصدنا من هذا الكتاب الإشارة إلى العمل بموجب(درك)[3]تلك الحقائق والأسرار،من غير كشف عن مصون ما ستروه،ولا إظهار لما حفظوه وكتموه . وبالله التوفيق .

ثـمــــرة

اعلم أن ثمرة مقصد [4] التهليل [في هذا المنزل][5] تعلق القلب بعبادة الله تعالى والميل إلى طاعته بقوة عزم وشدة [6] رغبة . وذلك أن المطلوب من التهليل في في هذا المنزل هو تحريك الباطن إلى المعرفة بالله تعالى ، بما تضمنه مقصده من دواعي الإرادة[7]واقتضاه من أسباب القرب[8] ، وهو باب تلج عليه النفس إلى بحبوحة بحبوحة مختلفات ثمرات التوحيد،فتطالع الأسرار الربانية،وتشرف على(الألطاف)[9]القدسية.

---

[1] – ج : القصد .

[2] – التشمير في الأمر : الجد فيه والاجتهاد والتهيؤ له (اللسان / شمر) .

[3] – ساقط من : ج .

[4] – د : زيادة : هذا .

[5] – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

[6] – ب : زيادة : و .

[7] – قال القاشاني: " الإرادة جمرة من نار المحبة في القلب، مقتضية لإجابة دواعي الحقيقة" (اصطلاحات الصوفية ص: 2) انظر أيضا: الرسالة القشيرية.ص: 100 – معراج التشوف. ص : 34.

[8] – القرب عبارة عن الوفاء بما سبق في الأول من العهد الذي بين الحق والعبد في قوله تعالى: [ألست بربكم قالوا بلى] (اصطلاحات الصوفية ص: 144) – وانظر أنضا الرسالة القشيرية ص: 45 – معراج التشوف . ص: 58.

[9] – ب : الألفاظ .

فإن قلت : جميع ما أشرت إليه في هذا المنزل يشير إلى أمور باطنية ، وهذا المنزل من مقام الإسلام الذي أكثر وظائفه ظاهرية .

فالجواب أنه قد تقدم أن الإسلام وإن كان يتعلق بوظائف الظاهر ، فلا يعرو عن أعمال الباطن التي بها تقوم تلك الأعمال (الظاهرة) [1] وبقدر ما يتمكن السالك في مقام الإسلام ، يقرب من مقتضى مقام الإيمان فيتمكن صلاح باطنه، فلا يصل إلى غاية مقام الإسلام إلا بتساوي جنبتي الباطن والظاهر ، فإذا دخل في مقام الإيمان لا يزال الباطن يغلب على الظاهر حتى يصير إلى عكس ما كان عليه في أول توبته من استيلاء الظاهر على الباطن . فالسالك لا يزال من حين بدايته يعالج باطنه على الخروج عن واردات الغفلات ، حتى إذا بلغ نهاية مقام الإيمان ، تخلص له هذا المشرب من جميع العوارض واطمأن قلبه بذكر الله الذي به تطمئن القلوب [2]. فنهاية الإسلام توصل إلى بداية الإيمان ، كما أن نهاية الإيمان توصل إلى بداية الإحسان.

ثم إن التوبة والاستقامة مقدمتان صالحتان نتيجتهما التقوى، والإخلاص والصدق مقدمتان صالحتان نتيجتهما الطمأنينة، والمراقبة والمشاهدة مقدمتان صالحتان نتيجتهما المعرفة،وفي كل مقدمتين هيئة لما يرد عليه من موارد التوحيد. وقد تقدم لنا أن نهاية كل منزل تشترك مع بداية الذي يليه ، فيشتركان في معنى السر الذي تقدم لنا التنبيه عليه . وبالله التوفيق .

نتيجـــة

اعلم أن نتيجة هذه الثمرة اتصاف النفس بإحدى عشرة صفة حميدة تنفي عنها إحدى عشرة صفة ذميمة .

الأولى : الإرادة ، وهي إجابة [داعي][3] الحق حيث كان ، من غير خروج عن سبيل العلم،ولا عدول عن السنة . وذلك ينفي عن النفس (وارد) [1].

---

[1] – د : الظاهرية .

[2] – من لفظ الآية القرآنية : [الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب] سورة الرعد/الآية28

[3] – في : أ : دواعي .

الغفلة بالركون [عن] [2] الفانيات في الأغلب والأكثر ، بعد الكشف عن حقيقة عواقب الدنيا وشؤمها .

الثانية : العبادة ، [وهي] [3] قيام الظاهر – مع تعلق الباطن – بالطاعات مع استحلاء الذكر . وذلك ينفي عن النفس موت **[53]** العزيمة الموذن بالحرمان المؤدي إلى الخسران .

الثالثة : الصبر،ونعني به ما يعم أقسام الصبر في الطاعة والمعصية والمصيبة فإن قلت : كيف والصبر مضاف إلى الإيمان في قوله ρ :"الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر"؟[4].

فالجواب : أن الإسلام بعض الإيمان وداخل فيه ، والإيمان لا يقوم إلا بالإسلام ووظائفه ، فقوله : إن الإيمان قائم من شكر وصبر ، ليس على ظاهره، إنما معنى ذلك أن الصبر والشكر أعظم ما يقوم به الإيمان ، وقد قال بعضهم : الصبر والشكر يتضمنان جميع وظائف الإيمان إشارة إلى الرهب والرغب اللذين يحثان على العمل ، فلا مانع من قيام [الإيمان] [5] بوظائف الإسلام .

الرابعة:الورع. وهو صيانة النفس في حفظ (الحدود)[6] بترك ما لا بأس به، إبقاءعلىصيانة التقوى،وصعودا إلىالتخلص من اقتحام [الحدود][7]، وذلك ينفي عن النفس الهلع ويصونها من الطمع.وكلا الأمرين داع إلى المكاره، وموقع في المحارم.

الخامسة : الخشوع ، وهو سكون النفس بهدوء [1] الطباع الواردات الحق، تلذذا للأمر واستئناسا للحكم ، [ألم يان للذين أمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل

---

[1] – ب : واردات .

[2] – في : أ، د : إلى .

[3] – في : أ ، د : وهو .

[4] – رواه الشهاب القضاعي في مسنده : 127/1 . ح : 159 . من حدث أنس . وهو ضعيف . في سنده عتبة بن السكن . قال الدارقطني : متروك . وأيضا : إحياء علوم الدين – 63/4 – 69/4 .

[5] – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

[6] – ج : الخروج .

[7] – في : أ : التوحيد .

من الحق][2] .وذلك ينفي عن النفس القسوة، والقلب القاسي بعيد [من الله][3]، لأنها تخمد نار الفكرة ، وتذهب بطعم العبادة .

السادسة: الرغبة[4]، وهي التي تبعث على الاجتهاد في طلب الحرية[5]، وتعمل على التعلق بالمعارف [الحقية] [6]. وذلك ينفي عن النفس الإخلاد [7] إلى وهن [8] الترخص الذي هو مدرجة[9] إلى حل عقود التقوى ، ومطعن في سبيل الورع .

السابعة : القناعة [10]، وهي الاقتصاد والاقتصار على الضروري ، توسطا بين طرفي الزهد [والتكاثر] [11]. والضرورات تختلف باختلاف الأحوال . وذلك ينفي عن النفس [الميل إلى][12]الترفه بالفضول .

الثامنة : الأدب في طريق العبادة مع الملك المعبود . بالتزام العدل بين حالتي الإفراط والتفريط ، جريا على قانون الهدي المستقيم .

---

[1] – د : بهدي .

[2] – سورة الحديد / الآية 16 .

[3] – زيادة في : ج ، د – ساقطة من : أ ، ب .

[4] – يقسم الغزالي الرغبة إلى ثلاثة: رغبة النفس في الثواب، ورغبة القلب في الحقيقة، ورغبة السر في الحق.(الإملاء في إشكالات الإحياء. ص: 20).

[5] – قال الغزالي: "الحرية إقامة حقوق العبودية، فتكون لله عبدا وعند غيره حرا" (الإملاء في إشكالات الإحياء. ص: 19) وقال الطوسي: "الحرية إشارة إلى نهاية التحقق بالعبودية لله تعالى" (اللمع. ص: 450) وانظر أيضا: اصطلاحات الصوفية. ص: 58..

[6] – في : أ : الحقيقة – وفي : ج ، د : الخفية .

[7] – أخلد أي : ركن وسكن ولزم مكانه (اللسان / خلد) .

[8] – الوهن : الضعف (اللسان / وهن) .

[9] – المدرجة " الطريق والمسلك . والمدرجة : ما يتوصل به إلى الشيء (اللسان / درج) .

[10] – يقول الجرجاني: " القناعة في اللغة: الرضا بالقسمة، وفي اصطلاح أهل الحقيقة هي السكون عند عدم المألوفات" (التعريفات. ص: 187).

[11] – في : أ، ب : التكثر .

[12] – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

وذلك ينفي عن النفس (الميل إلى) [1] التقب بين أهداب الهوى [2] ، عدولا عن العلم .

التاسعة : الإذعان . وهو [الإصاخة] [3] بسمع العقل لأمر الله ، انقيادا وتسليما . وذلك ينفي عن النفس معارضة (المنقول)[4] بالمعقول [5] . ولا بينة لمن لا لا حجة له، (بل)[6] لله الحجة البالغة [7]، ومن حق المقيد بقيود الأحكام أن يقول : سمعت وأطعت وأنبت [8] .

العاشرة : التهذيب ، بلزوم الحق ومتابعة الهدي . وذلك ينفتي عن النفس (الإباية)[9] ،والشرود عن مشاق وظائف (العبادة) [10]، وذلك (يحرم)[11] من الوصول إلى محل الصفاء .

الحادية عشرة : العزم على بذل النفس عوضا في رضى الله معاملة لله ، وهو أول التوكل [1]. قال الله تعالى : [فإذا عزمت فتوكل على الله][2]، فقدم العزم ، وهو

---

[1] – ساقط من : ج ، د .

[2] – د : زيادة : و .

[3] – في : أ ، د : الإصاغة – ج : الإصانة . والإصاخة : الإنصات والاستماع (اللسان / صيخ) .

[4] – ج : المعقول .

[5] – الإشارة هنا إلى القضية التي شغلت الفلاسفة المسلمين ، وحاولوا من خلالها التوفيق بين معطيات المرجعية الدينية الدينية ومقتضيات العقل البشري،وهي القضية التي اصطلح عليها بإشكالية العقل والنقل ، أو : الحكمة والشريعة . وكان للصوفية إسهام كبير فيها منذ الغزالي أبي حامد . ولذلك سنلاحظ أن الساحلي يتناول بدوره كثيرا من القضايا التي ترجع في جذورها إلى مسائل علم الكلام.

[6] –ب : قل .

[7] – الإشارة إلى الآية :149/ من سورة الانعام: [قل لله الحجة البالغة، فلو شاء لهداكم أجمعين].

[8] –إشارة إلى الآية : 285 / من سورة البقرة : [وقالوا سمعنا وأطعنا…].

[9] – ج : الآفات .

[10] – ب : العبادات .

[11] – ساقط من : ب .

تحقيق القصد طوعا أو كرها . وذلك ينفي عن النفس الإجابة لداعي الهوى والمسارعة إلى سبيل الردى .

عــلامـــــة

واعلم أن من علامات حصول هذه النتيجة :

إيثار الآخرة على الدنيا ، فيجعلها تبعا لها، بموطأة القلب على معنى الذكر ومقتضاه من التوحيد .ومنها التشمير عن ساعد الجد في طلب الغاية التي وصلت إلى خياشيمه روائح مباديها . وما هو إلا كمن دخل من باب قصر عظيم الشان ، بديع الحسن ، فلم يطلع منه إلا على ما في أسطوانه[3]من العجائب الدالة على (عظيم)[4] عجائب ما في القصر ، لكن منعه (عن)[5] الدخول إليه علائق تعلقت به عاقته [بثقلها] [6] عن الدخول ، فهو (مما) [7] وقف عليه من (حسن) [8] الأسطوان شديد الحرص والتعطش،قوي الطمع،عامل على قطع العلائق [9]، آخذ في ترك (

---

[1] – يقول ابن عجيبة: "التوكل ثقة القلب بالله حتى لا يعتمد على سواه . أو التعلق بالله والتعويل عليه في كل شيء". (معراج التشوف. ص: 29.) – وانظر أيضا الرسالة القشيرية ص: 82–83– معجم المصطلحات الصوفية. ص: 65.

[2] – سورة آل عمران / الآية 159 .

[3] – الأسطوان:باب صغيرة في مدخل البيت(تكملة المعاجم العربية–دوزي:22/1).والأسطوان أيضا–مفرد وجمع–:الدهليز(معجم شمال المغرب–ص:106)والاسطوان بمعناه الأخير لا زال متداولا عند عامة أهل المغرب.قال ابن قزمان : شمرا كمامو ، خرج للأسطوان ** رد لك يد على اطربشان (ديوان ابنقزمان، ص : 140) .

[4] – ساقط من : ج .

[5] – ب : من .

[6] – في : أ : بثقالها .

[7] ب ، ج : بما .

[8] –ج : نرجس .

[9] – قال الطوسي: " وأما قطع العلائق، فمعنى العلائق: الأسباب التي قد علق على العبد وشغله بذلك حتى قطعه عن الله تعالى" (اللمع. ص: 438).

العوائد)[1] –ومنها استحقار الأعمال في جنب عظيم الأمر والنهي، مع الجزع من فوات القبول بطروء العلل.

ومنها تصاعد (الأنفاس)[2] وضيق العطن[3] عند ذكر الله ، لضعفه عن حمل |54| أعباء ما يرد عليه من نفحات أسرار التوحيد . فتجده يتضاءل وينكمش، فيزفر الزفرات ، ويصيح الصيحات ، وذلك في بعض الأوقات عند سطوع بعض بروق توحيد الأفعال ،وإن كان ذلك نقصا ، لكن لا يحمل منزله واردات منزل الإخلاص ، وإن كان دليلا على تحصيل منزل التقوى ، إلى غير ذلك من العلامات التي لا تخفى [طلائعها][4]، ولا تجهل مواردها [ومصادرها][5].

وصيـــــة

– وليجتهد صاحب هذا المنزل في حضور القلب لمعنى الذكر عند نطق اللسان (به)[6] ، دافعا للخطرات عن فكره ، وإن كان ذهاب جميع الخطرات عسيرا،لغلبة الطباع البشرية عليه ، لكن يقنع منه في هذا المنزل بتصفية الباطن للحضور وقت التلبس بالعبادات، مع (المدافعة)[7] بالهجيرا قدر الإمكان في سائرها سائرها .–[وليلجأ][8] إلى الله تعالى بالدعاء والضراعة متطارحا في الأسحاروعند هبوب نفحات القبول ، في رفع حجاب الغفلة وسدل أطناب[9]الوصلة .

---

[1] – ب ، ج : العوائق .

[2] – د : الأنفس .

[3] – يقال : رجل رحب العطن ، وواسع العطن : أي رحب الذراع ، كثير المال ، واسع الرحل . والعطن : منزله وناحيته . والعطن : العرض (اللسان / عطن) .

[4] – في : أ : وظائفها .

[5] – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

[6] – ساقط من : د .

[7] – ج : الموافقة .

[8] – في : أ : وليجأ (كذا) .

[9] – الأطناب :الأخبية والسرادقات ونحوها ، والأطناب : الطوال من حبال الأخبية (اللسان / طنب). والمقصود : إرخاء أستار الوصال .

– ومما يحصل به الحضور وتضعف به الخواطر،إسماع (الأذن)[1] لفظ الذكر شغلا لبعض الحواس عن متعلقاتها من غير الذكر ، ومهما بقيت عليه بقية في هذا المنزل سلط عليها ما يقتضي زوالها من الأسماء والصفات ، مضافا (إلى ذلك)[2] ذكره إضافة تركيب . ولا يُحْسِن هذا غيرُ القدوة .(وملاك الأمر)[3] حفظ الأعمال من طوارق الآفات وعوارض الضياع .

– وليقصد الحق في شؤونه[4] ، والرفق في معاملته ، والتخلق في أحواله ، والصمت عن ما لا يعنيه ، والانقباض عما يؤذيه[5] .

– وليحافظ على قيام وهن[6] من الليل ، والسحر أفضل .

– وليقدر أكله بالتوسط بين الجوع والشبع .

–ولا يسترسل في النوم ولا في الأكل ، ولا في النظر ، ولا في الكلام ، ولا في الاستماع ، ولا في البطش ، ولا في السعي ، ولا في الخواطر .

–وليقم على نفسه بعصا التأديب بآداب الشرع ، ولا يرفع عنها ميزان المحاسبة على سبيل (العبادة)[7]، فما نفذ الناس إلا على قدر ضغط النفوس بتدقيق المحاسبة .

–وليقلل من المباحات ، فإنها درج إلى الغرق في بحر الشهوات ، الموذنة بالهلكات .

---

[1] – ساقط من : ج .

[2] – ب ، ج ، د : ذلك إلى .

[3] – ملاك الأمر : قوامه ، وصلاحه ، والأمر الذي يعتمد عليه ، (اللسان / ملك) .

[4] – الشؤون: الأفعال (اصطلاحات الصوفية. ص:154) ويرى التهانوي أنها صور العالم في مرتبة التعين الأول (كشاف اصطلاحات الفنون: 170/4) .

[5] – ب ، ج ، د : زيادة : ويرديه .

[6] –الوهن نحو نصف من الليل ، وقيل:هو بعد ساعة منه . وقيل : هو حين يدبر الليل. (اللسان/ وهن).

[7] – ج : العبادات .

–وإن كان عزبا فلا يقدم على التزوج ، وليعالج نفسه بالصوم ، وإن كان متزوجا فلا يقدم على (العزبة) [1] . وإن كان متسببا لا يسافر اختيارا ، وإن كان متسببا [2]. لا يخرج عن سببه [3]. (وليثق بالله) [4] مجملا في طلب رزقه، وإنكان متجردا فليتعلق بالسبب ، ولو بما يقيم (به) [5] أوده ، ليتعفف بذلك عن عمارة باطنه بما في أيدي النـاس . وإن كان طالب علم ،فليقتصر على [6] العلم النافع الضروري ، وليجعل لذلك وقتا غير أوقـات ذكره . وإن كـان (أميا) [7] ، فليواظب على حلق العلم النافع ، وليثابر على السؤال عما ينفعه .

وإن هزته (عواصف) [8] التوحيد إلى الخروج عن ماله ، فليثبت ،ولا يخل يده،إذ لعل ذلك معلول لقلة رسوخ التوحيد عنده ، وليس بموضع (التجريد)[9]، وربما استفزه الشيطان بذلك ليفتنه بالفقر فما دام يخوض بحار الأوهام، فإبقاء معتاداته المباحة عليه ، أولى له وأسلم. نعم،ليودِّ حقَّ الله في ماله.

---

[1] – ب: العزوبة . (وفي اللغة يصح الوجهان).

[2] – التسبب عند الصوفية هو الأخذ بالأسباب في المعاش . ويقابله : التجرد . انظر : اللمع – ص : 425 – التعريفات ، ص : 35 – معجم المصطلحات الصوفية ، ص : 56 .

[3] – السبب في الاصطلاح الصوفي معناه الواسطة.يقول الطوسي:"والأسباب الوسائط التي بين الخلق وبين الله تعالى ... ومن عرف الأسباب الشاغلة عن الطاعات انقطع عنها واتصل بالأسباب الداعية إلى صالح الأعمال". اللمع ص 434 – معجم المصطلحات الصوفية. ص: 96. والمقصود بالسبب عند الساحلي هنا المعنى الأول، أي كل طرق طلب الرزق الدنيوية.

[4] – ب ، د : وليتق الله .

[5] – ساقط من : ج .

[6] – ب ، ج ، د : زيادة : طلب .

[7] – ب ، ج ، د : عاميا .

[8] – ج،د : عواطف .

[9] – ب ، ج ، د : للتجريد .

–وليكثر من صدقة التطوع،وليجاهد على مدافعة [رذيلة] [1] البخل، وليبدأ بالقرابة والجيران وأهل الخير المتعففين .

–وليدقق البحث في كسب الحلال ، فإن لم يكن الحلال المحض فماله وللشبهات؟ فإن عدم الحلال فليقتصر على ما يقوم به أوده من الضروري كالميتة.

–وليفر من التعظيم والترؤس كفراره من الأسد، إذ ليس له من القوة ما يدفع به غوائل ذلك .

– (وليتجاف عن) [2] الميل إلى طلب الجاه واستحلاء الظهور، فذلك يجر إلى الفتن ، ويدعو إلى الباطل .

– وليشكر إحسان المحسن من غير غلو .

– وليتحمل جفوة [المسيء] [3] من غير حقد ولا مذلة .

– وليجعل الأمة كرجل واحد ، وذلك الرجل من أهل مودته،يحميه من الشر ويعينه على الخير على قدر طاقته ووسعه .

– ولا يطو على إساءة ظن بمسلم .

– ولا يبت طالبا له بحق ولا باطل .

– وليعرض على فكره **|55|** أعمال يومه عند مسائه ، وأعمال ليله عندالصباح ، فما وجد من ذلك من قبيل الحسنات ، شكر الله عليه ، ورغب فيه القبول، وما كان غير ذلك استغفر الله منه وإن كان مباحا،فالاستغفار خير كله . إلى غير ذلك من الأحوال التي يقتضيها منزله، (ويدعوه)[4] إليها ذكره.وبخلاصه من

---

[1] – في : أ : زيادة .

[2] – ب : وليتحافظ من .

[3] – في : أ : السيء .

[4] – ب : يدعو .

(مؤونة)[1] منزل التقوى ، يمد قدمه إلى منزل الإخلاص أول مقام الإيمان . والله المستعان .

البــاب الثــالــث

في مقام الإيمان وما يتعلق بــه من المنازل والأذكار والمقاصد والثمرات وغير ذلك

اعلم جعلني الله وإياك ممن قام بوظائف التصديق ، ولازم الاهتداء على سوء الطريق ، أن الإيمان في اللغة هو التصديق . قال الله تعالى : [وما أنت لنا بمومن لنا ولو كنا صادقين] [2] أي (بمصدق) [3] لنا . وهو في عرف الشرع يتالف من أصل وهو التصديق بالغيوب ، وفرع وهو العمل بما يقتضيه التصديق ، خلافا للمرجئة [4] الذين (قالوا) [1] :" لا يحتاج مع التصديق إلى عمل ". وذلك كفر وضلال

---

[1] – ساقط من : ج .

[2] – سورة يوسف / الآية 17.

[3] – ب : مصدق .

[4] – يقول الشهرستاني:" المرجئة من الارجاء . وهو على معنيين : أحدهما التأخير: " قالوا ارجه وأخاه"، أي أمهله وأخره.والثاني إعطاء الرجاء . أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح لأنهم كانوا يؤخرون العمل على النية والقصد . أما بالمعنى الثاني فظاهر . فإنهم كانوا يقولون: لا تضر مع الإيمان معصية ، كما لا ينفع

، فلا يقوم الإيمان إلا على دعائم أعمال الطاعات ، ولذلك سميت الأعمال إيمانا ، للتلازم الذي [بينها] [2] وبين التصديق . ولأن الأعمال من دلائل الإيمان ، لا تقوم إلا به ، ولا يصح دونها . وإنما مدح الشرع بتلك الفروع من كان قائما على اصلها، محافظا على شروطها، حتى لو كان عاملا غير مصدق ، لم ينفعه عمله . كما لو كان مصدقا غير عامل، لم ينله شيء من المدح الشرعي خلافا للمعتزلة [3] . فبهذا الاعتبار صح أن يطلق على الأعمال الظاهرة (إيمان) [4]

فإن قلت :قد ظهر أن الإيمان هو الأصل في سائر وظائف الدين ، فهلا كان الاصل مقدما لتتقعد الفروع على اصل (متقرر) [5] ؟

فالجواب : أن الإسلام لما كان الغالب عليه الأعمال الظاهرة ، وهي من عالم الشهادة ، وكان الغالب على الإيمان الباطنة، وذلك من عالم الغيب ، وكان الإحسان الغالب عليه أسرار الروح ، وذلك من عالم الجبروت ، كان من الترتيب الحسن البليغ أن يبدأ الإنسان من وظائف الدين بالأقرب فالأقرب لطباعه ، ليستأنس بما (يرد) [6] عليه أولا لما يرد عليه ثانيا . ولا شك أن ما كان من عالم الشهادة ، فالنفس تأنس به ولا تنفر عنه،للعلاقة التي بينها وبين الجسم .

مع الكفر طاعة . وقيل : الإرجاء تأخير صاحب الكبيرة إلى القيامة،فلا يقضى عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار.فعلى هذا،المرجئة والوعيدية فرقتان متقابلتان ... والمرجئة أصناف أربعة : مرجئة الخوارج،ومرجئة القدرية ، ومرجئة الجبرية ، والمرجئة الخالصة (الملل والنحل : 155/1 – 186/1 – وانظر أيضا : الفصل في الملل والأهواء والنحل – لابن حزم الظاهري : 112/2 – 4 / 204 – روضة التعريف: 545/2 – تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ماجد فخري – ص : 72).

[1] – ب ، ج ، د : يقولون .

[2] – في : أ : بينهما .

[3] – في آراء المعتزلة . انظر : الملل والنحل – للشهرستاني : 54/1 – الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم : 4 / 192 – روضة التعريف : 544/2 – تاريخ الفلسفة الإسلامية – د . ماجد فخري،ص: 79 – تاريخ الفلسفة في الإسلام–دي بور.ص:51–معالم الفلسفة الإسلامية – محمد جواد مغنية،ص:29 .

[4] – ب ، ج : إيمانا .

[5] – ب : متقدم .

[6] – ب : يدرك .

فإذا تلبس الجسم بالوظائف الإسلامية ، انقدح (بذلك)[1] في النفس بشاشة (إيمانية)[2]، فلا يزال (ذلك)[3] يقوى عندها ويتزايد ما دامت وظائف الإسلام قائمة متزايدة ، حتى يغلب معنى الإيمان (على النفس فتأنس به . فعند ذلك [تتذكر عالمها][4] بالسبب الذي بينها وبين معنى الإيمان)[5]، [فتتشوف][6] إلى أسرار الروح، فحينئذ تسهل عليها وظائف الإحسان.

وبذلك تبدو لك الحكمة في كون الإسلام لابد وأن يكون معه من الإيمان ما لا يقوم إلا به ، والإيمان لابد (و)[7] أن يكون معه من الإحسان ما لا يقوم إلا به .

ومتى اختلف عليه شيء من (بدايته)[8] الإسلامية والإيمانية ، حيل بينه وبين الأسرار الإحسانية . فظهر بذلك أن مر تبة الإسلام بداية ، وأن مرتبة الإيمان تمكين ، وأن مرتبة الإحسان نهاية ، ولو عكس الأمر فعوملت أولا بالوظائف الإحسانية أو بالوظائف الإيمانية، لعسر عليها ذلك،ولبعد عنها مرماه.

وإذ تقرر هذا ، فمرادنا هنا من الإيمان تكميل ما يتعلق بالتصديق من الأمور الباطنة والظاهرة ، بإتمام وظائفه وشروطه ، حتى يحصل السالك على كمال[9] الإيمان ، ويتصف بمقتضاه كما قد جرينا عليه في مقام الإسلام أولا. وبالله التوفيق (وحده)[10].

---

[1] – ب ، ج ، د : من ذلك .

[2] – ج : إيمانه .

[3] –ج : كذلك .

[4] – في : أ : تذكر عللها .

[5] –ساقط برمته من : ج .

[6] – في : أ : فتترقى – ج : فتشوق .

[7] – ساقط من : ب .

[8] – ج : بداياته .

[9] – ب : زيادة : وظائف .

[10] – ساقط من : ب ، ج – د : زيادة : عونك اللهم .

المنـزل الأول من مقام الإيمــان

اعلم جعلني الله وإياك ممن أخلص ضميره لربه ، وظفر باختصاصه وقربه، أن الإخلاص هو بداية مقام الإيمان ، وأول منزل من منازله . قال الله تعالى : [ألا لله الدين الخالص] [1] ، وقال عز من قائل : [وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له له الدين حنفاء] [2] .

ونعني بالإخلاص هنا ما يعم النيات التي تقوم بها الأعمال، وغيرها من الأمور الباطنة، فإن الإخلاص على قسمين: عام وخاص:

* أما الخاص : فهو ما يتعلق بالنيات المصححة للأعمال ، وهو عام من جهة أن (كل)[3] المكلفين مطلوبون به بحسب **|56|** الإمكان ، فهم فيه درجات ، وأحكامهم فيه مختلفة . وهو مقتضى قوله تعالى : [وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء] [4] .

* وأما العام:فهو ما يعم النيات وغيرها من أعمال الباطن.وهو خاص من جهة، القائمين به هم الأقلون ، وهو المشار إليه [في هذا][5] المنزل . وهو تصحيح الوجهة إلى الله تعالى في جميع الحركات والسكنات ، جريا على سبيل العبودية .

* وثم إخلاص ثالث يختص به أهل النهايات،وهو الخروج بالسر[عن][6] الأكوان، حتى عن تلمح الإخلاص ، استغراقا [1] في مشاهدة الواحد الحق، وسيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى .

---

[1] – سورة الزمر / الآية 3 .

[2] – سورة البينة / الآية 5 .

[3] – ساقط من : ج – د : جميع .

[4] – سورة البينة / الآية 5 .

[5] – في : أ : بهذا .

[6] – في : أ ، ب : على .

وقد جعل بعض الناس النية والإخلاص شيئا واحدا . وإن كان هذا يصح من وجه ما ، فالصحيح من كل الوجوه أنهما شيئان . فالإخلاص غير النية، لكن النية بعض الأشياء التي تفتقر إلى الإخلاص ، لأن النية روح الأعمال الظاهرة، والإخلاص روح الأعمال الباطنة ،(والنية من الأعمال الباطنة) [2]، (فيصح)[3] بذلك (أن) [4] الإخلاص روح الروح .

وذلك أن الباطن يصور صورة ما ، (فيتحرك)[5] الظاهر إلى العمل بمقتضاها، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر . ثم إن جنبة الخير في ذلك لا تخلو في الغالب عن الشوائب التي منها ما يمحو أثر الخير بالجملة ، ومنها ما يؤثر (فيه)[6]نقصا ، ولا يعريه عن الخيرية .

والإخلاص يذهب جميع الشوائب رأسا،ويخلص جميع النيات وأعمالها للواحد الحق بما اقتضته حقيقة الإيمان من إمحاض الوجهة إلى الله تعالى ، وتصفية معاملته من شوائب الشرك . قال [7] التستري τ :"النية مقدمة العمل"[8]، فالموقنون المومنون الموفقون المسددون [9] إذا أرادوا فعل شيء فكروا في عاقبته، فإن كان رشيدا صححوا النية التي هي فعل القلب بالإخلاص ، حتى تقوم صورة العمل في النفس مجردة (من) [10] الشوائب والآفات . وبحسب ذلك يكون سطوع نورها على الجوارح، حتى إذا طرأت آفة أماطوها عن النفس بأشعة الأخلاص المنبعثة من نور

---

[1] – الإستغراق عند الصوفية "هو أن لا يلتفت قلب الذاكر إلى الذكر في أثناء الذكر ولا إلى القلب.ويعبر العارفون عن هذه الحالة بالفناء."(معجم المصطلحات الصوفية. ص: 42)

[2] – ساقط برمته من : ج .

[3] – ب ، ج ، د : فصح .

[4] – د : لأن .

[5] – ج : يتحرك (بإسقاط الفاء) .

[6] – ساقط من : د .

[7] – ب ، ج : زيادة : سهل – د : زيادة : سهل بن عبد الله .

[8] في الرسالة القشيرية بلفظ : الإرادة مقدمة كل أمر ، ص : 101 .

[9] المسددون : المستقيمون ، المصيبون (اللسان / سدد) .

[10] – ب ، ج ، د : عن .

الإيمان ، المحركة للعزم على القيام بأمر العبودية، حتى يتم العمل على أساسه من الصحة.

والمقصود هنا من الإخلاص ، تعديل النفس به للوجهة إلى الله تعالى ، تصحيحا لمعنى التوحيد ، وتهيئة لما يرد عليه بعد ذلك .وفي هذا المنزل تصير سكنات السالك وحركاته جارية على مهيع[1] العبودية ، تكليفية كانت أو إباحية ، وذلك وذلك حين يتمكن معنى الإخلاص من القلب ، ويستحكم فيه (بالمزاولة) [2] للذكر الذي يقتضيه ، (وبالمداومة)[3] عليه، حتى يصير مستحضرا معنى القربة في كل حركة وفي كل سكنة .

فالإخلاص عبارة عن تجريد الأعمال من جميع الشوائب، ويضاده الاشراك. قال النبي ρ: "الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل"[4]. فيلزم من هذا[5] أن الإخلاص الإخلاص أيضا أخفى من دبيب النمل، إذ لا يتوصل لخفي الإشراك ، إلا بخفي الإخلاص .فما ظهر من الإشراك (سلط عليه ما يظهر من الإخلاص ، وما خفي من الإشراك) [6] سلط عليه ما يخفى من الإخلاص، وذلك من الحكمة في معالجة العلل .

وإن كان الإخلاص يبدو في الجملة سهلا هينا ، فهو في باطن الأمر صعب المرام ، متعذر المنال ، لا يحكمه إلا من تشحر باطنه بأسرار الأذكار التوحيدية ، (واعتدل) [7] بالأنوار النبوية ، وجرى في مضمار المجاهدة . ولذلك

---

[1] –المهيع : الطريق الواضح الواسع البين جمعه مهايع (اللسان / هيع) .

[2] – ب : بالمداولة – د : المناولة .

[3] – ب ، ج ، د : والمداومة (بإسقاط الباء) .

[4] –أخرجه أحمد في مسنده، ح : 19553 ، من حديث أبي موسى الأشعري بلفظ : "يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل".

[5] – ج ، د : زيادة : المعنى .

[6] – ساقط برمته من : ج .

[7] – ب ، ج ، د : اهتدى .

الإشارة بقول النبي ρ : "يامعاذ أخلص العمل يجزيك القليل منه" [1] . وقال بعضهم: "في إخلاص ساعة نجاة الأبد" [2]. وقد حده بعضهم فقال: "الإخلاص إفراد النية وتصفيتها لله تعالى من جميع الأشياء الحاجبة عنه ، حتى عن رؤية الإخلاص " [3].

قلت بتوفيق الله تعالى : الإخلاص تصيح الوجهة إلى الله تعالة مع الحركات والسكنات، وإن كان المعنى واحدا ، فهذا أبلغ وأخص . وبالله التوفيق

فــصـــــــل

وللإخلاص في هذا المنزل شروط وآداب .

أما شروطه فأربعة :

الأول : (إيجاد)[4] معنى العبادة في القلب ، عريا عن واردات الخواطر المنافية للإخلاص، استيناسا بما احتوى عليه الذكر من لذيذ المناجاة ، وترفعا عن دناءة ما يتعلق بالفكر من ضروب شواغل الآفات ، يكون ذلك متصلا باتصال ذكره وسائر **/57/** عباداته دون فتور . ثم لينفق من الأثر الباقي عن ذلك في حال فتوره في الأغلب والأكثر من أحواله، حتى إذا حصل [5] منزل الطمأنينة ، آخر مقام الإيمان ، اتصل معنى الإخلاص مع أنفاسه .

الثاني : غيبة القلب في أعمال الطاعات عن الالتفات لغير الله ، والإعراض عن الأعراض الطارئة على الإخلاص ، حتى لا تمتزج الطاعات بما

---

[1] –إحياء علوم الدين – 4/ 397 . وقال العراقي : أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ . وقال : إسناده منقطع ، (المغني عن حمل الأسفار – 397/4) .

[2] –بلفظه : إحياء علوم الدين . 399/4

[3] – أورده القشيري في الرسالة بصيغ مختلفة ونسبه لابن يزدانيار . ص : 104 – 155. وانظر أيضا : شرح الرسالة – لأبي يحيى زكريا الأنصاري الشافعي . ص : 104 .

[4] – د : اتحاد .

[5] – ب ، ج ، د : زيادة : في .

يغايرها من المباحات، ولا تختلط القربات بما تقتضيه العادات . ومهما فعل ذلك ، تكدر عليه مشرب [1] الإخلاص .

الثالث : الصبر على تجرع [2] ما ينافي الطباع وينافر الهوى من أمور الإخلاص ، بربط النفس لقوانينه،وحملها على سبيله،والمحاسبة على (خطراته) [3] وإن دقت ، لأن الإخلاص من أشد الأشياء على القلب وأصعبها على النفس، إذ ليس لها فيه حظ تميل إليه من أجله ، إنما هو خروج عن حظوظها [4] بالرجوع إلى خالقها، وهو من مفاتيح المراقبة . ولذلك أشار سهل بن عبد الله τ بقوله: "أهل لا إله إلا الله كثير ، والمخلصون منهم قليل"[5].

الرابع : عدم المبالاة بغير الله تعالى ، تعويلا على أنه المولى الذي يجب أن يكون له الدين الخالص [6]. ومن فعل ما وجب [7] عليه ، لم يبق له إلا انتظار المنة، وهي ورود ألطاف المعارف على قلبه شيئا فشيئا .

وأما آدابه فأربعة :

الأول : الجزع من سلب الإخلاص بسابقة [8] الإهمال : فتصير الوجهة هباء [1] ، وذلك من المقت المستعاذ بالله منه [فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون] [2].

[2].

---

1 –المشرب لغة : الموضع الذي يشرب منه . والمشرب : الماء الذي يشرب . والمشرب . الوجه الذي يشرب منه . (اللسان / شرب) .

2 – ج ، د : زيادة : مرارة .

3 – ج : خطواته .

4 – المقصود بالحظوظ هنا كل ما للنفس رغبة في حصوله لغرض غير الحق ولذلك يرى الطوسي بأن الحظوظ تناقض الحقوق (اللمع ص 413)

5 –بلفظه في الرسالة القشيرية ، ص : 105 ، وانظر ايضا : اللمع . ص : 117 – 290 .

6 إشارة إلى الآية 3/ من سورة الزمر : [ألا لله الدين الخالص] .

7 – ب : زيادة : الله .

8 – السابقة " هي العناية الأزلية المشار إليها في التنزيل بقوله:[وبشر اللذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم]" إصطلاحات الصوفية ص: 99.

ومن أخسر صفقة ممن ساء حظه (منه) [3] .

الثاني : اتهام النفس فيما (تدعيه) [4] من توفية حق الإخلاص ، لأنها ذات (بخس) [5] ومكر وتغليط فيما لا يشكل ، فأحرى فيما يخفي من أمر الإخلاص ويدق من شعب الشرك . وما يخفى ، فقد يعسر إدراكه ، فلابد من قوة عقلية،وفطنة ذكية ، تبرز [6]الإخلاص من بين أسجاف [7] بهرجة [8] الأعمال، إلى جنبة إمحاض الوجهة إلى الله تعالى.

الثالث : أن يلجأ إلى الله تعالى بالضراعة ، ويفزع إلى الدعاء مع مرور الأزمان واتصال الأنفاس بإسقاط حوله في تخليص إخلاصة .بالخلاص من شوائب نفسه، وخطرات فكره. [ومن لم يجعل الله له نورا ،فما له من نور][9]. فالافتقار إلى الله تعالى دليل (الإخلاص)[10]، ومن ذهل عن شيء من هذا المعنى لم تتخلص عبادته من رق مراعاة الأوهام .

---

[1] – المقصود بالهباء هنا معناه اللغوي : الغبار والتراب شبه الدخان الذي تطيره الريح (اللسان / هبا) كناية عن العدم ولا شيء . أما الهباء اصطلاحا عند الصوفية فيشار به إلى : المادة التي فتح الله بها صورة العالم . وهو العنقاء المسماة : الهيولى . انظر : اصطلاحات الصوفية – القاشاني ، ص : 45 – معجم المصطلحات الصوفية ، ص : 178 .

[2] – سورة الأعراف / الآية 99 .

[3] – د : من الله .

[4] – ب ، ج : يدعيه .

[5] – ج ، د : نحس .

[6] – ب ، د : زيادة : حقيقة .

[7] –السجف : والسجف : الستر . والجمع : أسجاف وسجوف (اللسان / سجف) .

[8] – البهرج : الرديء والباطل من كل شيء. والبهرج: التعويج من الاستواء إلى غيره (اللسان/بهرج).

[9] – سورة النور / الآية 40 .

[10] – ج : الخلاص .

الرابع : مطالبة النفس [بالإخلاص] [1] في المباحات والعادات مع إحضار نية القربة في ذلك التزاما لوظائف العبودية في كل حال ، ليكون له بذلك مرقى إلى منزل الصدق مع الله تعالى في معاملاته في كل الأنفاس ، وذلك أن المباحات إذا أخلص فيها المقصد ، كان الإخلاص في العبادات . وبالله التوفيـق .

ذكـــــــر

[و][2] اعلم أن الإخلاص ينبو [3] عن بداية توحيد الأفعال ثاني مرتبة من مراتب مراتب التوحيد الذوقي ، (فقد) [4] تقدم لنا أن تقسيم التوحيد ليس باعتبار حقيقته وماهيته، وإنما تقسيمه باعتبار ثمراته وأذواقه .

ومما تقدم لنا أيضا أن الله عز وجل ، حجب ذاته بصفاته ، وحجب صفاته بأفعاله [5] ، وحجب أفعاله بما اشتملت عليه طباع الإنسان من الركون إلى المألوف و الاستيناس [بالعادة] [6] . فإذا تجرد الباطن عن الالتفات إلى المألوف الظاهري بما يقتضيه سر التهليل، انبلجت له مبادي أسرار أفعال الله (تعالى) [7]، القائمة بصفاته ، فتحلت [النفس] [8] بموجب تلك المبادي . فإذا تجرد (الباطن)[9] عن الالتفات إلى أوهام الباطن الباقية أثرا عن المألوف بما يقتضيه سر (التنزيه) [10] ، فاضت عليه أنوار كمالات توحيد الأفعال ، فتحلت النفس بموجب تلك الكمالات ؛

---

1 - في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

2 - في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

3 - ينبو : يعلو ويرتفع (اللسان / نبا) .

4 - ب ، د : وقد .

5 - الإشارة هنا إلى القول المأثور عن ابن عباس : "حجب الذات بالصفات ، وحجب الصفات بالأفعال " (انظره فيما سبق)

6 - في : أ : بالعبادة .

7 - ساقط من : ب .

8 - في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

9 - ساقط من : ج .

10 - ج : التوحيد .

فإذا تجرد الباطن عن جميع الأكوان بما اقتضاه سر الإفراد ، سطعت له بروق مبادي أسرار توحيد صفات الله تعالى القائمة بذاته (العلية) [1] ، فاتصف الروح بمقتضى تلك المبادي ؛ فإذا تجرد الروح عن أثر الأكوان الباقية تبعا لمقتضى الجسمان ، غمرته بحار أسرار كمالات توحيد الصفات . ثم هو بعد ذلك [مستعد] [2] لما يرد عليه من معارف توحيد الذات**[58]**.

وإذا تقرر هذا،وعلمت أن الذي يختص بمنزل الإخلاص من مراتب التوحيد هو مبادي توحيد الأفعال ، فلا ذكر أنسب له هنا من التهليل نفيا وإثباتا، [لأن الإثبات] [3] والنفي بما [اقتضياه] [4] لأول وهلة يهديان القلب إلى إثبات أفعال الله تعالى بنفي أفعال من سواه ، حتى يرسخ ذلك المعنى في القلب ويثبت فيه ، فيتحلى بموجبه تحلية لا ينفك عنها ، فتجده لا يتأثر لشيء من أفعال الخلق ، ولا يكترث بها ، بخلاف ما (يحصل) [5] من ذلك بمجرد العلم ، فإن صاحبه لا يخلو عن التأثرلإساءة المسيء وإحسان المحسن ، والناس في هذا [التأثر] [6] طبقات : أبعدهم من [الحق] [7] من ينسى المسبب بالأسباب ، والغالب من سائر طبقاتهم الميل مع الأسباب ، فمن قوي ميله ومن ضعيف ميله .

وأما ما يحصل عن الذوق المشار إليه ، فلا يبقى معه نسيان ولا ميل ،بل يرى الأفعال كلها من الله ، وإن قام ظاهره في ذلك بما يقتضيه من الوظائف الشرعية ، فباطنه ثابت على ما اقتضاه ذكره من نفي وإثبات .كما حدثني أبي قال : كان الشيخ أبو القاسم المريد رحمه الله يوما يمشي ما بين

---

1 – ساقط من : ج .

2 – في : أ : مستمد .

3 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

4 – في : أ : اقتضاه .

5 – د : تحصل .

6 – في : أ ، ب ، ج : التأثير .

7 – في : أ ، ب : الخلق .

السور والدور [1] [في بعض] [2] أزقة مالقة [3] ، فالتفت فإذا قدامه رجل من أهل العلم المشاهير المدرسين وهو يقول لرجل كان معه : والله لو وجدت من يضمن لي القوت الضروري ما اقتحمت على شيء من (أمور) [4] المعاش هذا الاقتحام ، قال الشيخ : فعجبت له من استرساله [5] مع الميل إلى مألوفاته ، حتى نسي نسي الآيات والأحاديث التي تقتضي ضمان الرزق ثم قال : (واه) [6] ! ، أبعد ضمان الله تعالى يطلب ضمان غيره؟ [قال والدي] [7] فحركني ذلك إلى الاغتباط[8] بطريق الأذواق ، والملازمة على استثمار ثمرات الأذكار ، والعدول عن (الجمود)[9] على مجرد العلم من غير نظر فيما وراء ذلك، فإن الذوق يقود الطباع إلى مقتضاه ، والطباع تجر مجرد العلم إلى (مقتضاها) [10] وشتان ما بين الفريقين . والقاعدة التي بنى عليها أهل هذا الطريق أمرهم هي التحلية بالصفات التي تقرب من الله ، والتزكية عن الصفات التي تبعد عن الله .

---

1 – لعلها المنطقة الواقعة بين القلعة ومساكن أهل المدينة . إذ المعروف أن قلعةمالقة كانت مفصولة عن المساكن(انظر: الروض المعطار – ص : 517) .

2 – في : أ : بعض – ب : ببعض .

3–مالقة Malagaبلد المؤلف،وهي مدينة على شاطئ البحر المتوسط،كانت لها خمسة أبواب:بابان إلىالبحر، وباب شرقي يعرف بباب القصبة،وباب غربي يعرف بباب الوادي وباب جوفي يعرف بباب الخوخة. كانت في القرن8هـ تعتبر المدينةالثانية بالأندلس،ويقال أنها بنيت في عهد الفينيقيين.(انظر:معجم البلدان: 186/17–الروض المعطار،ص:517–صفةجزيرة الأندلس.ص:177–رحلة ابن بطوطة:219/4–معيارالاختيار، ص:87–نفاضة الجراب:286/2– مفاخرة بين مالقة وسلا:355/2 –مشاهدات لسان الدين.ص:76).

4 –ج ، د : أمر .

5 – الاسترسال في الشيء : الطمأنينة إليه والاستئناس (اللسان / رسل) .

6 – ج ، د : أواه – ويلاحظ أن الساحلي يضيف عددا من التعبيرات لعل فيها نفسا من العامية الأندلسية في عصره ، مثال ذلك : شحر ، تشحير ، شحيرة ، السور والدور ، الأسطوان ، القرق، ... بالإضافة إلى : واه هذه التي أوردها هنا في سياق يفيد معنى التعجب .

7 – ساقط في الأصل .

8 –الاغتباط بالشيء : السرور به وحسن الحال به (اللسان / غبط) .

9 – ج : الخمود .

10 – ج : مقتضاه .

وإذا تبين لك ما (لكلمة) [1] النفي والإثبات التوحيدية من الاختصاص بمنزل بمنزل الإخلاص ، وعلمت أن لهذه الكلمة وظائف تكليفية واردة من قبل الله تعالى [على لسان] [2] رسوله ρ الدال عليه ، (وأنه) [3] من نسي الدليل ضل بذهوله عما دل عليه . فلا غنى ولابد من ذكر الدليل ، لأن نسيانه سبب لنسيان ما دل به من الشروط في معرفة الله تعالى ، فلذلك وصلوا ذكر الدليل بذكر المدلول عليه، حتى [ينحفظ] [4] المدلول به ، فقالوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ، خلافا لمن طبع الله على على قلبه (فلم)[5] يهتد سبيلا ، ومكر به شيطانه فأضله تسويلا ، وهي الطائفة الخاسرة ، والزمرة (الفاجرة)[6] ، الذين يقولون : الإكثار من ذكر النبي ρ حجاب عن الله .

وسبك بعضهم هذه العبارة فقال : "إذا أفرد التهليل عن إثبات الرسالة كان أبلغ وأسرع في تأثير معنى التوحيد". واحتج لذلك – فيما بلغني–بأن قال: "للتهليل معنى ولإثبات الرسالة معنى،وإذا اختلفت المعاني على الباطن،ضعف التأثير وبعدت الثمرة"،قال:"وإنما يكون وصل الذكرين عند الدخول في الإسلام". وهذا – والعياذ بالله –من الفتن التي لا مورد لها غير النار ، ولا عقبى [7] سوى دار البوا ر [8] . وما ذلك إلا إلا مكر واستدراج إلى رفض الشريعة ، والانحلال من ربقتها [9] ، وتعطيل رسومها[10]. ولو علم هذا القائل ما تحت [قوله] [11] ": محمد رسول الله"من الأسرار التوحيدية والحكم التهليلية ، لانقشع عنه ذلك العمى ، فأصاب المرمى .

---

1 – ج : بكلمة .

2 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

3 – ب : وأن .

4 – في : أ ، ب : يتحفظ .

5 – ب : ولم .

6 – في : أ : العاجزة .

7 – د : زيادة : لها .

8 – البوار : الهلاك (اللسان / بور)

9 –الربقة ، والربقة: الحبل والحلقة في عنق الصبي، والغنم الصغار وغيرها (اللسان / ربق).

10 – المقصود : تعطيل الأحكام الظاهرية الرسمية للشريعة .

11 – في : النسخ الأخرى : قولك .

فمن الواجب أن نفوه هنا (بنبذة تحمله على الهداية وترفع عنه ظلام العماية [1] . فأقول)[2] مختصرا ، وبالله منتصرا : إن الله Y أودع في ذكر نبيه مع ذكره فوائد فوائد وأسرارا : منها : أن رسول الله ρ باب عظيم إلى معرفة الله Y، فمن قصد معرفة الله تعالى من بابها ، نالها ووصل إليها ، ومن تعرض **[59]** إليها من غير بابها ، حرمها ومنع من (الدخول) [3]إليها.

– ومنها أن التوحيد لا ينال سره إلا بالإيمان ، والإيمان لا يصح إلا بإثبات الرسالة ، فكما يطلب السالك بما يحرك عنده قوة الإيمان بذكر التهليل ، كذلك يطلب بما يحرك عنده قوة شرط الإيمان ، بإثبات رسالة الدليل، ولأنها أحد أصلي التوحيد . ومن تأمل بتحقيق النظر سر الرسالة ، وجده من التوحيد، وذلك أن النبي ρ ، لم يكن نبيا ولا رسولا بنفسه ، بل بسر أسر فيه دون غيره . وذلك السر هو من الغيب الذي خص به وأهل له . قال الله Y حاكيا عن الرسل : [إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده] [4]. ولذلك السر الوجداني الصادر عن الغيب ، وجب التعظيم والتوقير، وإليه الإشارة بقوله تعالى : [من يطع الرسول فقد أطاع الله][5] . فجعل طاعته في طاعة رسوله . ومنها أن ذكره ديدنا [6] يؤكد أمر اتباعه الذي هو فرض على الأعيان، وبه النجاة و(الخلاص) [7] ، حسب ما وقعت الإشارة إليه في منزل الاستقامة من أن ذكره يقتضي حبه ، وحبه يقتضي اتباعه وطاعته . ومنها حفظ العهد للواسطة بأن يذكر ولا ينسى ، والنبي ρ هو (الواسطة)[8] بيننا وبين الله

---

1 – ب ، د : زيادة : والغواية .

2 – ساقط برمته من : ج .

3 – ج ، د : الوصول .

4 – سورة إبراهيم / الآية 11 .

5 – سورة النساء / الآية 80 .

6 – الديدن : الدأب والعادة . (اللسان / ددن) .

7 – ج : الإخلاص .

8 – ساقط من : ج .

تعالى[1]، والدال عليه . فمن حسن العهد أن لا ينسى وأن يذكر.كيف لا ولم [ينسنا][2] في حياته ولا عند مماته ولا عند النشر ولا في الحشر ؟

– ومنها أن ذكره نور يسطع في أرجاء قلوب محبيه وذاكريه . أترى يبقى مع النور إشكال ؟ أو يوجد مع الضياء ظلام ؟ فما انبهم في الباطن من أسرار التوحيد أو غاب عنه من معنى العبودية ، لا شك أن بيانه وظهوره يدركان بذكره ρ .

وبذلك يظهر لك ويتبين أن لذكره عليه السلام في كل مقام اختصاصا ، فاختصاصه في مقام الإسلام بالاهتداء إلى أعمال (الطاعة) [3] ، واختصاصه في مقام الإيمان بالاهتداء إلى حقائق المعتقدات ، واختصاصه في مقام الإحسان بالاهتداء إلى أسرار المشاهدات . فمن عدل عن ذلك ، حرم موارد الاختصاص، ومن أحله من باطنه المكان المكين ، بلغ [به] [4] مراتب التمكين .

فلابد من ذكره في كل المقامات ، متصلا بذكر الله ، ومنفردا ، ليدخل السالك في قدم دليله موارد التخصيص، فقد يدخل الخديم حضرة الملك في قدم مخدومه ، فيكرم من أجله ، ويقرب بسببه .

فإن قلت: قد عرفت بما قررت أن ذكر هذا المنزل هو ذكر لا إله إلا اللـه. [محمد رسول الله] [5] ، فكم يكون عدد الالتزام [1] منه ، وكيف يكون تناوله ؟

---

1 – مفهوم الواسطة هنا يشير إلى الذات النبوية المتراوحة بين عالم الناسوت وعالم اللاهوت، التي تنقل خبر السماء وتعاليمها إلى الأرض. والواسطة ليست مقاما خاصا بالنبي (ص)، بل قد يطلق كذلك على العارف الواصل الذي لا يصدر في حركاته وسكناته وتوجيهاته للمريد إلا عن إذن رباني،فيكون= =بذلك حلقة وصل بين بشرية المريد وعالم الملكوت . في ذلك يقول القاشاني : " واسطة الفيض وواسطة المدد : هو الإنسان الكامل الذي هو الرابطة بين الحق والخلق بمناسبته للطرفين

(اصطلاحات الصوفية ، ص : 48) ، وايضا : معجم المصطلحات الصوفية – ص : 181 . وهو مفهوم تكرس في الحقيقة مع بزوغ التيار الشاذلي مستندا إلى نص الصلاة المشيشية المشهورة : " ... إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط .. " (لطائف المنن – مخطوط – ص: 115).

2 – في الاصل : ينس .

3 – ج ، د : الطاعات .

4 – في الأصل : فيه .

5 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل . ولا يصح المعنى إلا به .

فالجواب : إن مقدار لزومه راجع إلى نظر قدوته ، فيوظف عليه عددا يقتضيه حاله ، لأن أحوال الناس تختلف ، وقرائحهم تتفاضل ، وعزائمهم تتنوع. ومن الحكمة وضع الأشياء على مقاديرها ، ومراعاة التناسب فيها . فلا يكون بحيث تفل كثرته حسام العزم ، ولا بحيث تقدح قلته في (الانتهاض)[2]، [وكان بين ذلك قواما] [3] .

وليتحين بإيراد أوراده (الأحيان) [4] الفاضلة والأوقات المخصوصة .وليفاتح ورده أولا بالاستغفار (ولو) [5] مائة مرة ، ليهيئ بذلك طهارة في باطنه لما يرد عليه بعد ذلك من تصلية وتهليل .ثم ليتحين إثر ذلك صلاة على النبي ρ ، ولو خمسمائة مرة، يستنير بها باطنه لتلمح ما يرد عليه بعد ذلك من سر ذكر التهليل .

والكيفيات في ذلك لا تنحصر ، غير أنه ينبغي أن تكون كيفيات أذكار السالك مناسبة لعلله المأخوذ في علاجها، إذ قد يظهر عليه من صفات نفسه التي يلزم تطهيرها بالذكر ما هو مفرد وما هو مركب . فينبغي أن تكون كيفية [6] الذي يستعمله مناسبة (لعلته) [7] . ولله سبحانه الأسماء الحسنى [8] والصفات العلى ، مختلفات المعاني ، لكل معنى منها اختصاص بتحلية وتزكية[9]، فالنظر في (نسب

---

1 –الالتزام : الاعتناق ، وعدم المفارقة . (اللسان / لزم) والمقصود به هنا : الورد المنتظم الذي يلزم به السالك نفسه كل يوم .

2 – ج : الإنهاض .

3 –من لفظ الآية67 من سورة الفرقان:[والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما].

4 – ب،ج،د: الإحايين. وقال ابن منظور: " ... ثم تجمع الأحيان على أحايين (اللسان / حين).

5 – ساقط من : ج .

6 – د :زيادة : الذكر .

7 – ج : لعله .

8 –من لفظ الآية 180/ من سورة الأعراف : [ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها] .

9 –التحلية والتزكية كذلك من الثنائيات الضدية المتلازمة في الفكر الصوفي . ويقصد بها عند القوم : تحلية النفس بالصفات الحميدة . وتزكيتها عن الصفات الذميمة . وأحيانا يستعملون صيغة : التحليةوالتخلية : أي تخليتها من متعلقاتها الدنيوية ، ومذموماتها . (انظر : الإملاء في إشكالات الإحياء –ص:19– اللمع– ص: 439– 440 معجم المصطلحات الصوفية، ص: 58– 59).

)[1] ذلك وتركيبه موكول إلى نظر القدوة . ولا يمكن الكشف عن حقائق ما وراء هذه العبارة بأكثر مما أشرت إليه .

ولا يفارق شروط الذكر وآدابه على حال ، حسب **[60]** ما تقدم . ولا يعدل عن الأوقات الفاضلة بورده إلى غيرها إلا من ضرورة . ففي بعض الأوقات من الاسرار ما يعين السالك على فتح أبواب القبول ، ولهيآت الظاهرتأثير بموجبها في الباطن. فليثابر على ما لا يفارقه الخضوع، ولا يعدل عن الذل والافتقار.

وقد تقرر غير مرة أن المراد من الذكر انطباع معناه في النفس حتى يتصف بمقتضاه . ولا يصل إلى ذلك إلا بالتفكر والتدبر ، وهو وإن كان لم يبلغ هذا المنزل إلا وعنده من رطوبة اللسان [2] في إيراد الذكر ما يحمله على الإسراع والهذ [3] ، فمن فمن الأمر الضروري له أن يجعل هذه تبعا لتدبره . فإذا حصل المعنى (فلا) [4] بأس بالإسراع . و(أما) [5] إذا كان الإسراع مخلا [بشيء من التدبر][6]، فلا خير فيه . وبالمحافظة على هذه النكتة يحصل له الأمران : الهذ والتدبر ، حتى يكون اللسان كأنه عارية ، ومعنى الذكر (معتورا)[7] على الباطن [8]، لا ينقطع ولا يفتر ، وذلك من علامات مبادي الوصلة . ولا يكمل له هذا المشرب من الحضور إلا في آخر منزل من الصدق ، وبه يرد على منزل الطمأنينة .ولا يفتر عن هجيراه على كل حال من قعود أو قيام ، أو حركة أو سكون أو غير ذلك . وقد تقدم لنا سبيل استعمال الهجيرا، ومن أي الأذكار يكون، فلا معنى (للإعادة) [9] . وبالله التوفيق .

---

1 – ج ، د : سبب .

2 –رطوبة اللسان هنا إشارة إلى حديث سبق ذكره : " يارسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت ، فأنبئني بأمر أتشبث به ، قال : لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله " .

3 –الهذ والهذذ: سرعة القراءة. (اللسان/ هذذ)

4 – ب ، ج ، د : لا .

5 – ساقط من : ج .

6 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

7 – – ج : معمورا – د : محترزا .

8 – اعتوروا الشيء وتعوروه وتعاوروه : تناولوه فيما بينهم وتناوبوه ... (اللسان / عور)

9 – ب ، ج ، د : لإعادته .

مقصـــــــد

و قد تقدم لنا أن المقصد الذي كان من سلف من المشايخ يستعمله في التهليل والتنزيه في كل المنازل هو : "لله أذكر وبه أستعين ". (لا يعدلون عن ذلك)[1] إلا بتعويض اللام (باء)[2] كما تقدم .والذي ذهب إليه والدي أبقاه الله في ذلك ، ، هو تنويع المقاصد بحسب المنازل. وقد أشرت فيما مضى إلى مقصده من ذلك . والذي يدخل به صاحب هذا المنزل إلى ذكر الاستغفار أولا ، هو أن يتعوذ قاصدا التلاوة ، ثم ليتل : [واستغفروا الله ، إن الله غفور رحيم][3] ، فليورد هذا الخطاب على نفسه، ثم ليجب عنه ب : "لبيك ربي وسعديك ، والخير في يديك ، وعبدك الذليل معول عليك ، في طهارة باطنه وظاهره ، راكن إلى الاستغفار من هفوات خواطره، يعاهدك على لزوم [الطاعة][4] . ويقول بلسان الضراعة : اللهم إني استغفرك يامولاي وأتوب إليك من جميع الكبائر والصغائر ، وهفوات الخواطر". (و)[5] غير ذلك من كيفيات الاستغفار التي يقتضيها حاله .

والذي يدخل به إلى ذكر التصلية هو أن يتعوذ قاصدا التلاوة ثم ليتل: [إن الله وملائكته يصلون على النبيء ، يا أيها الذين آمنوا ، صلوا عليه وسلموا تسليما][6] ، فليورد هذا الخطاب على نفسه ، ثم ليجب عنه ب: "لبيك ربي وسعديك، والخير كله في يديك ، والعبد راكن إلى جنابك، متوسل إليك بأفضل (أحبائك)[7] ، يقول يقول موقرا له ومعظما ، ومصليا عليه ومسلما : اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد رسولك ودليلك ، صلاة أرقى بها مراقي الإخلاص ، وأنال بها غاية الاختصاص ، وسلم تسليما "، أو غير ذلك من كيفيات التصلية التي يقتضيها حاله .

---

1 - ج : لا يقولون ذلك .

2 - ب : بالباء - والباء اصطلاحا يشار به كما يقول القاشاني إلى: " أول الموجودات الممكنة، وهي المرتبة الثانية من الوجود ".(اصطلاحات الصوفية ص: 35). وأيضا : كشاف اصطلاحات الفنون: 1/ 155- معجم المصطلحات الصوفية . ص : 52.

3 - سورة المزمل / الآية 20 .

4 - في : أ ، ج : الطاعات .

5 - ج ، د : أو .

6 - سورة الأحزاب / آية 56 .

7 - ج : أحبابك .

والذي يدخل به إلى ذكر التهليل ، هو أن يتعوذ قاصدا التلاوة، ثم ليتل : [فاعلم أنه لا إله إلا الله] [1] . فليورد هذا الخطاب على نفسه ، ثم ليجب عنه ب: "لبيك ربي وسعديك ، والعبد بين يديك ، يوحدك بالتهليل، منخلعا (عن) [2] التغيير والتبديل، ويقول مخلصا من قلبه ، ذاكرا لربه : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله "، إلى آخر دور سبحته من التهليل . (وليعده) [3] في أول كل دور منها . وإن اجتزأ بمرة واحدة في أول لزومه من التهليل ، فلا بأس به، والأول أحسن . وإن كان صاحب هذا المنزل أقوى قدما وأثبت يقينا ، فلا بأس أن يستنهض بمقصد أقوى من الأول ، وهو :" أهلل ربي وأخلص (له)[4] وأشهد أن كل شيء منه وبه وله . وأقول : بإمداده ومنته ، وبما وهب لي من نعمته ، لا إله إلا الله محمد رسول الله" . وهذا المقصد وإن كان جاذبا إلى جنبات [مقام] [5] الإحسان ، بما احتوى عليه من الإشارة إلى معنى الجمع – وصاحب هذا المنزل الإخلاصي لم يفارق حال التفرقة [6] – ، لكن فيه تصفية لمشرب الإخلاص من كدرات الأغيار [7] .

وقد يكون في معنى اللفظ الواحد من الجزالة [8] ما يتفق [منه][9] كل إنسان بحسب حاله . وقوة كل سالك تجذب من حقائق التوحيد ما يناسبها ، ولذلك اقتصر شيوخ هذا الطريق على مقصد واحد في ذلك ، وإن اختلفت الأحوال والمنازل. وما ذهب إليه والدي [10] في ذلك أقرب وأيسر وأسهل .

---

1 – سورة محمد / آية 19 .

2 – ب ، ج ، د : من .

3 – ج : ويعده .

4 – ساقط من : ج .

5 – في الاصل : مقامات .

6 – يقول الغزالي:"التفرقة إشارة إلى اللون والخلق. فمن أشار إلى تفرقة بلا جمع، فقد جحد الباري سبحانه. ومن أشار إلى جمع بلا تفرقة، فقد أنكر قدرة القادر. وإذا جمع بينهما، فقد وجد "(الإملاء، في إشكالات الأحياء –ص: 20 – وانظر أيضا: معراج التشوف. ص: 51 – معجم الامصطلحات الصوفية– ص:60) .

7 –الأغيار . مفرده الغير ، ويقال له كذلك : السوى ، والإشارة به عند الصوفية إلى كل ما سوى الله تعالى من متعلقات النفس ، ومن الموجودات .(انظر معجم المصطلحات الصوفية . ص : 133)

8 – الجزالة : القوة والغلظة . ومنه قيل : حطب جزل . ورجل جزل . وكلام جزل (اللسان /جزل).

9 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

10 – ج ، د : زيادة : رضي الله عنه .

وقد يستعمل صاحب هذا المنزل المقصد الأول في ابتداء منزله ، حتى إذا لاحت عليه شواهد الانتهاض ، درج إلى المقصد الثاني .وهذا كله موكول إلى نظر القدوة [1] ، لا يدركه في تحصيل حقيقة (حكمته)[2] غيره .وأحوال السالكين تختلف إلى إلى **|61|** ما لا يضبطه التقييد،ولا يحصره التقسيم، لاختلاف الأخلاق والأمزجة والفطر والأطوار [3]. (وليحافظ)[4] المخلص على تتبع معنى المقصد بفكره ، وليقعد منه قاعدة في نفسه ، و(ليجعله)[5] قطبا (يدور) [6] عليه معنى الذكر . وبحسب محافظته على ذلك مع محاسبته نفسه . يكون نفوذه [7] . وبالله التوفيق .

ثـمــــــرة :

اعلم أن ثمرة مقصد التهليل في هذا المنزل ، سكون الباطن إلى جريان الأحكام الإلهية الواصلة إليه بسبب أو غيره [8] . وذلك أن أفعال الله Y ، جارية في جميع الموجودات ، لا [تفارقها] [9] الحكمة البالغة ، من إيجاد وإعدام،وإحياء وإماتة ، ، وإمراض وإسقام ، وإعطاء ومنع ، وإضرار ونفع،وغير ذلك من أفعاله تعالى ، جارية في موجوداته، كل ذلك على إرادته وعلمه وحكمته وقضائه وقدره، مسطور [10] في كتاب مبين ، لا تتحرك ذرة إلا بإذنه . له الخلق والأمر[11]، والتدبير والحكمة. ولو كشف الله عن بصائر خلقه ، فوقفوا على أسرار موجوداته ، ثم افاض على

---

1 - ج : زيادة : و .

2 - ج : حكمة (بإسقاط الهاء المهملة) .

3 – يقسم التهانوي الأطوار إلى سبعة هي : الطبع والنفس والقلب والروح والسر والخفي والأخفى.
(معجم المصطلحات الصوفية ص: 44) .

4 - ج : يتحافظ (كذا) .

5 - ج : يجعله .

6 - د : تدور .

7 –النفوذ : الجواز والخلوص (اللسان / نفذ) .

8 - إشارة إلى المقولة الكلامية المعروفة : إن الأحكام(الأفعال)الإلهية تتنزل بالسبب،وبضده،وبغيره.

9 - في : أ ، ب : تفارقه .

10 - من لفظ الآية : 58 / من سورة الإسراء : [كان ذلك في الكتاب مسطورا] والآية 2/ من سورة الطور : [والطور وكتاب مسطور]والآية6/من سورة الأحزاب:[كان ذلك في الكتاب مسطورا].

11 - من لفظ الآية 54/ من سورة الأعراف : [ألا له الخلق والأمر ، تبارك الله رب العالمين] .

عقولهم من [مواهبه][1] ما (يرتقى) [2] به إلى غاية قوتها ، لظهر لهم بالنظر التام المعتدل (السالم) [3] من الأوهام ، أن جميع ما احتوى عليه الوجود من صنوف صنوف الموجودات ، على اختلاف أحوالها من موت وحياة ، وصحة وسقم ، وغنى وفقر ، ونفع وضر ، وبسط [وقبض] [4]وغير ذلك كله، جار على سبيل الكمال والجمال، بحيث أن لو تبدل ذلك أو شيء منه عن حاله، لا نخرم [5] الوجود ،ولانفسد ،نظامه فجميع ما تجري به الأحكام الإلهية،وتنفذ به المقادير الأزلية ، كمال لا نقص فيه ، حتى لو قدر شيء منه صدر على غير الوجه الذي وقف عليه العقل ، لكان (فساد أمر) [6] مرغوبا عنه لا خير فيه .

وقد ربط الله جميع الكائنات بعضها ببعض ، ورتب بعضها على بعض . فربما ظهرت من الأمور مباديها ، فاستعجل الإنسان بما ركبت عليه طباعه من العجلة [7] ، فاضطرب وتلون قبل وقوفه على نهاياتها .

والأمور كلها لها ظاهر وباطن ، وقد تكون الحكمة في الظاهر دون الباطن ، أو في الباطن دون الظاهر . والنفس بما جبلت[8] عليه من الجزع ، لا يكاد يفارقها سوء الظن، ولذلك تميل [9] حيث (يجرها)[10] الجزع من ظاهر أو باطن، ولو تصفت تصفت [11] غاية لتصفية من عللها التي حجبتها عن رؤية الحقائق، لارتفع عنها الأشكال ، (ولذهبت) [12] عنها الأوهام ، حتى تقف على حقائق الموجودات ، بما

---

1 – في الأصل : مواهب .

2 – ج ، د : ترقى (كذا) .

3 – ج : السالك .

4 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل . والقبض في الإصطلاح الصوفي هو: " أخذ الوقت القلب بوارد يشير إلى ما يوحشه من الصد والهجران وأمثال ذلك"(اصطلاحات الصوفية. ص:143.)

5 – انخرم الشيء : انشق ثقبه (اللسان / خرم) والمقصود : فساد الوجود واختلاله .

6 – ب: فاسدا – ج ، د : فسادا .

7 – إشارة إلى الآية : 11 / من سورة الإسراء : [وخلق الإنسان عجولا] .

8 –جبلت عليه : طبعت عليه ، والجبلة والجبلة : الخلق والطبع (اللسان / جبل)

9 – ب ، ج : زيادة : إلى .

10 – د : يجذبها .

11 – ب ، ج ، د : زيادة: النفس .

12 – ج : ولذهب .

هي عليه من جميل ترتيب وحسن ارتباط .لكن [وظيفة صاحب منزل] [1] الإخلاص ، أن يحصل عنده يقين جملي [بحسن] [2] أفعال الله Y ، [وجميل] [3] عوائده ، حتى لا يبقى عنده اعتراض ولا (سخط)[4]. وما يبقى عنده في ذلك من البقايا الوهمية والآثار (الطبيعية) [5]، ففي (منزل) [6] الصدق يتخلص منها .

وإذا قام معنى التهليل بنفس صاحب هذا المنزل قياما يقتضيه منزله ، حتى يرسخ (فيها) [7] ويثبت، وحتى لا يرى في الوجود فعلا إلا الله Y ، ويرى أفعال الخلق مسلوبة عنهم،ليس لهم فيها إلا ما [للآلة] [8] المصرفة، فتنتفي عن نفسه جميع تأثيرات أفعالهم، لتحققه أن ذلك صادر عن الله Y [9]، [لو كان فيهماآلهةإلاالله لفسدتا][10]فلا اشتراك لأحد(مع الله Yفي)[11] الموجودات والكائنات.

وإذا رسخ هذا المعنى في نفس السالك رسوخا تاما ثابتا ، حتى تعرب عنه جميع حركاته وسكناته ، و(يترجم)[12] عن (حقيقته)[13] جميع ظواهره وأنفاسه، فلا يتأثر لإساءة مسيء ، ولا لإحسان محسن ، وتذهب عنه الأحقاد بالجملة – كل ذلك مربوط [بالروابط] [14] الشرعية – ، علم أن صاحب هذا المنزل قد وفى ما عليه من (وظائف) [15] التهليل . ومهما بقي عليه شيء من ذلك ، علم أنه

---

1 – في الأصل : " وطبقة صاحب هذا المنزل " .

2 – في الاصل : يحسن .

3 – وفي الأصل : وجمد .

4 – د : تسخط .

5 – ب : الطبيعة .

6 – ساقط من : ج .

7 – ج : فيه .

8 – في الأصل : للامالة (كذا) .

9 – ب ، ج ، د : زيادة : وحده .

10 –سورة الأنبياء / الآية: 22 .

11 – ب ، د : مع الله عز وجل في شيء من – ج : في شيء من .

12 – د : تترجم .

13 – ج : حقيقة .

14 – في الأصل : الرابط .

15 – ساقط من : ج .

معلول، (فليجد)[1] حتى يتم ما بقي عليه من ذلك ، وحينئذ يرتقي إلى ما بعده، إذ ليس المراد من هذه الثمرة قيام العلم بها خاصة ، إذ لعل أكثر الناس لا يجهلونها، إنما المراد منها قيام الاتصاف بمقتضاها بالنفس ، ورسوخه فيها حتى لا يتكلف التصاريف بمقتضاها .

فقد نجد من يعلم علم يقين أن الله Y خالق جميع الموجودات على ما هي عليه ، ومريد الكائنات ، و[مدبر] [2] أمور الأرضين والسماوات ، لكنه يتأثر لبعض الواردات | 62 | المخالفة لهوى طباعه البشرية ، (تأثرا) [3] ربما رفع عنه حجاب الوقار ، وحرمه مورد الاصطبار [4] ، وكساه أثواب

الانزعاج [5] ، فأوقعه فيما يحظر أو يكره ، وذلك (لغلبة)[6] الطباع البشرية على ما ما يقتضيه التوحيد . ومن حرم مذاق ثمرته التوحيدية أحاطت به ظلم الأغيار ، وكاد لا ينفك عن غوائل [7] الأحقاد ولا يبرح من قيود الأنكاد. ومن رزق (مذاق طعم) [8] التوحيد، استراح من شره الطباع ، (فخلا) [9]سره ، وتنزه باطنه، وانشرح صدره ، وخفت مؤونته ، وخلصت وجهته .

وإن كانت الطباع (البشرية)[10] لا يخلو صاحب هذا المنزل عن نفرتها (عما)[11] يخالفها ، وسكونها لما يوافقها، فالفرق بين صاحب الذوق وغيره ، أن صاحب الذوق المستأنس بأسرار التوحيد ، كلما ورد على طباعه وارد مؤثر ، حرك في نفسه

---

1 - ج : فليتجر .

2 - في الأصل : مريد .

3 - ب ، ج ، د : تأثيرا .

4 -اصطبر وتصبر : جعل له صبرا (اللسان / صبر) .

5 - الانزعاج لغة: القلق . (اللسان / زعج) واصطلاحا: " تحرك القلب للمراد، باليقظة من سنةالغفلة" ويقال له أيضا: الاز--دعاج (اللمع ص: 444).

6 - ج : بغلبة .

7 - الغوائل : الدواهي ، والأمور المنكرة (اللسان / غول) .

8 - ج ، د : طعم مذاق .

9 - ب : فجلا .

10 - ج : بشرية .

11 - د : لما .

دواعي التوحيد بما اقتضاه ذكر التهليل ، فاتصفت النفس بمقتضاه، وخنس [1] الطبع الطبع ، ورجع خاسئا[2] مذعنا لمعنى التوحيد، ولم يبق [عنده] [3] من الشره ما يحمله على هتك [أستار الحدود][4]، وخرق حجاب الأدب . وزمام الطباع (بيد)[5] (بيد)[5] النفس، فإما بما اتصفت به من الكمال ، تمنع الطباع من الرذائل، واما بما اتصفت به من النقص، تصد الطباع عن الفضائل .

وإذا [انحفظت] [6] في النفس قاعدة التوحيد ، لا (يضر)[7] ما يظهر بعد ذلك من [مباحات] [8] مقتضيات الطباع . وإلى ذلك الإشارة بقوله ρ حين مات (ابنه)[9] إبراهيم عليه السلام: "القلب يخشع ، والعين تدمع ، ولا نقول إلا ما يرضي الرب ، وإنا بك ياإبراهيم لمحزونون" [10]، حفظ ρ قيامه في العبودية بأتم حال الأدب ، ثم أرسل الطبع فيما يقتضيه مما لا بأس به .فلا ينكر (تأثير) [11]. الطباع البشرية مع حفظ (أدب) [12] العبودية ، لا سيما حال الصحو [13] بالرجوع إلى الطبع ، اللهم إلا إن كان قد غلب عليه حال من أحوال (الاستغراقات [14] في بحار أسرار

---

1 –خنس خنوسا : رجع ، وانقبض واستخفى ، (اللسان / خنس) .

2 – خاسئا : مطرودا ، مدحورا ، مبعدا (اللسان / خسأ) .

3 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

4 – في الاصل : أسرار التوحيد .

5 – ج : بين .

6 – في : أ ، ب ، ج : انخفضت .

7 – ج : يظن .

8 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

9 – ساقط من : ج .

10 – أخرجه البخاري من حديث أنس به . ح : 1277 . بلفظ : " إن العين تدمع، والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا ، وإنا بفراقك ياإبراهيم لمحزونون " وأبو داود في السنن ، ح 3110 .

11 – ب ، د : تأثر .

12 – ج : آداب .

13 –الصحو لغة:اليقظة والانتباه.وعند الصوفية:حال الرجوع إلى مقتضيات البشرية،ويقابله السكر الذي يعني حالا من الإنتشاء بخمرة القدس تفضي بالمريد إلى الغياب عن إدراك المدركات الحسية. يقول ابن عجيبة:"...فإن رجع إلى شهود الأثر وقيامها بالله،وأنها نور من أنواره،فهوالصحو،ويسمى أيضا بالري، وبالبقاء،"معراج التشوف–ص:54–وانظر أيضا:اللمع:416–العوارف–ص:332–الرسالة–ص: 41.

14 – ب : استغراقات .

التوحيد، فإن ذلك يخرجه عن مقتضى الطباع بالجملة ، حتى لا يبقى عندها تألم بشيء ،ولا تلذذ بغير ما هو فيه من الحال الغالب عليه في استغراقه . واستغراق القلب في سر التوحيد مع حفظ الأدب في مقتضى الطبع ، أعلى مقاما وأثبت معرفة، فليس من ملك الأحوال كمن ملكته .

وأما من قنع بمجرد العلم ولم يتعرض إلى سبيل الذوق، فإن طباعه تتاثر لما يرد عليها من الواردات التي (تضادها) [1] ، تأثرا يغلب عليها حتى يذهب عنه الترجيح ، فيقع في هتك أستار الأدب بأنواع من التسخطات ، وضروب من التقلبات والتلوينات، إذ لم يكن في النفس من الاتصاف بمقتضى التوحيد ما يزم[2] الطباع عن عن (مقتضياتها) [3] الذميمة ، حتى تورطت في التبعات ، وتلوثت بالهفوات . وإذا تأملت من هذا حاله ، وجدته يناقض بأعماله وأقواله ما يدعيه من (حقيقة علم) [4] التوحيد .

وإما إذا اتصفت النفس بمقتضى حقيقة التوحيد ، فإن الجوارح تتبع النفس (بالقيام بوظائف ذلك المقتضى . ولا شك أن الجوارح تتبع النفس)[5] فيما تتصف به، ولا ولا تخالفها. وإلا فانظر إلى من قامت بنفسه صفة الكرم حتى (غلب) [6] عليها ، كيف تسرع اليد للبذل من غير توقف ، ومن قامت بنفسه صفة البغي ، كيف تسرع جوارحه إلى العدوان والظلم، فالجوارح تتبع النفس، فتعمل بمقتضى اتصافها ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر . ومتى كانت [7] خلية من الاتصاف بشيء ، استرسلت الطباع الطباع في (مألوف هواها)[8] . فظهر لك من هذا كله أن النفس إذا اتصفت بما اختص به منزل الاخلاص من (معنى) [9] التوحيد حسب ما دل عليه التهليل ، فإن

---

1 – ج : يضادها .

2 – زم يزم الشيء زما : شده . والزمام : ما زم به ، ومنه زمام البعير (اللسان – زمم) .

3 – ب : مقتضيات .

4 – ب ، ج ، د : علم حقيقة .

5 – ساقط برمته من : ج .

6 – د : غلبت .

7 – ج ، د : زيادة النفس .

8 – ب : مألوفها .

9 – ج : منزل .

فإن صاحب هذا المنزل لا يبقى عنده من التلوين ما يحمله على تسخط أو حقد أو غضب أو نفور أو ميل أو اعتراض بوجه، كل ذلك قائم على قواعد الشرع ، ثابت مع رسوم السنة من إقامة الحدود، وإنفاذ الأدب، والحب في الله، والبغض في الله ، وشكر المحسن ، فتجده قائما (بأمر) [1] الله تعالى في ذلك كله ، مع سكون باطنه إلى حقيقة التوحيد . ومهما تعدت الحقيقة طورالشريعة، فتحقيقه معلول، [ومشربه][2] مشوب. إنما العدل في لزوم الاعتدال بالجمع بين مقتضيات الحقيقة ومقتضيات الشريعة .

حدثني أبي رضي الله عنه، قال : كان رجل ممن يدعي التحقيق يوما ببعض الأزقة ، وإذا برجل مضروب الظهر، وشرطي ينادي عليه تحذيرا من جريرته [3]، فجعل فجعل ذلك المحقق يقول :"سبحان الله ، هذا المسكين – يريد المضروب – عري عن الجريرة التي أصابها لأنه كالآلة **[63]** المصرفة تحت القهر الإلهي"،كأنه يعتب معاقبه . قال : فسمعه بعض الأذكياء فقال له : "ياسيدي هذا الذي جئت به حجة عليك ، فإن الحاكم الذي أمر بضربه، والشرطي الذي ضربه ، والمنادي الذي ينادي عليه ، آلات (مصرفات)[4] تحت القهر الإلهي والحكم الشرعي". قال : (فبهت) [5] ذلك المدعي [6] وانقطع به [7].والجمع بين الحقيقة والشريعة من الأمور التي التي يدق معناها ويصعب مرامها ، والعثور على ذلك بسرعة وسهولة ، إنما يكون بالإدمان على ذكر النبي ρ ، فبه تفيض أنوار الهداية على البصائر [فتنجلي] [8] مرآة الباطن ويتشحر إبريز الذكر، وتصحي [9] سماء الإدراك ، فيسهل الجمع بين

---

1 – ب : بما أمر .

2 – في : أ : مشروبه .

3 –الجريرة : الجناية والذنب (اللسان / جرر) .

4 – ب: مصرفه .

5 – ج : بهت . (وفي هذه الحالة ، تكون بمعنى الدعاء بصيغة الماضي المبني للمجهول)

6 – من لفظ الآية 258 / من سورة البقرة : [فبهت الذي كفر ، والله لا يهدي القوم الظالمين].

7 – انقطع به : عجز وانقطعت حجته (اللسان / قطع) .

8 – في : أ : فتتجلى .

9 – أصحت السماء تصحي ، فهي مصحية : انقشع عنها الغيم.ويقال : يوم مصح (اللسان/ صحا).

الحقيقة والشريعة)[1]، فيقيم العدل في ذلك بتوفية وظائف الحقيقة ، والقيام برسوم الشريعة .

حدثني أبي قال: حدثني الشيخ أبو القاسم (المريد) [2] رضي الله (عنه)[3] قال : كان الشيخ أبو عمران في داري يوما ، فقلت في نفسي : ماضر أن أن لو أخرجت زوجتي تتبرك بهذا الرجل وتلتمس من دعائه ، وربما كانت من المتجالات[4]، قال الشيخ أبو القاسم : فما هو إلا أن أطرف الشيخ أبو عمران [5] بعض بعض ثيات زوجتي جائية نحوه ، فقطب وجهه وأظهر الغضب وانتهرني ، ثم قال لي : ياأبا القاسم : أتخرق حدود (الشريعة) [6] ؟ لإن عدت إلى مثلها لأقطعن حبل ودك . قال : فزجرت زوجتي حتى رجعت ولم يرها .

فإذا تقرر هذا ، فأقل موارد هذا المنزل ، إسقاط حظوظ النفس في الاعتراضات (بسبب) [7] الواردات حسا ومعنى، ومهما صدرت عنه(بادرة)[8] اعتراضية اعتراضية بسبب فعل من أفعال [الخلق] [9]، [فليتلاف أمرها بالعلاج][10]. فإن قلت : هذا الذي أشرت إليه مما يصعب على الطباع البشرية تناوله، وقد قال رسول الله

---

1 – ساقط برمته من: ج .

2 – ساقط من : ب ، ج ، د .

3 –ب : عنهما .

4 – تجالت المرأة فهي متجالة: كبرت وأسنت (اللسان/ جلل) والمتجالة عند الفقهاء هي المرأة التي لا أرب للرجال فيها غالبا، وغالبا ما تكون استثناء في بعض الأحكام الفقهية، إذ يجوز مثلا خروجها لصلاة العيد، والاستسقاء، والجنازة ...الخ كما عند فقهاء المالكية. (انظر مثلا: المختصر – لخليل بن إسحاق المالكي. ص: 41 وأيضا: شرح المختصر لصالح عبد السميع الأبي الأزهري: 1/ 80 – تقريب المسالك لموطأ الإمام مالك – لأحمد بن الحاج المكي السدراتي – مخطوط بالخزانة الحسنية بالرباط- رقم 1631 – الورقة: 79 و.)

5 – ج : زيادة : أن .

6 – ب ، ج : الشرع .

7 – ج : بحسب .

8 – ج : نادرة .

9 – في : أ : الله الخالق .

10 – في الاصل : " فيتألف أمرها بالصلاح " .

ρ: "جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها"[1]، فخروجها عما جبلت عليه أمر عسير ؛

فالجواب : أن المقصود من سلوك هذا الطريق (هو)[2] طهارة النفس من كل خلق ذميم ، وتحليتها بكل خلق حميد. ولا شك أن النفوس تختلف صفاتها باختلاف جبلاتها، فمنها ما الغالب عليه (الزكاء) [3] ،ومنها ما الغالب عليه الدناءة .وكل ذلك ذلك جبلات جبلت (النفوس)[4] <عليها>[5]، فما جبلت عليه من الفضائل أراح من مؤونة معاناته [6] [و][7] معالجته . نعم، (يفيد) [8] هذا الطريق تحسين الوجهة (بذلك)[9])[9] إلى الله تعالى[10]، وما جبلت عليه من الرذائل ، لزم الاخذ في معاناته والعمل على على معالجته بكل وجه يمكن الوصول إلى ذلك به . ومعنى (التخلق)[11]–من تفعل– من تكسب الأخلاق الحميدة ، ولا (تكسب)[12] الأخلاق الحميدة إلا بالعدول عن أضدادها، ولا يكون العدول عن أضدادها إلا بالأمور التي تشق على(النفوس)[13]،من رياضة ومجاهدة وغير ذلك .(فإطلاق)[14] الجبلات في حب المحسن وبغض المسيء [15] من غير تقييد بضابط الشرع وقانون السنة،وحفظ الأدب مع الله تعالى،

---

1 –حديث أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ، من حديث ابن مسعود 6/ 481 – ح : 8984 ، وابن عدي في الكامل : 287/2 . وأورده القاضي عياض في الشفا . ولم يرفعه إلى الرسول (الشفا : 2 /29) ثم رواه ولده أبو عبد الله محمد عنه مرفوعا بسنده عن ابن مسعود . (التعريف بالقاضي عياض – لولده أبي عبد الله محمد – ص: 32) .

2 – ساقط من : ج .

3 – د : الذكاء والزكاء ممدودا: النماء والريع . زكا يزكو زكاء وزكوا (اللسان / زكا) .

4 – ب : النفس .

5 – تصويب لا يستقيم المعنى بدونه – وفي الأصل ، وجميع النسخ : عليه . وهو خطأ واضح .

6 – المعاناة : المداراة والملابسة ، والمباشرة ، وحسن السياسة (اللسان / عنا) .

7 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

8 – ب ، ج : يفيده .

9 – ساقط من : د .

10 –د : زيادة : به .

11 –ب : التخلص .

12 –د : تكتسب .

13 – ب ، د : النفس .

14 – ج : بإطلاق .

15 – ب ، ج ، د : زيادة : وغير ذلك .

من الجبلات التي يلزم النزوع عنها ، و(طهارة)[1] النفس [منها][2]. والحديث ، إنما إنما أشار إلى بعض ما جبلت عليه النفوس إخبارا لا حكما ، كقوله: "الرضاع يغير الطباع" والنظر في المذموم من ذلك والمحمود شيء (آخر)[3] .

فوظيفة من ذاق طعم مبادي توحيد الأفعال في منزل الإخلاص ، أن يرى[4] الافعال كلها –ونعني بالأفعال جميع حركات الموجودات وسكناتها–،صادرة عن الله ، واردة منه ، نافذة بقدرته وإرادته وحكمته، لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه[5]، ولا غالب لقدرته، ولا ناقض لحكمة[6] يفعل ما يريد ، ويحكم ما يشاء ، تعالى أن يكون في هذا هذا الوجود ما لا يريد ، (و)[7] تقدس عن أن يظهر في الأكوان ما لا يشاء ، رؤية يقينية باطنية[8] ، حتى يصير ذلك صفة قائمة في نفسه ، لا يشغله عنها شاغل، (ولا)[9] يمنعه عن (التصرف)[10]بمقتضاها مانع ، وهذا هو المعبر عنه بالذوق[11] .

وإذا حصل الاتصاف بهذا المعنى لصاحب هذا المنزل ، فقد حصل على قاعدة عظيمة من معنى التوحيد ، وظفر بحظ كبير من أسراره . والله يفتح له فيما وراء ذلك. وهو الفتاح العليم.

---

1 – د : بطهارة .

2 – في : أ . عنها .

3 – ج : واحد .

4 – د : زيادة : خير .

5 – من لفظ الآية: 41/ من سورة : الرعد: [والله يحكم لا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب].

6 – ب ، ج ، د : لحكمته .

7 –ساقط من : ج .

8 –ب ، ج ، د : زيادة : ثابتة .

9 – د : فلا .

10 – ج ، د : التصريف .

11 – الذوق عند القوم : " عبارة عن نور عرفاني يقذفه الحق بتجليه في قلوب أوليائه، يفرقون به بين الحق والباطل من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره " . (التعريفات – للجرجاني . ص : 112 –اصطلاحات الصوفية . ص : 162 – كشاف اصطلاحات الفنون : 321/2 – كشف المحجوب للهجويري . ص : 636 – اللمع – للطوسي – ص : 449 – الرسالة القشيرية . ص : 39) .

نتيجـــة

اعلم أن نتيجة هذه الثمرة ، اتصاف النفس بإحدى عشرة صفة حميدة تنفي عنها إحدى عشرة صفة ذميمة :

الأولى : الزهد، ونعني بالزهد خلو الباطن من الميل إلى فان ، وفراغ القلب من الثقة بزائل، تنزها عن الاشتغال بمضمون، لأن ذلك مما (لا)[1] يعني ، وتفرغا إلى عمارة الوقت بالمهم الباقي الثابت . وإن (كانت) [2] اليد معمورة بمتاع [حلال][3]،][3]، فعلى سبيل العارية المحضة[4]، وتصرفه فيه تصرف الوكالة الخاصة [5]، [ينتظر] ينتظر] [6] العزل مع الأنفاس . وذلك ينفي عن النفس التعلق بما يزول **|64|** وهو حجاب يجلب الأفكار ويدعو إلى الأغيار ، ويصد عن الأسرار.

الثانية : التوكل ، وهو ثقة القلب بالوكيل الحق ، تصديقا بوعده ، وسكونا عن الاضطراب مع اضطراب الأسباب، تعويلا على المسبب، ولا يقدح في التوكل تلبس الظاهر بالأسباب، إذا كان القلب فارغا منها حال وجودها وعدمها. وقد أثنى الله تعالى على من [لا تشغله] [7] تجارة ولا بيع عن ذكر الله[8]. وذلك ينفي عن النفس الركون إلى (الخلق) [9] ذهولا عن الحق ، والتعويل على الأسباب غفلة عن المسبب ، والجنوح إلى تأثير العادة .

---

1 - ساقط من : ج .

2 - ساقط من : ج .

3 - في الأصل : حال .

4 -العارية والعارة : ما تداولوه بينهم . والعارية : المنيحة . (اللسان / عور – عير) . والمحض من كل شيء : الخالص والأنثى بالهاء (اللسان / محض) .

5 -الوكالة – من الوجهة الفقهية – عقد من العقود الشرعية التي تلزم بالإيجاب والقبول، وهي عند مالك والشافعي قسمان ، عامة وخاصة . فالعامة هي التي تقع بالتوكيل العام الذي لا يسمى فيه شيء دون شيء، فإن سمي ، كانت خاصة ، ولم ينتفع بالتعميم والتفويض . (انظر : بداية المجتهد ونهاية المقتصد – لابن رشد – 226/2 – 227) .

6 - في : أ، ج : يقتضي . والأول اقرب لتحقيق المعنى .

7 - أ، ج : لم يشغله – د : لم تشغله .

8 - إشارة إلى الآية 37/ من سورة النور : [رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ...] .

9 - ج : الخلود .

الثالثة: الحياء، وهو تعظيم الله Y بدوام ذكره ، والتزام نهيه وأمره ، والإمساك عن الشكوى به إلى غيره ، وذلك ينفي عن النفس السخط فيما يضاد الطباع ، مما تجري به الأحكام ، والانبساط [1] الباعث على تضييع الحرمات ، و(تبديد)[2] الأوقات .

الرابعة : الغنى[3] ، وهو غنى القلب بسلامته من فتن الاسباب ، والإذعان لمسالمة الحكم ، والخلاص من الخصومة . وذلك ينفي عن النفس الاعتراضات على أحكام [الخالق] [4] بتعليلات فارغة وشرك خفي: لو كان كذا لكان كذا . و"لو" ، عند السالكين، حرف مهجور، لأنه يجذب مواد الشرك ويدخل في دهليز [5] الفضول .

الخامسة : الفقر ، وهو نفض (اليد)[6] من الدنيا، ضبطا أو طلبا ، وسكوت وسكوت اللسان عنها مدحا أو ذما . وإن كان الظاهر يشير إلى الغنى ، فالمعنى في المعنى، فكم من فقير غني، وكم من غني فقير . وذلك ينفي عن النفس الميل إلى الإكثار

بالتأويل ، ويصونها من موارد الانكاد [7] والأغيار [8] .

---

1 - الانبساط لغة : الانشراح والاستبشار (اللسان / بسط) واصطلاحا : يرادف : البسط . وهو حال يعتري السالك ، ينتج عن الرجاء ، والثقة في فضل الله وكرمه . وهو من مقتضيات معاملة

الحق من باب الجمال . ويقابله القبض وهو : عند ما ينظر إلى صفات الجلال في الحق سبحانه ، فينتج عنه الخوف من عقابه ، وقهره. (انظر: الاملاء في إشكالات الإحياء: ص: 19 - اللمع- ص: 419 -الرسالة القشيرية - ص:35 - معراج التشوف - ص: 42.)

2 - ب : تبذير .

3 - ويرى التهانوي أن الغنى: " مقابل الفقر ...هو سكون القلب بوعد الله تعالى ، وقال أهل الله: الغنى الرضاء بالموجود والصبر على المفقود " (معجم المصطلحات الصوفية ص: 132.)

4 - في : أ ، ج : الخلق (ولا يستقيم به المعنى) .

5 -الدهليز : الدليج . وهو الممر بين دارين (اللسان / دهلز) .

6 - د : اليدين .

7 - النكد : الشؤم واللؤم . (اللسان / نكد) .

8 -الأغيار جمع من : غير بمعنى: سوى . ومن : الغير : بمعنى أحوال الدهر المتغيرة (اللسان / غير).

السادسة : الإيثار، وهو إيثار الخلق على نفسه بما لا (يذمه)[1] الشرع . وذلك ينفي عن النفس رعونة[2] الشح ، وسموجة المقاشحة [3]. [ومن يوق شح نفسه نفسه فأولائك هم المفلحون][4]،حتى لا (يأسى)[5] على فائت،ولا يفرح بآت[6].

السابعة : الفتوة [7] ، وهي التجافي [8] عن (الخلق ، والإحسان) [9] لهم لهم ولو ببذل السلام ، وتصفية الباطن لهم على كل [حال] [10] ، وهي فوق المسالمة. وذلك ينفي عن النفس تراكم سحائب الأحقاد في سماء إخلاص القلوب ، (وتخاطم) [11] سيوف المعاتبة في [ميدان] [12] حقيقة التوحيد،و(الانفعال) [13] إلى حادثات الأسباب.

الثامنة : الشكر، وهو إفراد القلب بالثناء على المنعم الواحد الحق ، بإمحاض القصد ، وتصفية السعي من شوائب عثرات الخطرات، هذا في السراء خاصة، وأعلى من ذلك جريانه في السراء والضراء على حد سواء ، بتلمح النعم في طي النقم ، وصاحب هذا المنزل يضعف عن حمل أعبائه ، وفي منزل الصدق يستكمله . وذلك

---

1 – ج : يلزمه .

2 – الرعونة : الحمق والاسترخاء ، والأرعن هو الأهوج المسترخي (اللسان / رعن) .

3 – السموجة: القبح – المقاشحة : الميابسة . يقال : ثوب قاسح ، وقاشح ، وقشاح : يابس غليظ (القاموس / قسح – قشح) .

4 – سورة الحشر / الآية 9 – وبنفس اللفظ أيضا : سورة التغابن / آية 16 .

5 – ب ، ج ، : يأيس .

6 – من لفظ الآية 23/ من سورة الحديد : [لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم].

7 – الفتوة لغة : السخاء والكرم (اللسان/ فتا).

والآخرة"(التعريفات – ص: 171– معجم المصطلحات الصوفية ص: 134).

8 – التجافي : الميل والنفور عن الشيء . (اللسان / جفا) .

9 – ب ، د : مطالبة الخلق مع الإحسان – ج : مطالعة الخلق مع الاحسان .

10 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

11 – ب ، د : تحاطم – ج : تجاطم وخطمه يخطمه خطما أي ضرب مخطمه. والمخطم : مقدمة الأنف (اللسان / خطم) .

12 – في الأصل : ميزان .

13 – ج : الافعال .

ينفي عن النفس التناوم عن تلمح حكمة الأحكام ، والتعامي عن استبصار أسرار نظم الوجود بما لا مطمع)[1] فيه للعقل .

التاسعة : (العبودية)[2] ، وهي فوق العبادة ودون (العبودة)[3]، لأن العبادة العبادة صادرة عن علم اليقين ، سبيلها مقام الإسلام، والعبودية واردة (من)[4] عين اليقين ، (طريقها)[5] مقام الإيمان ، والعبودة آتية من حق اليقين ، منهجها مقام الإحسان . فالعبودية تكليف الباطن أحكام ما وقف عليه القلب بعين اليقين (من حقائق)[6] التوحيد . وذلك ينفي عن النفس عوارض (الشكوك)[7] وطوارق الأوهام

العاشرة : الخلق ، وهو أعلى من التخلق الخاص بمنزل الاستقامة لأن التخلق تفعل ، وهو طلب الخلق (بما لا يخلو)[8] عن كلفة وحمل مشقة ، اصله الاقتداء وسبيله العلم ، وأما الخلق ، فهو صادر عن ذوق وتحقيق بأن الخلق بأقدارهم مربوطون ، وفي طاقتهم محبوسون ، وعلى الحكم الإلهي موقوفون، وإن جميع تصاريف الخلق على اختلافها، اقتضتها حكمة نظم هذا الوجود و(ارتباطه)[9] . ومع ذلك فلا تتحرك ذرة فما فوقها ، ولا تسكن إلا بالقدرة القديمة ، والإرادة الأزلية ، والحكمة البالغة . وإذا تحكم هذا المعنى في النفس ، وقام وصفا بها ، أثمر الخلق الجميل [والحمد][10] الحسن . وذلك ينفي عن النفس وهن الشرك وشعب الإشراك .

---

1 – ب ، ج ، د : مطعن .

2 – ج : العبودة .

3 – ج : العبودية .

4 – ب : عن .

5 – ب : طريقه .

6 – ج : بحقائق .

7 – ج : السكوت .

8 – ج : وهو .

9 – ج : ارتباطها .

10 – في الأصل : وأكمل .

الحادية عشرة : المواففة[1] . ونعني بها (استعظام)[2] تصديق القلب بالغيوب بالغيوب ، سكونا إلى الأحكام . وذلك ينفي عن النفس التعلق بالأماني ، وإرسال الفكر في الآمال **|65|** .

علامـــــة

واعلم أن من (علامة) [3] هذه النتيجة ، استواء المدح والذم من العامة ، وطهارة الباطن من الأحقاد من غير كلفة ، ويعلم ذلك بالمجازاة على الإساءة بالإحسان،ونسيان الجزاء على الأعمال ، لتعلق القلب (بمن)[4] يصعد إليه العمل[5]، وتجرد الفكر عن (الالتفات)[6]لاستحلاء نظر الخلق وإطلاق الثناء،لأن المخلص مطلوب بالتزام طريق العبودية مخلصا من شوائب الآفات .

ولا أقول إن هذا خاص بتخليص النيات فقط ، بل النيات بعض العبادات الباطنة التي تفتقر إلى الإخلاص في معاملة الواحد الحق، كما أن الإخلاص لا يختص بالخلاص من مؤونة الرياء فقط ، لكن الرياء فرد من أفراده ، لكنه أعظم تلك الأفراد وأكبرها (و)[7] منها خروج القلب عن أوهام الخلق ، (إنسهم) [8] وجنهم[9]، حيهم وميتهم ، حتى لا يبقى للقلب تعلق بغير الله تعالى . و"الإخلاص سر من

---

1 – ويرى التهانوي أن الموافقة هي : " أن تعادي أعداء الحق مثل الدنيا والشيطان والنفس، وأن تحب أحباب الحق وتصادقهم، وأن تخدم أمرهم حتى تجد لك مكانا في قلوبهم" (كشاف اصطلاحات الفنون: 5/2) – وأيضا : معجم المصطلحات الصوفية . ص: 170 .

2 – ب ، ج ، د : استطعام .

3 – ب : علامة حصول – ج : : علامات حصول .

4 – ج : بما .

5 –المقصود به الحق سبحانه .

6 –د : الالتفاتات .

7 – ساقط من : ب .

8 – ج : بإنسهم .

9 –ب ، ج ، د : زيادة: وملكهم .

أسرار الله ، يخص به قلب من شاء من عباده " كما قد جاء في الخبر [1]. وقد ينتهي ينتهي الإخلاص إلى حد نسيان العمل والذهول عنه ، استغراقا في الوجهة إلى الله Y . وأعلى من هذا : الغيبة عن رؤية الإخلاص في مناجاة الله تعالى، وذلك حين يكون مخلصا لا مخلصا. فليس إخلاص أهل المشاهدات كإخلاص أهل المعاملات، هذا يتقلب في أوهاد التفرقة ، وذاك يتبختر في حلل الجمع ، وشتان ما بين الفريقين .

وصيـــــة

وينبغي للمخلص في هذا المنزل أن تكون همته الآخرة ، وهمه لله ، وأمله في الله ، وأن يقتصر على الضروري الذي لابد منه من أمر الدنيا وما يتعلق بها من (معاملات) [2] الخلق وأن يؤثر الخلوة والصمت فيما يفضل له من أوقات ليله ونهاره ونهاره عن (ضرورات)[3] معاشه ، وأن يتباعد عن أهل الدنيا ، وأن يهرب من مخالطة أهل الغفلة، وأن يتهم النفس فيما تسارع إليه ، وإن كان من أمر الآخرة ، لما جبلت عليه من الخديعة والمكر، فرب شر لبسته بخير ، وأن يدقق محاسبته إياها على النقير ، والفتيل والقطمير [4] ، وأن يجتب الأعمال الجهرية فيما لم تشرع فيه الجماعة ، وأن لا يتعدى (طور) [5] الخلق وعادتهم في الملبس والزي ونحو ذلك مما مما لا يجاوز حد الإباحة، فرب شخص خالف الكافة في بعض المباحات فاستدرجته النفس بذلك للشرك الخفي ، وأن لا يعدل عن الاستخارة في جميع أموره ، وأن يديم

---

1 – رواه القشيري بسنده عن حذيفة على أنه حديث قدسي بلفظ : " الإخلاص سر من سري استودعته قلب من أحببت من عبادي " – الرسالة ، ص : 104 . وانظر أيضا : عوارف المعارف – ص: 89 – و ص : 162 – إحياء علوم الدين : 397/4 .

2 – ج : معاملة .

3 – ج : ضرورة .

4 – النقير : النكتة في النواة كأن ذلك الموضع نقر منها ، والنقير أيضا ما نقر من الخشب والحجر ونحوهما ومنه قوله تعالى : [ولا يظلمون نقيرا] كناية عن أقل الشيء (اللسان / نقر) . والفتيل ما كان في شق النواة . وقيل : هو ما يفتل بين الأصبعين من الوسخ . ومنه قوله تعالى :[ولا يظلمون فتيلا] (اللسان/ فتل) . والقطمير : القشرة الدقيقة التي على النواة والتمر . ويقال : هي النكتة البيضاء التي في ظهر النواة، والتي منها تنبت النخلة وما أصبت منه قطميرا ، أي شيئا (اللسان / قطمر) . وهذه الاشياء كلها تضرب أمثالا للشيء التافه الحقير القليل (اللسان / فتل) .

5 – ج : ضرر .

الفكرة في عجائب الوجود لتشتد بذلك عرى توحيده: [وفي أنفسكم أفلا تبصرون] [1] ، إذ [كل][2] ما اشتمل عليه الوجود من صنوف الموجودات بما هي عليه من أفعال وصفات وذوات ، يفصح بلسان الحال ، ويترجم في كل الأحوال بصريح (وحدانية)[3] الكبير المتعال: [وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم][4]، لواحد (صنعها، ما الصنع) [5] لاثنين .وليجمع بين طهارة الباطن وطهارة الظاهر، فلكل واحدة منهما تأثير في الأخرى.وليحذر الميل لغير الله تعالى . ومهما عاجلت الطباع إلى شيء مما يقدح في حال من أحوال منزله ، ردها بزاجر الاستغفار، والحقيرمن ذلك خطير ، والصغير كبير، مانع وحاجب عن فوائد ثمرة الإخلاص .

ولا يستبد بنظره في شيء من أحواله إلا بمطالعة قدوته والعمل بإشارته[6]. كيف لا ، وشعب الإخلاص مما يخفى على الأكابر ، وتحار في تصوره البصائر، (ليكون) [7] أبدا ناظرا فيما يصلح قلبه وفيما يفسده .فليلازم [المصلحات] [8] ، وليتباعد عن المفسدات ، وليعلم أنه دخل في هذا الأمر مقدما ما بين يدي نجواه قلبه لربه [9] .وقبيح أن يجعل في قلبه شركا (لربه) [10] أو يأتي (بالهبة) [11] ناقصة ، أو يعامل الله بموهوب رديء .ومن الحكمة أن تكون المعاملة تناسب المعامَل[بها][12] فليمط الأذى عن قلبه، وليهيئه بالطهارقلربه:"لن تسعني(سمائي ولاأرضي)[13]ويسعني

---

1 - سورة الذاريات / آية : 21 .

2 - في : أ، ب: لكل .

3 - ج : وحدانيته .

4 - سورة الإسراء / الآية: 44 .

5 - ج : " صنعا ، لا الصنع " .

6 - ج : زيادة : و .

7 - ب ، ج ، د : وليكن .

8 - في الأصل : المصالحات .

9 - من لفظ الآية : 12 / من سورة المجادلة : [يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة].

10 - د : له .

11 - ج : بالنية .

12 - في : أ ، ب : به .

13 - ب ، ج ، د : ارضي ولا سمائي .

قلب عبدي المؤمن"[1].(ولا يترك أسباب) [2] معاشه بالوجه الجائز الحلال ، " فأطيب فأطيب ما (أكله)[3] المؤمن من كد يمينه "[4] ، وفي رواية : "من كسبه" إنما يترك تعلق تعلق ذلك من قلبه . ومهما تعذر |66| (عليه)[5] سبب ، انتقل إلى سبب آخر، حتى إذا تعذرت عليه جميع الأسباب ، علم أن ذلك هو المراد منه ، ليواصل الوجهة إلى الله تعالى ظاهرا كما [واصلها] [6] باطنا، وليكمل له سلوان الباطن عن (الفكر)[7] في في مضمون الرزق. ولا يحمله ما (دخل) [8] قلبه من نور التوحيد على قطع الأسباب الأسباب ثقة بالمسبب، فذلك خمار [9] من النفس واستدراج من الشيطان ، ليفسد عليه عليه مشرب الإخلاص ، وفي [بقاء] [10] ظاهره على أسبابه ، تشحير وتخليص لما يدعيه من التوحيد ، فمن تطهر باطنه من أدران أوهام الأسباب مع وجودها ، خير ممن تطهر باطنه من أدران أوهامها مع عدمها .

وليعلم أنه أخذ في السفر إلى ربه ، فليعد الزاد ، وليحسن الاستعداد، فالقلب مركبه ، والذكر زاده ، والفكر ريحه ، والجوارح آلته، والمجاهدة بحره ، والإخلاص سلعته ، والله بغيته ، والهدى نوؤه ، والصبر مرساه، ومهما تعطل السير ، بعد المرمى .

فلا يرفع عن نفسه عصا التأديب ، ولا يمهلها في الرياضة ، ولا يسامحها في المجاهدة ، ولا يقبل منها خدع التأويل ومكر التسويل ، حتى يطمئن قلبه بالله ، ويحصل على أمله من رضاه .

---

1 – حديث قدسي . أورده في الإحياء : 3 / 16

2 – ج : وليتحرك لأسباب .

3 – ج ، د : أكل .

4 – رواه أحمد في المسند من حديث عائشة . ح : 24025 – وح : 24141 – ح : 25599 – وابن ماجة في السنن.ح:2137 – والدارمي في السنن : 247/2.وأورده السهروردي في عوارف المعارف.ص:131.

5 – د : عنه .

6 – في الأصل : أوصلها .

7 – ب ، ج ، د : الفكرة .

8 – ب ، ج : داخل .

9 – الخمار : بقية السكر. والخمار : ما أصاب المرء من ألم الخمر وصداعها (اللسان / خمر)
واصطلاحا: "احتجاب المحبوب بحجب العزة، وظهور حجب الكثرة على وجه الوحدة. وهذا مقام تلوين السالك"(كشاف اصطلاحات الفنون:193/2)–وأيضا:معجم المصطلحات الصوفية.ص:82.

10 – في : أ ، ب ، ج : بقايا .

ولا يذهل عن حال جريان الذكر (بين اللسان)[1] والقلب، فكلما تروح القلب إلى ما كان عليه قبل هذا في المنازل الفارطة من (متابعة)[2] اللسان ، أشار عليه بسوط الإخلاص، ورده إلى مورد الاختصاص ، حتى يكون اللسان هو الذي يتبع القلب في الذكر، وبالمواظبة على هذا المهيع ، يصير ذكر القلب هو الغالب .

ولا يفارق الجد والحزم والمجاهدة على مكروهات النفس ، فليس هذا الأمر الذي دخل فيه بالسهل الهين ، ناهيك (من أمر)[3] يزري بحالة الموت، لكن وراءه الملك الدائم والعز المسرمد [عز الهدى][4]، ولذلك عز (المطلب)[5] .ولا يفارق يفارق العلم الذي به يقوم طريقه،ويسهل سلوكه.وحذار حذار من التسامح في المتشابه فضلا عن الحرام،والترخص في المباحات فضلا عن المكروهات.

والصمت والخلوة والذكر والجوع (أرفع)[6] دعائم النفوذ والوصول فليصمت إلا عن الحق ، وليخل إلا عن [جماعة][7] الدين ، وليذكر متصلا على كل حال ، وليجع إلا عن مقدار ما يقوم به الأود ويقيم الظهر .

ولا سبيل له إلى الوصال في الصوم ، فذلك منهي عنه . (وليقلل)[8] من الغذاء (على سبيل التدريج الذي لا يخل ، لئلا يسرع بالجسم إلى الهلاك ، فيقع في (الحظر)[9] ولا باس أن ينقص من عادته التي كان عليها في منزل التقوى (في)[10] الأكل قليلا،بحيث لا تشعر به الطباع فتتأثر،وإن الله يحب الرفق في الأمر كله.ثم لا يزال كذلك في[كل][11]منزل حتى يصل إلى منزل المشاهدة بأقل مايمكن.

---

1 – ساقط من : ج .

2 – ج ، د : متابعته .

3 – ب : بأمر .

4 – في : أ ، د : عن الهوى – ب : عز الهوى .

5 – د : المطلوب .

6 – د : اربع .

7 – في : أ : جماعات .

8 –ب ، ج ، د : وليكن تقلله .

9 – ساقط برمته من : ج .

10 – ب : من .

11 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

وللقوم في هذا ترتيبات ومقادير (ينبغي) [1] أن لا يركن السالك إلى شيء منها ولا يعول على حال غيره ، لأن الأمزجة تختلف ، فرب مزاج يصلحه الصوم، ورب مزاج يصلحه الإفطار، ورب كثير من الغذاء (لسالك)[2] (يكون) [3] قليلا في حق غيره . والمرجع في تقدير الأكل والشرب ، والصوم والإفطار ، وغير ذلك إلى نظر القدوة، إذ لكل شخص اختصاص في ذلك بحال دون غيره .

وقد أدركت (ناسا) [4] ممن تعلق بهذا الطريق، واستبد في أكله بنظره ورأيه ، متابعا [شره] [5] نفسه ، حتى أنه [بلغ] [6] يوما مبلغ الهلكة ، حتى سوي إلى القبلة ، ، وحضره الموت من كثرة ما أكل ، فبقي على ذلك حتى فرج الله عنه فعاش، (ولو) [7] مات لم يأمن وعيد الله Y لمن قتل نفسه[8]، وأدركت آخرين في الطرف الآخر ممن ممن استبد في صومه إلى نظر نفسه ، وعمل في جوعه بشره هواها ، حتى بلغ مبلغ الهلاك، ففقد عقله، حتى (جعل ينظر) [9] للمحرمات ويلقي بنفسه إلى (التهلكة)[10]، فبقي على ذلك حتى فرج الله عنه فعاش، ولو مات لم يأمن [11] عقاب الله المعد لقاتل نفسه.ولذلك وأشباهه جعل السالك الموفق زمام نفسه بيد قدوته ليجري (بها)[12] على سبيل العدل ، ولم (يكل) [13]ذلك لنظر نفسه ، لئلا يوقعه **|67|** شره هواها في المهالك، فينقطع (به) [14].وهذه الترتيبات التي أوردتها في أخريات المنازل ، ليست

---

1 – ب ، ج : فينبغي .

2 – ج: للسالك .

3 – د : تكون .

4 –ساقط من : ج .

5 –في الأصل : سر .

6 –كذا في : ب – وفي : أ : ليبلغ – ج : أبلغ – د : لبلغ (كذا) .

7 – د : فلو .

8 – إشارة إلى ما جاء في الآية : 29/ من سورة : النساء : ...[ولا تقتلوا أنفسكم ، إن الله كان بكم رحيما]

9 – ب ، د : جعل يتعرض – ج : رجع يتعرض .

10 – ج ، د : التهلكات .

11 – د : زيادة : من .

12 – د : به .

13 – ب : يكن .

14 – ج : منه .

على معنى الحصر لما يلزم كل ذي منزل، إنما ذلك إشارة لبعض (المهم)[1]الوكيد[2] من (وصاياه)[3] النافعة له [4] ، الخاصة به وبنور منزله ، يهتدي إلى سائرها فيعمل بها، لأن استقصاء جميع ما يختص بكل ذي منزل ، يؤدي إلى التطويل ، وربما لم يحصل به الحصر لاختلاف الأحوال وتباين الواردات.وبمطالعة القدوة (فيما)[5] جل أو قل يبلغ إلى المقصود ، وينال المرغوب ، ويظفر بالمطلوب . وبالله سبحانه التوفيق .

المنزل الثانـي من مقام الإيمـان

اعلم جعلني الله وإياك ممن صدق الله في معاملته ، فظفر بأوفر حظ من عنايته، أن الصدق هو تمكين الإيمان وثاني منازله. قال الله Y [إنما المومنون الذين أمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم، وأنفسهم في سبيل الله أولائك هم الصادقون] [6] ، وقال النبي ρ : " إن المومن ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا "[7] .

وليس المراد بالصدق هنا ما (يعرفه) [8] العامة من صدق اللسان خاصة ، إنما المراد به قيام معنى الصدق بالنفس ، الذي (يكون عنه)[9] العدل . و(للعدل) [10] [10] أفراد فروع ، واحدها ، صدق اللسان ، فالصدق المشار إليه هنا هو صدق الباطن بتصفية مشرب التوحيد في معاملة الواحد الحق، ويقال لصاحبه في أول هذا المنزل صادق ، وفي آخره صديق .

---

1 – ج : العارفين (كذا) .

2 – ب : زيادة : المؤكد .

3 – ج : وصاياهم .

4 – ج : زيادة : التابعة له .

5 –ج : لما .

6 – سورة الحجرات / الآية : 15 .

7 – أخرجه مسلم: ح: 104/ (2607) – وأحمد من حديث أبي الأحوص به . ح : 3726 – وح : 3895 – والترمذي من حديث ابن مسعود به . ح : 2038 .

8 – د : تعرفه .

9 – ب : عنه يكون .

10 – ب : العدل .

وحالة الصدق تنشأ عن كمال الإخلاص ، وبينهما [فرق] [1] ، وهو أن الإخلاص يختص بنفي صفات الإشراك،والصدق يختص بنفسي صفات النفاق ، ومعناهما متقارب . قال بعض العارفين : " الصدق عماد طريق السالكين ، وباب حضرة العارفين " . قال وإن كان الإخلاص عبارة عن تصحيح عقد التوحيد (بالتنزيه) [2] عن دناءة الشرك ، فالصدق له بمنزلة (التشحير) [3] للذهب ، ينفي عنه عوارض النفاق ، ويصفيه من كدرات الأوهام " .وذلك أن الإخلاص لا يخلو (عن) [4] مداهنة (للنفس) [5] ومسامحة للهوى ، والصدق يذهب [المداهنات] [6] ويدفع المسامحات، إذ لا يشم رائحة الصدق من داهن نفسه أو غيره فيما دق أو جل [7] .

ولا يكمل للصادق صدقه حتى يكون بحيث يموت ولا يستحيي من سره لو كشف

عنه [8] ، وإلى هذا أشار بعضهم بقوله : " الصدق صحة التوحيد مع القصد "[9] . وقيل " لأن يبيت ليلة يعامل الله تعالى بالصدق خير من ان يضرب بسيفه في سبيل الله" [10] .

فالصدق من (أسنى) [11] أحوال السالكين ، وأنفعها في الخلاص من عوارض التوحيد . وهو عبارة عن صفاء (في) [12] معاملة الله Y ، من امتزاج

---

1 – في : أ ، د : فريق .
2 – ب ، ج ، د : بالتنزه .
3 – ب ، د : الشحيرة – ج : التشحيرة .
4 – د : من .
5 – ج : النفس .
6 – في : أ : المداهنة .
7 –النص بلفظه (من لا يشم . إلى : جل) من الرسالة القشيرية منسوبا إلى سهل التستري.ص :106
8 – النص بلفظه (من : لا يكمل إلى : كشف عنه) من الرسالة القشيرية ، منسوبا إلى ابي سعيد القرشي . ص : 106.
9 –بلفظه في الرسالة القشيرية منسوبا إلى الواسطي . ص : 106 . وفي اللمع . ص : 288 .
10 –بلفظه في الرسالة القشيرية ، منسوبا إلى يوسف بن أسباط . ص : 107 .
11 – ج : أهباء (كذا) .
12 – ساقط من : ج ، د .

الخواطر الجلية والخفية . يقال : هذا صادق الحلاوة ، وهذا صادق الحموضة ، إذا صفا طعم كل واحد منهما من شوب [1] ، وبلغ الغاية [2] . وبالله التوفيق .

فصل

وللصدق في هذا المنزل شروط وآداب :

أما شروطه فاربعة :

الأول : طرح العلائق القادحة في سبيل الصدق،خروجا عن الشواغل القاطعة عن الوفاء ، بإمحالض تصفية مشرب التوحيد ، من غير ترخص ولا تأويل ، لأن الصدق أول صفقة يعقدها السالك مع الله Y في بيع نفسه منه. ولا (تحتمل)[3] صفقة صفقة البيع من الله بخسا ولا فسادا ، ولا يحمل فيها التواني والتثبط [4] و[الارتياب][5]،لأن ذلك ينافي صدق العزم ، وينافر صحة القصد ، ويذهب بشعاع مبادي أنوار اليقين ، فما يعرض من الشواغل ، أو يصد من القواطع – وإن كان مزخرفا (ببهرجة)[6]– الجواز الملائم للطباع، فتلك بلية تذهب [بوميض] [7] أنوار العزمات، وتشج [8] جبين [8] صحة القصد ، وتجر إلى ركيك متابعة الهوى ، وينبغي لمن باع نفسه من الله Y وجاهد في [9] الله حق جهاده [10] أن يشد عرى عزائمه (بلزوم)[11] ما لايلزم،

---

1 – الشوب : الخلط . وشاب الشيء شوبا : خلطه (اللسان / شوب) .

2 – ب ، ج ، د : زيادة : في نوعه .

3 – ج ، د : تحمل .

4 – التثبط : الانشغال والتثاقل (اللسان / ثبط) .

5 – في : أ، ج، د : الارتياء .

6 – ج : بين هرجة .

7 – في : أ ، د : بوبيض (كذا) .

8 – الشجة : الجرح يكون في الرأس والوجه ، فلا يكون في غيرهما (اللسان / شجج) ، وهنا كناية بمعنى : تقدح ، وتشين .

9 – ب ، د : زيادة : سبيل .

10 –إشارة إلى الآية : 78 / من سورة الحج : [وجاهدوا في الله حق جهاده] .

11 – ج : فلزوم .

ذريعة لما يلزم ، ويتجافى عن ما ينقص صفقته الرابحة من شعب الأهوية و(شعب) الأوهام .[1]

الثاني : إسقاط حظوظ النفس في الوجهة إلى الله تعالى بإخماد نار (الأهوية)[2]، وانقشاع سراب الآمال ، ركونا إلى نور الصدق، وتعويلا على ثلج

اليقين ، ووقوفا مع الواحد **|68|**الحق من غير كسر لميزان الشرع ، ولا عدول عن سبيل العدل،ولا خرق لحجاب الأدب،ولا إصغاء لحديث النفس.

الثالث : تصحيح العزم ، بإمحاض القصد في معاملة الرب ، وسداد السعي بموافقة القلب ، حتى يجتمع القصد والسعي على منهاج مقتضى التوحيد، ويتوارد الظاهر والباطن على سواء السبيل ، وفاء بصحة العزم من غير ارتياب ولا التواء، ولا رجوع إلى ما رقي عنه حسا ولا معنى، فإن الصدق لا يستقيم إلا على حرف واحد مشدود الأزر [برضى الله تعالى] [3] في الأعمال والأحوال والأوقات . وهي حالة من أحوال (الصدق) [4] أرق من الشعرة وأحد من السيف ، لكنها (توصل) [5] إلى منزل منزل الطمأنينة، إذ بضاعة مشرب الصدق تبلغ إلى لذيذ مشرب الطمأنينة، والشهد لا يدرك إلا بعد لسع النحل .

ولصعوبة أمر الصدق ، وقف عنده أكثر [السالكين] [6] ، فلم يتمكنوا فيه ، فضلا عن أن يجاوزوه ، لضعفهم عن القيام بوظائفه ، لأنه عند نهايته يشير إلى توحيد الصفات الذي [تحيرت] [7] فيه ألباب الأكياس ، ودهشت عنده صافيات الأذهان .

---

1 –د : شغب .

2 – د : الأوهام .

3 – في الأصل : فيرضى (كذا) .

4 – ب ، ج ، د : العدل .

5 – ج : ترحل .

6 – في الاصل : الصادقين .

7 – في الأصل : تحير .

الرابع : ملازمة الكتمان ، غيرة [1]على أسرار الرحمان، واحتياطا لمداخلة الأوهام، فإن الصدق لله تعالى عمدته ترك الفضول بشخوص [2] بصر البصيرة في مطلع سر التوحيد . ولا شك أن هذا شاغل عن القيل والقال .

و أما آدابه فأربعة :

الأول: حفظ الوقت من الخواطر، وتصفية القلب باتحاد الضمائر، وتعلقه (بعالم السرائر) [3]

الثاني : تلمح الحكم من مختلفات الوجود عاقله وبهيمه ، وناطقه وصامته، في طرفي السراء والضراء ، باسترواح [4] هبوب الأسرار من جنبات مختلفات الموجودات ، تعاميا عن كل هوى، وتصامما عن كل شاغل .

[الثالث] [5]: اتهام النفس مع وفائها في توفية حقوق الخلق من الذرة إلى الفيل، وما فوقهما من إنس وجن وملك ، وناطق وصامت ، وهي حقوق جاوزت حد [العد] [6]، واربت على الحصر، و(بنور)[7] الصدق [8] يهتدى إلى أصولها وفروعها بملاحظة حق الله في ذلك ، وحفظ الأحوال وخلاص الأعمال.

الرابع: ترك الاجتهاد بالتأويل،(حفظا لرسوم القوم من التغيير والتبديل)[9]. فهو وإن كان له نظر من وجه ما ، فنظره مقصور،وعمله محجور وعقله مبتور. وبالله التوفيق.

---

1 – يقسم الغزالي الغيرة عند الصوفية إلى ثلاثة: " غيرة في الحق، وغيرة على الحق، وغيرة من الحق. فالغيرة في الحق برؤية الفواحش والمناهي، والغيرة على الحق هي كتمان السرائر، والغيرة من الحق ضنة على أوليائه " (الإملاء في إشكالات الإحياء . ص: 19.) وأيضا: معجم المصطلحات الصوفية . ص: 133.

2 –الشخوص : الارتفاع . (اللسان / شخص) .

3 – في الأصل : بعالم الأسرار – وفي: ب: بعلم السرائر.

4 –الاسترواح : التشمم والاسترواح : الاطمئنان (اللسان / روح) .

5 –في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

6 – في الاصل : الحد .

7 – ج : فنون .

8 – ج : زيادة : و .

9 – ساقط برمته من : ج .

ذكـــــــر

اعلم أن الذكر الخاص بهذا المنزل هو التنزيه . فقد علمت (بأن)[1] المراد بالصدق [هنا][2] هو تصفية مشرب توحيد الأفعال ، حتى يبلغ غايته ، وتصفيته تكون بطرد الأوهام ونفي العلل والأسقام ، لأن توحيد الصفات لا يدرك إلا بعد حصول كمال توحيد الأفعال . وإن كان توحيد الصفات دون توحيد الذات ، فأمره عظيم وخطبه جسيم ، ومرقاه رفيع ، وستأتي الإشارة [إليه][3] في موضعه إن شاء الله الله .

فإن قلت : وهل يبقي النفي والإثبات المستفادان من معنى التهليل نقصا في توحيد الافعال حتى[4] يحتاج إلى تكميله بالتنزيه ؟

فالجواب أن مطلق النفي والإثبات ، وإن كان مقتضيا من حيث العموم (بتنزيه)[5] الله تعالى عما لا يليق به ، فقد يبقى مع ذلك من الأوهام ما لا يذهب به إلا إلا خصوص مقتضى التنزيه،[لأنه][6] الذكر الذي يتضمنه صريحا بوجوب ما يجب لله ، وجواز ما يجوز عليه ، وإحالة ما يستحيل عليه ، وهذه أحكام يفيدها ذكر التسبيح ، خصوصا وإن كانت مندرجة تحت عموم كلمة التهليل . ومع ذلك،فقد تذهل الفكرة بما تقتضيه الطباع البشرية عن استصحاب معنى الأفعال الأحدية ميلا إلى المألوف البشري. ولا شك أن ذلك (ينفي)[7] أوهاما تكدر مشرب توحيد الأفعال ، فلا فلا يخلص من ذلك إلا ما اقتضاه ذكر التسبيح من تنزيه الله (تعالى)[8] عما لا يليق به ، حتى يبرز إلى الفعل ما كان حاصلا بالقوة ، وحتى تثبت رسوم توحيد الأفعال في النفس ، وترسخ فيها خالصة من الكدرات ، صافية (من الأوهام)[9] ،]

---

1 - ب ، ج ، د : أن .

2 - في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

3 - زيادة في: ج، د – ساقطة من أ، ب.

4 - ج : زيادة : لا .

5 - د : تنزيه .

6 - في الأصل : لأن .

7 - ب ، د : يبقى .

8 - ب ، ج ، د : عز وجل .

9 - ساقط من : ج .

[صادقة] [1] في الاتصاف بمقتضاها ، قال بعضهم :"التنزيه [توحيد] [2] خاص يسلط على تصحيح التوحيد العام".

ومعنى الخصوص هنا والعموم راجع إلى ما يقتضيه النفي لا إلى ما يقتضيه الإثبات، لأن |69| المثبت واحد والمنفي أعداد . فظهر أن منزل الإخلاص يختص برسوخ قواعد توحيد الأفعال في النفس ، وأن منزل الصدق يختص بتصفية مشرب ذلك التوحيد من كدرات الأوهام ، ويطرد سحائب الآفات .

وإذا تأملت موارد ذكر التنزيه من (الكتاب) [3] والسنة وجدتها تشير إلى هذا المعنى، [فليلازم] [4] صاحب هذا المنزل [ذكر التنزيه] [5] حتى يثمر فيه الاتصاف الاتصاف بمقتضاه . وقد تختلف أحوال أهل هذا المنزل ، فمنهم من يذكر التنزيه مركبا مع ذكر التهليل ، وهم الذين بقيت عليهم من منزل الإخلاص بقية – على مذهب من يرى استنهاض السالك لمنزل وقد بقي عليه شيء من المنزل الذي قبله– ،وهو مذهب مرجوح ، لأنه خارج عن [الحزم] [6] ، وقد يذكر التهليل منفردا والتنزيه منفردا ، من كل ذكر عددا يقتضيه حاله . ولا يكون هذا إلا مع الضعف عن درك حقيقة (الذكر) [7] في (وصلهما) [8] .

ومنهم من يذكر التنزيه من غير تركيب بغيره .والذي درج عليه أهل هذا الطريق تركيبه بذكر التصلية لمعنى ، وهو توسل بالنبي ρ في فتح أبواب غوامض الصدق . وأكثر ما يستعملونه في ذلك : سبحان الله العظيم وبحمده ، اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله ، وليس في ذلك حصر ولا حد ، لأن أحوال السالكين تختلف ، وعللهم تتنوع، فقد يركب لهم التنزيه على اسم من أسماء الله تعالى ، (أو) [9] صفة

---

1 – في الأصل : سقطت بفعل التآكل .

2 – في الاصل : سقطت بفعل التآكل .

3 – ب : الكتب .

4 – في : الاصل : فيلازم .

5 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

6 – في الاصل : الجزم .

7 –د : الذكرين .

8 – ج : وصلها .

9 – ج : و .

من صفاته مما يقتضي نفي ما يعرض له من العلل ، و(طرد) [1] ما يعتريه من الأوهام .

وهذا [موكول] [2] (إلى نظر)[3] القدوة ، فلا مطمع في الكشف عن جزئيات ذلك لتعذر الإحاطة به . سمعت أبي τ يقول:"إياك وترك الدليل في كل مقام"، يريد بذلك صلة ذكر النبي ρ بذكر الله تعالى ، فقلت له :"وبالذكر المفرد؟" فقال لي :"نعم وبالذكر المفرد، ولم يزل شيخي أبو القاسم المريدτ يحض على هذا ويقول : هو مذهب شيوخ هذا الطريق". ثم قال لي والدي :"وهل تتحفظ الرسوم الشرعية عند ورود الاستغراق في أسرار التحقيق إلا بذكر النبيρ . مع ما في ذلك من تيسير الفتح وتسهيل الارتقاء، (فبالشفعاء تدرك)[4] الآمال وتقضى الحاجات". وهذه نكتة لم أر من تعرض إليها من أهل هذا الشأن ، ولا أدري (أذاك)[5]منهم كتمان على سبيل الصيانة لهذه الحكمة النفيسة، [أم جهل][6] بها فجزى الله أبي خيرا ، فلقد أرشد وبين وأوضح .

فليفاتح صاحب هذا المنزل ورده بشيء من الاستغفار ولو بسبعين مرة ، بكيفية تقتضي طرد الأوهام ونفي الأغيار ، ، ثم ليدرج إثر ذلك صلاة على النبيρ، عددا أقله خمسمائة [7] بكيفية تقتضي ذلك . ثم ليدخل لذكر التنزيه ، وليلتزم منه عددا يوظفه عليه قدوته ، بحسب حاله وقوته ومزاجه، ولا يغفل عن الاستعاذة والبسملة في الافتتاح ، والحمد والشكر في الاختتام .

وزبدة هذا المنزل الاقتحام على مواصلة الذكر وعمارة القلب [به][8] في كل الأزمان، متصلا مع جميع الأحوال .وهو وإن استعمل لزومه محفوظا بشروط الذكر

---

1 – ج : فرط .

2 – في الأصل : موكل .

3 – ج : لنظر .

4 – ج : فبذكره يدرك .

5 – ج : هل ذاك – د : أذلك .

6 – في الاصل : أوجهلا – د : أو جهل .

7 – د : زيادة مرة .

8 – زيادة في : ب ، ج – ساقطة من : أ ، د .

وآدابه ، فليواصل الذكر في سائر (أوقاته) [1] ، ليله ونهاره . ولا (يحصل) [2] هذا إلا بالمواظبة والإدمان على تلمح معنى الذكر (بالباطن)[3] مع الأنفاس ديدنا وعادة ، سواء كان ظاهره متلبسا بعمل من أعمال ضروراته أو غير ملتبس .

وليكن هجيراه ذكر التنزيه ، إلا إن كانت عليه بقية من منزل الإخلاص بالتهليل ، أو كان قد استنهض ونفذ بذكر [4] منزل الطمأنينة حسبما وقع التنبيه عليه فيما مضى.ولا يزال كذلك حتى [تظهر] [5] عليه شواهد قطع منزل الصدق ، وتلوح عليه [علاماته] [6] وتهب من جنبات أحواله روائح ثمراته والناس في النفوذ والفتح مختلفون،فمن بطيء ومن سريع بحسب الفتح الإلهي ، بالهداية إلى محو العلل والإبلاغ في الخلاص منها.فطوبى للأكياس النجباء[7].

حدثني أبي τ قال : جئت الشيخ أبا القاسم يوما ، فقصصت عليه من أمري ما أوجب|70|نقلتي من الذكر الذي كنت فيه إلى ذكر آخر على سبيل الارتقاء،[قال] [8]: فقمت (من)[9] بين يديه منصرفا إلى منزلي ، ذاكرا ذلك الذكر الذي أعطاني بناء على مقصده [الخاص] [10] به ، فما وصلت [من] [11] رابطته إلى (منظرة) [12] باب الخوخة [1] ، وبينهما نحو مائة باع ، حتى ظهر لي من جنبات

---

1 – ب ، د : أوقات .

2 – ج : يحمد .

3 – ب: في الباطن .

4 ب : زيادة : من .

5 – في : أ ، ب : يظهر .

6 – في : أ ، د : علامة .

7 –يقول القاشاني: " النجباء هم الأربعون القائمون بإصلاح أمور الناس وحمل أثقالهم ، المتصرفون في حقوق الخلق لا غير." (اصطلاحات الصوفية. ص : 94) – وأيضا: معجم المصطلحات الصوفية. ص: =

=172. لكن يبدو أن الساحلي لا يقصد المعنى الاصطلاحي المذكور وإنما المعنى اللغوي أي : الفضلاء. من نجب ينجب نجابة. (اللسان/ نجب).

8 – في الأصل : فقال .

9 – ساقط من : د .

10 – في الأصل : الخلاص .

11 – في الأصل : إلى .

12 – ب ، ج ، د : قنطرة .

ذكري ما أوجب رجوعي من فوري إلى الشيخ لأخبره به ، فرجعت إليه وأخبرته بما ظهر لي . فقال لي : هنيئا لك ياولدي ، فقد فتح الله عليك في هذا الذكر بشيء لم يفتح به لغيرك ممن له في هذا الذكر عشرون سنة (وأكثر) [2] . قال : فما برحت من (عند)[3] الشيخ حتى رقاني إلى ذكر ثالث. وينبغي للسالك أن لا يسأم من طول مقامه في الذكر الواحد ، فالسالك بخير على كل حال .

حدثني أبي τ قال :"كان بعض أصحابنا ربما (أبطأ) [4] به حاله فبقي (على) [5] ذكر [6] زمانا طويلا . فقال يوما للشيخ أبي القاسم : ياسيدي ، كم أبقى في هذا الذكر ؟ فقال له الشيخ : عمرك ، حتى (توفي)[7] ما عليك من وظائفه . ثم قال له:وما الذي (يقلقك) [8] من الدوام على ذكرك ، وهل أنت إلا من الذاكرين الله الذين امتدحهم بذكره؟والفتح إنما هو بيد الفتاح العليم".

فالمقصود إنما هو (إخلاص) [9] كل منزل ، تزكيةً وتحليةً . وهل الأذكار إلا أدوية لعلل النفس ، تخلص من أمراضها؟فحسبُ السالك الاجتهاد في اعتدال العلاج،بحفظ الأعمال،وشدة المحاسبة مع الأنفاس.وبالله التوفيق .

مقصـــــد

اعلم أن مقصد التنزيه في هذا المنزل هو القطب الذي عليه مداره وإليه تنجذب أسراره، فليبدأ أولا بالدخول إلى ذكر الاستغفار، بالاستعاذة قاصدا التلاوة ،

---

1 –باب الخوخة " واحد من الأبواب الخمسة بمالقة . وهو الباب الجوفي، ويعرف كذلك بباب الخوجة (الروض المعطار – ص : 518) . وهو اسم أطلق كذلك على عدد من الأبواب باشبونة وتلمسان وغيرها . الروض المعطار . ص : 61 – 135 .و أيضا : الموسوعة المغربية . 184/4 .

2 – د : فأكثر .

3 – ساقط من : ج ، د .

4 – ب : أبطأه .

5 – ج،د : في .

6 – ب : زيادة : واحد .

7 – ب : تفي .

8 – ج : يقلك .

9 – ب ، ج ، د : خلاص .

ثم ليتل (عليه)[1] قوله تعالى : [فسبح بحمد ربك واستغفره] [2]، فليورد هذا الخطاب الخطاب على نفسه ، ثم ليجب عنه ب: "لبيك ربي وسعديك ، والخير في يديك، والعبد راكن إليك، في محو أثامه، ونفي أوهامه، يعاهدك على صدق المتاب، ويطلب منك الإعانة يا وهاب ، ويقول متعلقا بالصدق ، (متمسكا)[3] بالحق : اللهم إني أستغفرك يامولاي وأتوب إليك من جميع الهفوات والخطرات ، ومن جميع السيئات والغفلات"، أو غير ذلك من كيفيات الاستغفار التي يقتضيها حاله ، وليمض على ذلك إلى تمام عدده . ثم ليدخل إلى ذكر التصلية ، فليتعوذ قاصدا التلاوة ، ثم ليتل قوله تعالى:[إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين أمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما] [4]،

فليورد هذا الخطاب على نفسه (وليجب)[5] عنه ب: "لبيك ربي وسعديك، والخير[6] في يديك والعبد متعلق بالنبي الصادق ، متوسل به في درك الحقائق يقول معظما لجنابه ، متعلقا بركابه: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد ، صلاة تدخلني بها (في)[7] زمر الصادقين ، وتفتح لي بها باب الفائزين ، وسلم تسليما"، إلى غير ذلك من كيفيات التصلية التي يقتضيها حاله ، وليمض على ذلك إلى تمام عدده ، ثم ليدخل إلى ذكر التنزيه ، فليتعوذ قاصدا التلاوة، ثم ليتل قوله تعالى : [سبح اسم ربك الأعلى] [8]. فليورد هذا الخطاب على نفسه، ثم ليجب عنه ب: "لبيك ربي وسعديك، والخير في يديك، والعبد (ينزهك)[9] صدقا ، ويوحدك حقا ، ويقول بإمدادك، بإمدادك، وبما وهبته من إسعادك : سبحان الله العظيم وبحمده ، و(صلوات الله)[10]

---

1 - ساقط من : ب ، د .

2 - سورة النصر / الآية 3 .

3 - د : مستمسكا .

4 - سورة الأحزاب / الآية 56 .

5 - ب ، د : فليجب – ج : ثم ليجب .

6 - ج : زيادة : كله .

7 - ساقط من : ب .

8 - سورة الأعلى / الآية 1 .

9 - ج : يرجوك .

10 - د : صلواته .

وسلامه على رسوله وعبده ، وعلى آله"، أو غير ذلك من كيفيات التنزيه [1] التي يقتضيها حاله، وليمض على ذلك إلى تمام عدده .

وقد تقدم لنا أن إعادة المقصد في أول كل دور من أدوار (السبحة) [2] أولى . فإن اقتصر على مرة في أول عدد لزومه ، فلا بأس بذلك .وإذا تمكن صاحب هذا المنزل وأشرف على (تخليصه) [3] ، فلا بأس أن يركب له مقصده على معنى يشير إلى جنبة الجمع ، ليستيقظ وسنان[4] باطنه ، فيظهر له شرف مقتضى الجمع ، فيرغب فيه ويتضح له دناءة معنى التفرقة ، فيرغب عنها. فهو وإن كان بحيث يضعف عن حمل أعباء الإشارة إلى الجمع، فليمزج له بما يبقي عليه أثرا من التفرقة ، وذلك أن حال الجمع حال جليل الخطر، عظيم القدر **|71|** (معدنه)[5] منزل المشاهدة .

فإن لم يرتض [6] السالك له قبل وروده عليه ، وإلا ربما اعتاص [7] عليه مدركه مدركه وتعذر عليه مناله ، وأعدل المنازل في تربصه لذلك منزل الطمأنينة ، واقواها تاثيرا في ذلك منزل المراقبة ، وأولاها بذلك منزل المشاهدة . فإن قلت: و[بم] [8] تكون تكون الإشارة في المقصد إلى جنبة الجمع؟ فالجواب : أن من سلف من مشايخ هذا الطريق ، كان لا يزيد في مقصد التوحيد ، مهللا أو منزها أو مفردا، على قوله: "لله أذكر وبه أستعين"، شيئا ، فإذا أرادوا الإشارة (بذلك إلى جنبة) [9] الجمع قالوا :" بالله أذكر وبه أستعين"، فعوضوا من لام الخفض (باءه) [10].وقد تقدم لنا أن ذلك

---

1 – ج : زيادة : الاذكار (كذا) .

2 – ب : سبحته .

3 – ج ، تحصيله .

4 –الوسنان : النائم الذي ليس بمستغرف في نومه . والوسن : أول النوم (اللسان / وسن) .

5 – ج : مضمونه (كذا) .

6 – راض الدابة يروضها روضا ورياضة ، وطأها وذللها وعلمها السير (اللسان / روض) .

7 – اعتاص الأمر : التوى وتشدد (اللسان / عوص) .

8 – في : أ : لم – ج : ربما .

9 – ب : إلى جنبة بذلك .

10 – ج : باء .

[وإن كان][1] يقتضي المعنى المراد في كل الأحوال،(فرد) [2] جميع الأحوال إلى معناه معناه (ربما)[3] عسر على بعض السالكين ،لأن (إنفاق) [4] المعاني الكثيرة من اللفظ الواحد يحتاج إلى قوة تصور واعتدال فطنة . ولذلك ظهر لوالدي τ أن يقرب لكل واحد من السالكين ما يخصه من (معنى) [5] المقصد بلفظ يدل عليه بسهولة ، كتنويع كيفيات الأذكار ، وتركيب الألفاظ على المعاني بحسب الأحوال،من الحكم التي قل اليوم من يحكمها ،لأنهاتستمد من بحار المعرفة التي مثالها الكبريت الأحمر[6]،يُسمع به ولا يُرى. فحسب السالك ، أن يتلقى من قدوته قسطه الخاص به من الاقوال والأعمال ، ويشد (يده) [7] عليه ، (ويستثمر)[8] ثمرة مقصده بالتدبر بالتدبر والتفكر . فإن أغمي عليه وأغلق دونه ، فذلك عن شيء من علل نفسه التي كسبتها (يده)[9] ، واقتضاها [هواه][10] . وعلل النفس منها ما يخفى إلا على أهل البصائر المنشرحة صدورهم [11] بصرف هممهم إلى معاملة الحي القيوم جدا وحزما. واعلم أن أسرار الأذكار خلف أستار الأفكار (مفتاحها) [12] المقصد. والله هو الفتاح العليم [13] .

---

1 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

2 – ج : فيرد .

3 – ج : وربما .

4 – ب ، ج : اتفاق .

5 – ب ، ج ، د : معاني .

6 – الكبريت الأحمر لغة : من الجوهر، ومعدنه خلف بلاد التبت ، وادي النمل الذي مر به سليمان عليه السلام (اللسان / كبرت) ويطلق هذا التعبير كناية عن ندرة الشيء ورفعة شأنه .

7 –د : يديه .

8 – ب : وليستثمر .

9 – د : يداه .

10 – في الاصل : هواها .

11 – لإشارة إلى الآية 22/ من سورة الزمر: [أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ..]

12 – ج : مفاتحها .

13 – ب ، ج : زيادة : وبه التوفيق .

ثـمـــــرة

اعلم أن ثمرة مقصد التنزيه في هذا المنزل ، هي رؤية جميع الواردات والكائنات كمالا وجمالا ، بنفي التلوين ، وطرد الأوهام ، والخروج عن الاضطراب ، سكونا إلى الواحد الصمد ، وعدولا عن جميع الأغيار[1]، مهما طمح بصر البصيرة إلى إلى نظر بترجيح هوى ، فنظره معلول مخدوع ، لأن القلب إذا (داخله) [2] الصدق الثابت الراسخ الصحيح ، لا تزحزحه الأوهام،ولا تطرقه الأغيار ، ولا تعتريه الإشكالات ، كيف وصاحب ذكر التنزيه يروم الحلول بساحة الاستراحة حين يرمي عن ظهره أعباء الأوهام ، فجميع الواردات عنده سواء ، ولا فرق عنده بين حالة الموت ، وحالة الحياة ، لتمسكه بطرف من الحياة الدائمة لما استنشق عبير نفحات الطمأنينة . ولولا ما يقي من آمال هذه الدار من تخليص ما بقي عليه من علل نفسه (ليرد) [3] الأمانة إلى (ربها

طاهرة)[4] كحالها قبل التركيب ، لاختار الموت، لتعلق قلبه وأمله بالله Y، مع أن منزل الصدق يقتضي التنزه عن الأكوان ؛ وقد قال بعضهم : " لا يبغض الموت إلا صاحب ريبة ، والصدق ينافي الريب " [5] ، قال الله Y : [فتمنوا الموت إن كنتم صادقين] [6] وقد قال بعض أهل هذا الشأن : " ثمرة الصدق إيثار لقاء الله Y على على المكث في الدنيا ، لأن الصدق يثير التعطش إلى (لقاء الله Y ، قال)[7] : ومهما أحب الصادق البقاء للإزدياد من العمل ، فذلك عقوبة (ما فاته)[8] من الصدق ، لميله عن الله إلى رؤية العمل.وهذا القول عندي مرجوح، إلا إن أراد بالصدق ما هو أخص مما أشرنا إليه هنا، وهو الذي ينشأ عن المحبة، لأن الصادق

---

1 –ج ، د : زيادة : و .

2 – د : دخله .

3 – ج : ليود .

4 – ج : أهلها ظاهرة .

5 –في الرسالة القشيرية ، ص : 106 .

6 –سورة البقرة / الآية 94 ، وسورة الجمعة / الآية 6 .

7 – ج : الشأن .

8 – ج : بإبانة .

في هذا المنزل مشربه التسليم ، فلا يختار على الله شيئا من [حياة][1] أو موت أو غير ذلك ، إلا ما اختاره الله له . غير أنه– للبقية التي بقيت عليه من نفسه – يجنح إلى إيثار الإمهال لقضاء ما بقي عليه من بقية نفسه على خجل، لأن التسليم والتفويض يأبيان إيثار شيء غير ما تجري به الأحكام .

وبهذا يظهر لك أن قول القائل :"ثمرة الصدق إيثار لقاء الله"إلى آخره، يومئ إلى صدق أهل **[72]** النهاية، لأن الصدق، وإن كان له خصوص بهذا المنزل، فهو عام في سائر المنازل كما هو غيره من سائر أسامي المنازل . فأهل المشاهدة الذين لم يتمكنوا حتى بلغوا منزل المعرفة لورود أنوار المشاهدة عليهم وقتا دون وقت ، قد يغلب عليهم وارد الشوق ، (فيريدون) [2] تواصل تلك الأنوار بمفارقة الجسوم التي هي قواطع عن تواصل تلك الأنوار .

وإذا عرضت إرادتهم هذه على محك النظر ، لا تخلو عن شائبة قادحة في مشرب أهل المشاهدات ، لكنهم مسامحون في نفحات المحبة الصادرة عن الشوق ، مع أن إرادة وجهه الكريم [3] لا قدح فيها . فقد امتدح الله بها قوما لأنه (المقصود) [4] [4] الذي عليه مدارهم وإليه [ابتدارهم] [5] .وللصادق (دلائل)[6] على صدقه غير ما ما أشرت إليه ، كالاسرار المكتمة التي تلوح لهم ، فيلزمه كتمها إلا عن سائر صنفه الصادقين . وبالله التوفيق .

نتيجـــــة

اعلم أن نتيجة هذه الثمرة اتصاف النفس بإحدى عشرة صفة حميدة تنفي عنها إحدى عشرة صفة ذميمة :

---

1 –في الاصل : حيرة .
2 – ب : فيودون .
3 – من لفظ الآية 28/ من سورة الكهف : [واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه]
4 –ج : المقصد .
5 – في : أ ، د : انتدابهم .
6 – ب : دليل .

الأولى: التفويض، وهو أعلى من التوكل، فإن التوكل إنما يكون (عند)[1] وقوع السبب، والتفويض يكون قبل وقوع السبب وبعده . وهو تحقيق لازم الاضطرار من غير التفات إلى جنبات صفحات الأسباب ، وذلك ينفي عن النفس (التأثر)[2] [لآثار][3] الحوادث ، والالتفات إلى حركات التقلبات .

الثانية : الثقة ، ومعناها ثلج اليقين بما دارت عليه الأحكام، وثبت في أم الكتاب من [توزيع] [4] الأقسام على الأنام ، وجريان الأقدار في الوجود. وذلك ينفي ينفي عن النفي تلجلج الأفكار فيما حكمت به الأقدار، ومشت الأقدام لما جرت به الأقلام.

الثالثة : التسليم، وهو نزوع (العقل من شغب) [5] التدبير فيما غابت عاقبته عاقبته خلف أستار الغيوب، وذلك ينفي عن النفس رعونة الميل إلى (تحدث)[6] الهوى (عما)[7] لعله يفوت فلا يحصل ، أو يحصل فلا يفوت [8] .

الرابعة : الرضى ، وهو سكون القلب بجريان الأقدار ونفوذ الأقضية،

بترك انكماش الباطن لهبوب رياح [المكاره] [9] ، وإن عظم أمر الوارد. وذلك وذلك ينفي عن النفس (التقلب مع تقلب الواردات ، والانفعال إلى ما خالف الطباع أو وافقها ميلا إلى المألوف)[10] .

الخامسة : اليقين ، وهو توطن القلب على كل مضمون وموعود من قبل الحق تعالى ، وهدوؤه من خفقان [التقلب] [11] عند جريان الأحكام حين يسطع فيه

---

1 – ج : بعد .
2 – ب ، ج : التأثير .
3 – في : أ ، ب ، ج : لإيثار.
4 – في : الاصل : توسيع .
5 – ب ، ج : العقول من شعب – د : العقول من شغب .
6 – ب ، ج ، د : تحكم .
7 – ب ، ج : على ما .
8 –وقريب من هذا المعنى عند القشيري . ص : 84 – 85 .
9 –في الاصل : المكان .
10 –ج : " رعونة الميل إلى تحكم الهوى عل ما لعله يفوت فلا يحصل ، أو يحصل فلا يفوت " .
11 – في الأصل : القلب .

نور التوحيد،وذلك ينفي عن النفس مصادر الشكوك فيما ضمن ، وموارد العتاب على ما لم يخلق . سبحان الله أن يكون في ملكه ما لا يريد .

السادسة : القصد، وهو الإزماع على التجرد (عن) [1] القواطع والشواغل، استعدادا للسفر إلى الله تعالى بخفة ظهر ، و[القدوم] [2] عليه بلا علاقة. وذلك ينفي عن النفس التواني مع الإلف والتثبط (مع العادة) [3] .

السابعة : الفهم، وهو نور يضعه الله في قلوب الصديقين، [يطلعون به][4] على أسرار وحكم ، وهو دون الفراسة[5] وأعلى من الظن . وذلك ينفي عن النفس كثافة الاستبصار المتولد عن توارد الخواطر .

الثامنة : حسن الظن بالله Y ، وهو رأس بضاعة السالكين ، ولا يصح ذلك مع الغفلة ، كيف وحسن الظن يترجم عن صرف الهمة [6] إلى الله تعالى ؟ ولا يكون ذلك إلا برؤية جميع أفعال الله تعالى في الغاية التي لا غاية بعدها من الجمال والكمال ، وقد جاء في الصحيح فيما يرويه النبي ρ عن ربه Y :" أنا عند ظن عبدي بي" [7] . وذلك ينفي عن النفس تردد الأفكار بمراعاة الحظوظ، ميلا مع الأوهام .

التاسعة : الحكمة ، وهي صادرة عن اعتدال عمود الفهم بفتح أبواب المعاني،وحل مقفلات أسرار (أبواب)[8] الخطاب الحسية والمعنوية. وذلك ينفي عن

---

1 –ج : على – د : من .

2 – في الأصل : للقدوم .

3 – ساقط برمته من ج .

4 – في : أ : يطالعون به – ب : ليطلعوا .

5 – قال الجرجاني : " الفراسة في اللغة: التثبت والنظر. وفي اصطلاح أهل الحقيقة هي مكاشفة اليقين ومعاينة الغيب" (التعريفات . ص: 172.) –وانظر أيضا: معجم المصطلحات الصوفية. ص: 135 .

6 – يقسم الغزالي الهمة إلر ثلاثة: " همة منية، وهي تحرك القلب للمنى. وهمة إرادة، وهي أول صدق المريد.وهمة حقيقة، وهي القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر" (الإملاء في إشكالات الإحياء . ص: 20).

7 – جزء من حديث قدسي أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة به . ح : 7405 – وأحمد من حديث واثلة بن الأسقع . ح : 16950 – وابن ماجة . ح : 3822 – والترمذي . ح : 3673 .

8 –ساقط من : ب ، د .

النفس الجمود على الظاهرية المحضة (العرية) [1] عن أوصاف الربانيين، وهو ضرب من ضروب الجهل.

العاشرة: الاستبصار ، وهو العثور **[73]** على حقيقة العدل في التصاريف الإلهية من إعطاء ومنع ، وقبض وبسط ، وإماتة وإحياء ، ونفع و(ضرر)[2]، وغير ذلك من الاضداد النافذة أحكامها في الخلق . وقد قيل : " إذا عاملت الله بالصدق أعطاك مرآة تبصر بها كل شيء من عجائب الدنيا والآخرة " [3] . وذلك ينفي عن النفس العماية عن تلمح أسرار الوجود وحكمة جريان الأحكام.

الحادية عشرة : التعظيم ، وهو تعظيم الحق سبحانه ، يقطع الشواغل عنه ، وتسليم الحكم له من غير عوض . وهذه الصفة تشهد (للصادق) [4] ببذل النفس (لله) [5] من غير عوض، لأن(الأعواض) [6] حظوظ[7] النفس ، فحين بذل الأصل استتبعته جميع الفروع.وذلك ينفي عن النفس [الركون للحظوظ] [8]، طلبا للأعواض، ومدافعة الأحكام [بالعلم] [9]، وهذا مما (ينافي) [10] الصدق .

---

1 – ب ، د : العارية .

2 – ب ، د ، ضر .

3 – بلفظه في الرسالة القشيرية ، ص : 107 .

4 – ب ، د : للصدق .

5 – ب : له .

6 – ج : العوض .

7 –الحظوظ عند الصوفية هي كل ما تميل النفس وتنزع إليه مما لها فيه مارب حتى لو تعلق الأمر بطلب الجنة : إذ إذ أن المطلوب الأوحد عندهم وجه الحق لا سواه (اللمع ، ص : 413 – كشاف اصطلاحات الفنون : 55/2) .

8 – في الأصل : الحظوظ .

9 –في الاصل : بالعمل .

10 – ب ، ج ، د : ينافر .

عـلامـــــة

(و)[1] من علامات حصول هذه النتيجة استواء السر والعلانية ، مع القيام بالعدل في كليهما في الحركات والسكنات ، وذلك أن منزل الصدق يذهب بخصال النفاق ودقيقها وجليلها ، إذ من شعب النفاق ما يخفى على غير الصديقين .

وللمباحثة بالمناقشة في ذهاب ذلك تأثير . وقد كان عمر τ يسال أحد الصحابة وهو حذيفة بن اليمانτ (فيقول له)[2] : (أتظهر)[3] لك في شعبة من من شعب النفاق ؟[4] وهذا (من الحزم)[5] في اتهام النفس .

وإن كان من الشرك ما هو أخفى من دبيب النمل ، فمن النفاق ما هو أخفى من خفى الشرك . لكن منزل الإخلاص إذا استعمل على شرطه فإنه يذهب بجميع شعب الاشراك،كما أن الصدق إذا استعمل على شرطه، فإنه يذهب بجميع شعب النفاق .

ومن [علاماته][6] أيضا : الهيبة ، قال بعضهم : " ثلاثة لا تخطئ الصادق الحلاوة والهيبة والملاحة " .[7] ومنها التنزه عن (جميع)[8] الموجودات والمعدومات ثقة بالموجد المعدم.

ومنها السلوة عن الحذر والخوف،والرجاء واليأس،ونحو ذلك مما يتعلق بالخلق، لتعلق (قلب)[9] الصادق بالله Y .

---

1 - ساقط من : د .

2 - ج : يقول .

3 - ب ، ج : أيظهر .

4 - الإحياء : 174/4 . وقال العراقي : حديث أخرجه مسلم من حديث حذيفة .. (المغني عن حمل الاسفار) 175/4 .

5 - ب ، ج : حزم .

6 -في : أ ، د : علاماتها .

7 -بلفظه : الرسالة القشيرية ، ص : 106 .

8 - ساقط من : ب ، ج ، د .

9 -د : قلبه .

ومنها قوة العزم على القيام بحقوق الله Y بطرح حقوق النفس مع اتهامها [بالتضييع][1] مع الأنفاس .ومنها استحلاء جميع الواردات باتساع الباطن ، صيانة له عن الانفعال للحادثات .ومنها لزوم الكتم عن جميع المخلوقات ، ما عدا القدوة ، حفظا للصدق من شوائب الهوى . [ومنها حب] [2] الخلوة، استيحاشا من الناس، وطلبا للحرية بطهارة الباطن من الانفعال لشيء من (الأعراض)[3]، لاستغراق قلبه في الشأن الذي شغله وأذهله عن ذلك كله . ومنها غلبة الذكر على القلب ،حتى لا يلهيه عن ذلك سمع المسموعات، ولا إبصار المبصرات ، ولا سائر صنوف الحركات [4] ، حتى إن حركة اللسان بالذكر إنما هي بالفيض الذي يغلب عليه من القلب ، ومع هذا الاستغراق في الذكر ، فلا يخلو صاحب هذا المنزل عن بقية لا مخلص له منها إلا في منزل الطمأنينة ، لطروق لمحات من الذهول عليه . لكنه كلما استشعر بشيء من ذلك من نفسه ، فكأنما قارف كبيرة لما يحدث ذلك عنده من الانكسار [والندم] [5] لكنه لا يخلو (من)[6] ذلك في هذا المنزل كما قلناه ، حتى يستكمل مقام مقام الإيمان. وفي ورود تلك الفلتات من الغفلات على قلوب أهل الصدق من الحكمة[7] ما يحرك فيهم دواعي العزمات، ويقوي عندهم الحذر من المكر . ولأجل هذا ونحوه ، لم يفارقوا الاستغفار على حال . وبالله التوفيق .

وصيـــــة

وينبغي للصادق أن لا يأخذ من الدنيا غير الكفاف ، وأن لا يدخر إلى غد إلا إن كان معيلا ، مع كونه لا يفارق ما يقوم به عيشه من الأسباب الظاهرة ، ما لم تفارقه أو تشر إلى فراقه باعتياص مجاريها . فعند ذلك يعلم أن المراد منه تجريد

---

1 – في الاصل : في التضييع .

2 – في الاصل : حيث (كذا) .

3 – ب : الأغراض .

4 – ب ، ج ، د : زيادة : والسكنات .

5 –في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

6 – ب ، ج : عن .

7 – الحكمة اصطلاحا هي: " العلم بحقائق الأشياء وأوصافها وخواصها وأحكامها على ما هي عليه، وارتباط الأسباب بالمسببات، وأسرار انضباط نظام الموجودات، والعمل بمقتضاه " (اصطلاحات الصوفية. ص: 61.)

الظاهر موافقة لتجريد الباطن، وأن يلازم الخلوات [1] مع إقامة رسوم الشرع في الخلطة والخلوة ، والصمت والكلام ، وأن لا يفارق رؤية التقصير (من)[2] نفسه على كل حال ، وأن لا يعطي زمام انقياده لصاحب هوى، وما دعا إليه الأبوان من غير معصية (فليعاملهما)[3] فيه بالموافقة ، ولا (يعصهما)[4] في معروف **|74|** .ومن رزق حسن سياسة يتأتى له الجمع بين موافقة الأبوين (وبين ما هو بصدده ، فيحصل له الأمران)[5] ويثبت [6] الحقان. وإن فتح عليه بشيء من (مرافق)[7] المعاش المعاش ، نظر في أصوله وفروعه، فما وافق حاله قبل منه مقدار كفايته ، وصرف الباقي على صاحبه، وإن خالف مشربه الصديقي رده على صاحبه . كما حدثني أبي قال : " بلغت (بي) [8] في بداية أمري فاقة شديدة أدركت أنا وأمي (منها) [9] الجهد ، فجئت يوما من زيارة المقابر، فوجدت في منزلي وعاء فيه مجبنات[10] (بسكر)[11] في غاية احتفال[12] العمل ، (فقربتها) [13] والدتي إلي ، فقلت لها : من أين لك

---

1 – ب ، ج د : زيادة : والصمت .

2 – ب : في .

3 – ج : فيعاملهما .

4 – ب ، ج ، د : يعصيهما .

5 –ساقط برمته من : ج .

6 – ب ، ج ، د : زيادة : له .

7 – ب : موافي (كذا) .

8 – ساقط من : ج .

9 – ساقط من : د .

10 – المجبنات: نوع من الأطعمة اشتهرت على الخصوص في شرق الأندلس . وهي عبارة عن أقراص من الجبن الأبيض تنقع في العسل، ثم تنثر عليها القرفة، وكانت تقدم ساخنة جدا.
(L'ESPAGNE MUSULMANE AU TEMPS DES NASRIDES – R. ARIÉ - P: 38)
يقول أبو عبد الله بن الأزرق: ...

واسكت عن الجبن فإن ** بنته تذهلني
ظاهرها كالورد أو ** باطنها كالسوسن
أي امرئ أبصرها ** يوما ولم يفتتن؟

(النفح: 3/ 301)

11 – ج : سكر .

12 – الاحتفال : المبالغة (اللسان / حفل) .

13 – ب : فقربته .

هذا ؟ قالت: أهداه لنا رجل (يزعم) [1] أنه يعرف بفلان . قال والدي : فنظرت فإذا في مال ذلك الرجل شائبة ضعيفة، لكنها تكدر مشربي الذي كنت فيه من الصدق.قال : فأخذت ذلك الوعاء بجميع ما كان فيه ، وخرجت به لبعض أصحابي فقلت [له][2] : رد هذا لفلان ، فإن تعذر عليك ، فتصدق به فيمن يظهر لك. قال : وربما وجدت [3] [والدتي] [4] لذلك شيئا لكنها وافقتني على نظري. فما كان إلا أن بقينا على حالتنا حالتنا من الجهد ذلك اليوم إلى المساء . فبينما أنا متوجه أذكر في المسجد الذي كنت أؤم فيه بين العشائين ، وبابه علي مسدود ، وإذا بالباب قد فتح ، فدخل [5] شخص حتى جاء حذائي، فجعل بين وجهي وركبتي شيئا. فلما أتممت وظيفتي نظرت ، فإذا قرطاس فيه دينار ذهب وقطعة من العود الرطب . فقلت في نفسي : هذا فتوح [6] يشير بحليته هذا العود الطيب . قال : فدخلت بذلك على والدتي ، (فدفعته) [7] لها وقلت[8] : قد عوضنا الله بخير مما خرجنا عنه من أجله ، خذيه وصرفيه فيما يظهر لك ".

وينبغي له أن لا يداخل أحدا من أهل الدنيا في غير شأنه الضروري الشرعي ، ولا يسترسل في [خلطتهم][9] . وآكد من ذلك ، مجانبة أهل الغفلة والفتن واللهو ، وليُجْرِ أحواله كلها على منهاج الترتيب من أكل ونوم وقيام وذكر وغير ذلك من تصاريفه ، حتى لا يميل عن العدل ، ولا يخرج عن العزم والضبط.

---

1 - ج ، د : زعم .

2 - في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

3 - الوجد : الغضب (اللسان / وجد) .

4 - في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

5 - ب : زيادة : علي .

6 - الفتوح : بفتح الفاء لغة : أول المطر . والفتح : الماء الجاري في الأنهار والفتح : جنى النبع (اللسان / فتح) واصطلاحا هي كل " ما يفتح على العبد من الله تعالى بعد ما كان مغلقا عليه من النعم الظاهرة والباطنة، كالأرزاق، والعبادة، والعلوم، والمعارف، والمكاشفات، وغير ذلك" (اصطلاحات الصوفية ص: 135) –وانظر أيضا: الإملاء في إشكالات الإحياء ص: 19.

7 - ج ، د : ودفعته .

8 - ب ، ج ، د : زيادة : لها .

9 - في الاصل : خلصته .

ولا يلهج [1] بما يلوح له من اللوائح [2] ونحوها، وليصرف همته عن ذلك إلى ما وراءه ، وليعمر أوقاته بتواصل الذكر على كل حال، وليكشف بقدوته عما يظهر له بوصف معتدل عري عن الميل إلى شيء من الأوهام . وليعلم أن ما يرد عليه من الواردات، منه ما يكون عن فساد خيال ، ومنه ما يكون عن مكر من الشيطان ، ومنه ما يرد مورد المحنة والاختبار [3] . والشيء الخالص الصافي [من ذلك][4]، إنما هو شيء مضاف إلى ما تضمنه ذكر الله من الخيرات التي ظهرت على الذاكر ، يشبه العارية،والواثق بشيء من ذلك مغرور [5] محجوب، والحق وراء ذلك كله ، وقد ضل كثير من الناس من هذا الوجه . نسأل الله تعالى الوقاية من العماية [6] ، والسلامة بدوام الاستقامة . وفي الموجودات من العجائب الجارية مجرى الكرامات،ما يذهل العقول، ويشد عرى التوحيد،[وفي أنفسكم أفلا تبصرون][7]لكن الركون إلى الألف والعادة غطى [بصر البصيرة][8]عن تلمح ما يجري به الليل والنهار من العجائب الإلهية،والأسرار الربانية.جعلنا الله من خواص عباده،ولا عدل بنا عن رشاده،بمنه.

المنزل الثالث من مقام الإيمـــان

اعلم رزقني الله وإياك في الطمأنينة قدما راسخا ، ومقاما شامخا، أن ثالث منازل مقام الإيمان: الطمأنينة ، وهي نهايته :قال Y: [الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، الا بذكر الله تطمئن القلوب][9] . والطمأنينـة سكون القلب إلى ثلج يقين يشبه العيان ، عار عن التقلب والاضطراب . وفي هذا المنزل ينفض

---

1 – اللهج بالشيء : الولوع به . واللهج : جرس الكلام (اللسان / لهج) .

2 – اللوائح لغة : كل ما يلوح للبصر ، واصطلاحا عند الصوفية : ما يلوح للمريد من نور التجلي ثم لا يبقى. وقد تسمى:البوارق(اصطلاحا الصوفية . ص: 72 – معجم المصطلحات الصوفيـة – ص:150).

3 – الاختيار : " امتحان الحق للصادقين ليعمر بذلك منازل المخصوصين، ويستخرج بامتحانه لهم منهم صدقهم، إثباتا إثباتا لحجته على المؤمنين، ليتأدب بهم المريدون " (اللمع . ص: 429)

4 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

5 – ب ، ج ، د : زيادة : مفتون .

6 – العماية : الجهالة (اللسان / عمي)

7 – سورة الذاريات / الآية: 21 .

8 – في الأصل : بصيرة (كذا) .

9 – سورة الرعد / الآية: 28 .

السالك رجله من قيود الغفلة، ويحصل في مأمن الاختصاص ، ويشم روائح الوصلة ، وهو أول منزل من منازل المراد ، وأول لبسة ينالها من الاتصاف الملكي ، وفيه تهب عليه نواسم حقائق توحيد الصفات – [وفي أول منزل من منازل مقام الإحسان يكمل له توحيد الصفات][1] – حتى لا يرد على منزل المشاهدة إلا بتوحيد الذات ، وقد تقدم لنا أن توحيد الأفعال وتوحيد الصفات ، وتوحيد الذات ، كل ذلك راجع إلى اختلاف مراتب التوحيد ، وإشارة إلى أن بعض هذه **|75|** المراتب يسبق (بعضها)[2] في ورود معارف ذلك على السالك ، أعني المعارف الذوقية ، لأن الإيمان لا يقوم إلا بالعلم اليقيني الذي لا شك فيه أن الله تعالى واحد في أفعاله ، واحد في صفاته ، واحد في ذاته .

والعلم بهذا ، لا يتبعض ولا يتجزأ، إنما المراد بأقسام (العلم) [3] الثلاثة أن معارفها الذوقية لا ينالها السالك دفعة واحدة ، لكن (ترد) [4] عليه أولا معارف من معاني أفعاله تعالى،(ثم ترد عليه ثانيا معارف من معاني صفاته)[5] ، ثم (ترد) [6] عليه ثالثا معارف من معاني ذاته . ولا شك أن معارف صفاته تعالى غير معارف أفعاله . كما أن معارف ذاته غير معارف صفاته لكنه بالعثور على معارف(الأفعال يتقوى على درك معارف الصفات،وبالعثور على معارف)[7] الصفات يتهيأ لنيل معارف الذات.والسالك إذا خرق حجاب هواه : انبلج له شعاع من أنوار التوحيد يدرك به [آثار] [8] أفعال الله في مجاري حكمها، وإبداع تصاريفها. فإذا تمكن في ذلك ، ورسخت قدمه (فيه)[9] ، انفتحت له أبواب يطلع منها على حقائق معاني صفاته

---

1 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

2 – ج ، د : بعضا .

3 – د : التوحيد .

4 – ب ، ج : يرد .

5 – ساقط برمته من : ج .

6 –ب ، ج : يرد .

7 – ساقط برمته من : ج . بانتقال النظر .

8 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

9 – د : فيها .

بالعلم اللدني[1]، إلى ما تقصر عنه العبارة ، وتدق فيه الإشارة. فإذا تمكنت أسرار ذلك (كله)[2] من الروح ، وتقعدت كل التقعيد بالاطلاع القطعي والفتح الرباني (أورث)[3] الروح [ثباتا] [4] ، وأكسبه قوة، (فأشرف) [5] على البحر الزخار [6] من معنى معنى توحيد الذات المقدسة ، وبحسب [قوته يكون] [7] تلججه [8] في ذلك البحر.وبقدر البحر.وبقدر تلججه فيه يكون (غوصه)[9] على يواقيت أسراره ، وجواهر حقائقه . وعند ذلك يفنى الوجود بأسره ، ولا يبقى غير موجده القديم . وإن كانت هذه الحالة – مشارا إليها بالذكر–مسطورة في الكتب، فهي أغرب وجودا من الكبريت الأحمر . وسأستقصي ذكر ما تسمح به العبارة من ذلك في موضعه (من)[10] منزل المشاهدة إن شاء الله (عز وجل)[11].

وإذا عرضت هذا كله على قواعد الكتاب والسنة ، تجده موافقا غير مخالف ، ولولا العدول عن التطويل ، لأوردت لذلك من الأدلة ما يشفي العليل،ويبرد الغليل، مع أنا لم نَبْنِ الأمر في هذا الكتاب ، [على] [12] نصبه نصب الجدال واستقصاء حجج المقال، إنما هو مجموع لإفادة أهل هذه الطريقة ، الموافقين عليها ، المحبين فيها ، بناء على ما أسسه السلف و(أصله) [13] المشايخ رضوان الله عليهم .

---

1 – العلم اللدني : عند القوم هو العلم الوارد من حضرة القدس ، وهبا لا كسبا . وأما تسميته فهي اشتقاق من لفظ قوله قوله تعالى في سورة الكهف / الآية : 65 عند قصة موسى مع الفتى والعبد الصالح:...[فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لنا علما] .

2 – ساقط من : ب ، ج ، د .

3 – ب : أورثت .

4 – في الاصل : نورا ثابتا .

5 –ب : فأشرفه .

6 –زخر البحر يزخر زخرا وزخورا : طما وتملأ (اللسان / زخر) .

7 –في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

8 –الج القوم ولججوا : ركبوا اللجة وخاضوها . ولجة البحر ، والماء ، والأمر : معظمه (اللسان/لجج).

9 – ج : غرضه .

10 – د : في .

11 – ساقط من : ج .

12 – في : أ ، ب : على ما .

13 – ب : أوصله .

ومن الحكمة أن لا تفتح أبواب المذاكرة بعلم مع غير أهله ، لبعدهم عن اصطلاحاته وجهلهم بقواعده ، وأصوله وفروعه ، وكذلك أهل البدايات ، ينبغي أن لا (يفاتحوا)[1] بأحكام النهايات ، لأن حالهم تأبي القبول على ما لا يعرفون له ذوقا ، ولا (يفهمون)[2] له إشارة . فالاحق والأولى مخاطبة كل إنسان بما يحمله عقله ، و[تقتضيه] [3] معرفته . وإلى ذلك الإشارة بقوله صلوات الله وسلامه عليه : " خاطبوا الناس على قدر عقولهم " [4] .

فإذا تقرر هذا، فطمأنينة القلب بذكر الله تعالى هي غاية مقام الإيمان ، كما أن طمأنينة الجوارح بحفظ حدود الله ، هي غاية مقام الإسلام ، وهي المعبر عنها بالتقوى،[كما أن طمأنينة] [5] الروح بالله Y هي غاية مقام الإحسان ، وهي المعبر عنها بالمعرفة .

وذلك أن القلب إذا [انعمر] [6] بذكر الله Y متصلا مع الأنفاس على سبيل الإخلاص ومهيع الصدق ، فإن كل حركة (أو)[7] سكنة ، ظاهرة (أو)[8] باطنة تعرب تعرب عن حقيقة الذكر الذي عمر قلبه ، فلا يظهر عليه إلا ما يقتضيه ذكره الدائم اللازم. وهذه حقيقة الذكر التي تشير إليها جميع وسائله . فهو ذاكر وإن صمت اللسان، كما قال القائل :

" **فنحن صموت والهوى يتكلم** " [9] < الطويل >

---

1 – ج ، د : يفاتحون .

2 – ج : يفقهون .

3 – في : أ ، ب : يقتضيه .

4 – قال الشيباني : " بلفظ : أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم . له طرق منها عن ابن عباس رفعه به ، وكلها وكلها ضعيفة ، بل عند البخاري في صحيحه عن علي موقوفا : " حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله " (تمييز الطيب من الخبيث للشيباني ، ص : 35) .

5 – في الأصل : وطمأنينة .

6 – في الاصل : تعمر .

7 – ب ، ج ، د : و .

8 – ب ، ج ، د : و .

9 – هذا البيت أورده السهروردي في عوارف المعارف غير منسوب بلفظ :

تكلم منا في الوجود عيوننا * * فنحن صموت والهوى يتكلم (ص : 154) .

لكن حسن العهد من الإيمان ، واللسان عهد بما وصل إلى القلب من الذكر بسببه ، فينبغي أن يحفظ له عهده ، فيصرف بحركة الذكر ليحصل له حظه من الأجر . وهو مع ذلك – (بتواصل)[1] حقيقة الذكر في قلبه، لا يمر على سمعه أو بصره أو فكره شيء إلا وهو متلمح سر حقيقة الذكر من جنبات ذلك كله ، لا يشغله عن ذلك ما تلبس (به ظاهره) [2] من [3] ضرورات معاشه ونحو ذلك ، لأن سعيه لذلك (جار) [4] على مهيع الذكر،راجعة إليه مقاصد تصرفاته . وبهذا المعنى يستصحب حال الذكر ، وهي علامة اختصاصية ونفحة قدسية تعرب عن [5] القبول ، وتفتح بابا للوصول .

فصـــــل |76|

واعلم أن للطمأنينة [في هذا المنزل] [6] شروطا وآدابا .

أما شروطها فأربعة :

الأول: نفي جميع الهموم عن القلب حتى يصير همه واحدا (للحي)[7] القيوم . والهم أعظمه الاستغراق ، وأقله خطرة واحدة . فإذا تصفى القلب بالذكر حتى يحل [منه] [8] محل الخطرات ، ويعود الذكر جاريا مجرى حديث النفس ، فعند ذلك يطمئن القلب بذكر الله، و(يحصل) [9] له من ذلك تهيئة لمطالعة الأسرار الربانية والحقائق الإلهية والمنح القدسية.وذلك [سر] [10] قوله Y: "لن [تسعني] [11] أرضي ولا سمائي ، ويسعني قلب عبدي المومن".

---

1 – ج ، د : يتواصل .

2 – ج : بمظاهره .

3 – ب ، ج ، د : زيادة : أعمال .

4 – ساقط من : ج .

5 – د : زيادة : باب .

6 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

7 – ب ، ج ، د : للواحد .

8 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

9 – ب ، ج : تحصل .

10 –في : الأصل: من .

11 –في : أ ، ب ، د : يسعني .

الثاني : غسل القلب من تبعات الأوهام ، وطهارته من آثار الهوى ، فإن منزل المراقبة التالي لهذا المنزل، يأبى إلا الطهارة والتخلق بالأخلاق الملكية،(حتى لا)[1] يبقى عنده تشوف[2]، ولا أمل إلا لمطالعة جمال الحضرة الربانية، ولولا ماله في في الذكر من الشفاء من مزعج الشوق، لا نفطر[فؤاده][3] بتصاعد الأنفاس.

الثالث: نبذ هواجس[4] الآراء، تعويلا على الحق ، واتهاما (لنفسه) [5]. فقد يغر صاحب الطمأنينة ما فتح له فيه من طهارة نفسه ، فيعول على آرائها. وهو بالبقية التي بقيت عليه من آثار الأوهام البشرية ، ينبغي [له] [6] أن لا يأمنها ما لم تبلغ [قنة] [7] ربوة الخلاص الحاصل في آخر منزل المراقبة ، حين يلقي عصا التسيار في تصفية النفس . وقد انخدع بعضهم (بما بدا)[8] لهم من وميض [9] رونق رونق الطمأنينة ، ولم يشعروا بخفي البقية التي بقيت عليهم حتى ضلت أحلامهم ، فوقعوا في عقوق قدوتهم، فكان حدهم ، بل (انتكسوا) [10] ورجعوا القهقرى .

والسالك محجور في نظره ، ما لم يحصل على بينة من ربه . فينبغي له أن لا تطمح نفسه (للاستبداد)[11] بما يهب على قلبه من نفحات الأسرار . فذلك مكر يجر إلى الوبال ويدعو إلى الخسران ، والحق وراء ذلك كله .

الرابع : مراعاة الرسوم الشرعية قياما بالوظائف الدينية ، (وتحكيم أحكامها)[12] في الباطن والظاهر، حتى لا يتحرك حركة ولايسكن سكنة إلا على أصل شرعي،

---

1 – د : فلا .

2 – التشوف : التطلع (اللسان / شوف) .

3 – في : أ : فواد (بإسقاء الهاء) .

4 – يرى القاشاني أن الهواجس هي جميع الخواطر النفسانية (اصطلاحات الصوفية. ص: 46) أنظر أيضا : معجم المصطلحات الصوفية. ص: 179.

5 – ب: للنفس .

6 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

7 – في : أ : قوة – ج ، د : قبة .

8 – ب : بما يرى – ج : فيما .

9 –ومض البرق وغيره يمض ، ومضا ووميضا: أي لمع لمعا خفيا (اللسان / ومض) .

10 – ج : تنكصوا – د : انتكصوا .

11 – ج : للاستيراح (كذا) .

12 – ب : وتحكيم أحكام حكمه – ج : وتحكم أحكام حكمه – د : وتحكيم أحكام حكمها .

وأساس سني . قال الله Y : [فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم] [1]، وذلك أن منزل الطمأنينة هو مبدأ مطالع أسرار الحقائق ، فقد يذهل القلب بورود ما يرد عليه من الحقائق ، عن التلبس بأمر من أمور الشريعة ، وذلك فتنة .

ولا يجمع بين الحقيقة والشريعة إلا من أيده الله بروح قدسه ، واهتدى لذكر نبيه ρ ، لأن القلب عند توالي سلطان الحقيقة عليه، يملك (أمره)[2] ويهد أركانه، فربما ضاق (نطاقه) [3] عن حمل [أعباء] [4] وظيفتي الحقيقة والشريعة[5]، لا سيما لأول وهلة في هذا المنزل ، لورود ذلك عليه فجأة واحدة ، تصدمه (فتذهله) [6] . وفي طي

ذلك فتنة لا عاصم منها إلا من رحم [7] . وقد ضل (ناس)[8] بهذه الفتنة عن سواء السبيل،حين فارقوا الدليل ، ووقعوا في التغيير والتبديل.

وأما [آدابها] [9]فأربعة :

الأول : الحرص على العمل الظاهر والباطن بالتزام الأدب وحفظ الوقت. ولا شك أن من الأدب التشمير في طريق العبودية عن ساق الجد ، وإن كان صاحب هذا المنزل قد شم أول روائح الحرية ، فأعظم الناس حرية أعظمهم اجتهادا وأشدهم عزيمة ، ولو لم يبق إلا شكر المنعم . وإلى ذلك الإشارة بقول النبي ρ وقد قيل له

---

1 - سورة النور / الآية: 63 .

2 - ب ، ج ، د : أسره .

3 - ج : بطاقة .

4 - في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

5 - ب ، ج : وصعب عليه .

6 - ب ، ج : وتذهله .

7 - ب ، : زيادة : الله، والكلام اقتباس من لفظ الآية 43/ من سورة هود : [قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم] .

8 - ب : أناس .

9 - في الأصل : آدابه .

في تورم قدميه من طول القيام في الصلاة :" أفلا أكون عبدا شكورا "[1]. وأكيس الناس الناس و[أنجبهم] [2] من لم يحمله ادلال [3] المحاضرة [4] على هتك [أستار] [5] العبودية العبودية ، فعلى قدر القرب يكون الاجتهاد في العمل والتزام الأدب . فليس ما يطلب به الوزير من القيام بالخدمة والتزام الأدب مثل ما يطلب به سواه ممن هو دونه في الرتبة ، كما أن الذي يواخذ به من الذنوب ، ليس كالذي يواخذ به غيره . وقد قالوا : "سيئات المقربين حسنات الأبرار".

الثاني : مباحثة الأنفاس (في التصفية)[6] خشية الفضيحة عند ورود سلطان المراقبة ، إذ لا يحمل أعباء المراقبة إلا باطن صاف من كدرات الخطرات النفسية، وكأن منزل الطمأنينة هو المنزل الذي يتهيأ فيه المسافر إلى الله تعالى بالطهارة والتجمل للدخول إلى الحضرة الإلهية ، لأن مقام الإحسان كله مقام الوصلة بما تضمنته المراقبة والمشاهدة والمعرفة **|77|** . فلابد من المبالغة في التصفية والإجادة في التطهير مع الأنفاس في الخطرات واللحظات .

الثالث: أن لا يشغله سكون الطمأنينة عن حركة الانتهاض إلى مبادي المراقبة ، والسعي إلى مرقاها ، لأن طالب الله لا يقنعه دونه شيء ، فلا يـزاليدرج[7] إلـى [الهضبات] [8] الإحسانية حتى يحصل في حضرة المقربين .

---

1 –متفق عليه . أخرجه البخاري . ح : 4836 – ومسلم : ح 79/(2819) وابن ماجة . ح : 1419 – والنسائي في الصغرى : 219/3 – والبيهقي في الكبرى : 497/2 من حديث المغيرة.

2 – في : الاصل : أنجابهم .

3 –الإدلال : الجرأة على من لك منزله عنده (اللسان / دلل) .

4 – المحاضرة هي: " حضور القلب مع الحق في الاستفاضة من أسمائه تعالى" (اصطلاحات الصوفية . ص:81.) ص:81.) – وانظر أيضا: عوارف المعارف. ص: 333 – الرسالة القشيرية. ص : 43 –معراج التشوف. ص: 55 – معجم المصطلحات الصوفية. ص: 156.

5 – في الأصل : أسرار .

6 – ج : بالتصفية .

7 –يدرج : يمشي مشيا ضعيفا ودبا (اللسان / درج)

8 – في : أ ، ب ، ج : المضبات . والهضبة: كل جبل منبسط على الأرض (اللسان/ هضب). هنا كناية عن المقامات والمراقي.

الرابع : خمود نار (الفكرة)[1] بوارد نور معنى الذكر من غير أن يبلغ به مبلغ [السكر][2] ، والمراد منه أن يرد على معنى الذكر مورد اعتدال من غير قوة إقدام ولا ضعف توان ، [إن الله يامر بالعدل والإحسان][3] .

وليعلم أن صدمة التوحيد في هذا المنزل ربما جاءت على فجأة من غير استعداد، فيخرق (ستر)[4] الوقار ، وذلك من دلائل ضيق العطن . والكمال أن تتراكم عنده أمواج بحار توحيد الصفات وهو ساكن . وإن ضعف عن هذا، ففي منزل المراقبة يحصل عليه بسهولة . والانزعاج (يفشش)[5] أسرار الأذكار ، ويذهب بنشاط الأفكار .

ذكـــــــر

اعلم أن الذكر الخاص بهذا المنزل هو الذكر المفرد ، ونسبة هذا الذكر لهذا المنزل كنسبة التهليل لمنزل التقوى ، كما استعمل التهليل في منزل التقوى ليستأنس [بمعناه][6] لما يرد عليه في منزل الإخلاص من التوحيد، كذلك هنا يستعمل الذكر المفرد (ليستأنس)[7] بمعناه لما يرد عليه في منزل المراقبة وما بعده على سبيل المفاتحة بالذكر الذي يوذن بالجمع،ويعرب عن الوصلة ، ويقتضي القرب. وإن كان هذا خاصا بمقام الإحسان ، فقد قلنا أن نهاية كل منزل تشارك بداية المنزل الذي (يليه، تاليا)[8] في وجه ما ، فلابد أن يقع هذا الاشتراك هنا بمعنى ذكر واحد. وأيضا،فإن كان للذكر المفرد اختصاص بتوحيد الذات ، فيندرج تحت معناه توحيد

---

1 – ج ، د : الفكر .

2 – في : أ ، ج ، د : الشكر . والسكر كما يرى القشيري: " غيبة بوارد قوي. والسكر زيادة على الغيبة من وجه. وذلك أن صاحب السكر قد يكون مبسوطا إذا لم يكن مستوفيا في سكره" (الرسالة. ص:41) وقال السهروردي: " السكر استيلاء سلطان الحال" (عوارف المعارف. ص: 332)

3 –سورة النحل / الآية: 90 .

4 – ب ، ج : سر .

5 – ب: يعشش (كذا).وفش القفل فشا: فتحه بغير مفتاح – وفش الزق: أخرج ريحه (اللسان/ فشش).

6 – في الاصل : معناه / (بإسقاط الباء) .

7 –ج : يستأنس .

8 – ج : يتلوه .

الصفات[1]،فما يعرض له في ذلك من العوارض التي (تكدر) [2] مشربه سلط عليه ذكر صفة من الصفات التي تقتضي نفي (ذلك العارض) [3] مضافة إلى الذكر المفرد ، حتى لا يرد على توحيد الذات إلا وهو قد تخلص من جميع الأوهام بما تقتضيه الصفات .

وقد تقدم لنا أن توحيد الصفات يختص [منزل] [4] الطمأنينة ببدايته ، كما يختص منزل المراقبة بنهايته . وإن كان توحيد الصفات اقرب مراما من توحيد الذات ، فلا مطمع لأحد في الإفصاح عن أسراره والكشف عن حقائقه، لقصور العبارة عن ذلك ، ولا مطمع في دركه بغير الذوق لخفاء معناه وغموض أسراره . ولذلك وقف كثير من السالكين في أول هذا المنزل حتى لم يقطعوه ولم يجاوزوه ، لما فيه من البحار الزاخرة والطامات [5] العظام . وقد تسمح العبارة بالإشارة إلى طرف من بدايته،والإشعار بصبابة[6]يسيرة لا يجاوزها اللسان، ولا يسمح بغيرها الكتمان.

وذلك أن الله (امتن) [7] على عباده بعد منة إيجاده إياهم ، بأن أوجد لهم في الوجود عن كل معنى من أسمائه وصفاته ، صفات كثيرة خلقهم بها، وأمرهم بالتخلق بمقتضاها ، وجعلها مع ذلك سبيلا إلى فهم معاني صفاته ، وينهى العقل عن [ارتكاب] [8] مهوى الزيغ ، والعدول عن العدل في ذلك . فأخذ العقل قسطه المقسوم المقسوم (له) [9] من معرفة ذلك في الأزل ، فلم يجاوزه بالصفات التي خلق الله بها بها عباده ، و (أمرهم) [10] بالتخلق بها ، كالعلم، والقدرة، والإرادة، والكلام،

---

1 – ب ، ج ، د : زيادة : " لقيام الصفات بالذات وما دام السالك في توحيد الصفات "

2 – د : تكدرت.

3 – ج : تلك العوارض .

4 – في : أ : بمنزل .

5 –الطامات : الدواهي تغلب على غيرها (اللسان / طمم) .

6 –الصبابة : البقية اليسيرة تبقى في الإناء من الشراب (اللسان / حبب) .

7 – ج : أثنى .

8 – في : أ : ارتباك .

9 – ساقط من : ج .

10 – ج : وأكرمهم .

والرحمة، والرافة، والكرم، والجود، والإحسان ، والملك ، والقوة ، وغير ذلك من الصفات . كلها أدلة واضحة يستدل بها على صفاته تعالى .

فلولا ما جبلت عليه (طباع) [1] الآدمي من السكون للأوهام البشرية ، حتى كان للإنسان من ذلك حجاب يصده عن الاطلاع على غوامض الحقائق ، لتجلت (شمس) [2] معاني صفاته تعالى [ضاحية][3] في أفق سماء القلوب مصحية من سحائب الأوهام .

فلا جرم أن يوحد الله Y بصفاته القائمة بالذكر الذي يقتضي معناه إفراد ذاته وصفاته بما هي عليه من القدم والكمال ، حتى تنتفي الأوهام المنبعثة من جنبات صفات المخلوقين ، ويستقيم عمود حقيقة ذلك من غير ترجيح وصف من أوصاف ذاته (العلية) 4 على وصف ، تعالت صفاته العليا المقدسة عن الزيادة والنقصان، هو الواحد الذات ، الواحد الصفات ، الواحد الأفعال ، باينت صفاته صفات خلقه كما باينت **|78|** ذاته ذواتهم ، ومن وراء هذه النبذة التي لا تسمح العبارة بما فوقها أسرار من توحيد الصفات ، لا يعثر عليها إلا بسبيل الذوق (والخلاص) 5من كل شوب . . ومهما طمحت البصائر إلى العثور على حقيقة السير الفائض على صفات الخلق من أنوار صفاته Y ، [فينبغي]6 لها أن تطرق حياء ممن [ليس كمثله شيء وهو وهو السميع البصير] 7 .فإن قلت : قد ظهر أن الذكر المناسب لهذا المنزل هو الذكر المفرد، فكيف يكون تناوله ؟ فالجواب : أنه 8 تقدم لنا أن وصل ذكر النبي ρ بذكر ربه ، من الأمر الضروري ، لا سيما في المواضع التي يحذر فيها من صدمات الحقيقة ، لتنحفظ عليه إذ ذاك الرسوم الشرعية . فالوجه في وصله هنا

---

1 – ج : طبائع .
2 – ب : شموس .
3 – في: أ ، ج : صاحية .
4 – د : العالية .
5 – ب ، ج ، د : الخالص .
6 – ف : أ ، ج ، د : ينبغي (بإسقاط الفاء) .
7 –سورة الشورى / الآية 11 .
8 – ج ، د : زيادة : قد .

بالذكر المفرد ، أن ينظر في حال صاحب هذا المنزل، فإن اقتضت حاله وصله بإثبات الرسالة ، فيقول : " الله ، محمد رسول الله " . وإن [اقتضت] [1](حاله)[2] وصلـه بالتصلية [3]، فيقول:" الله ، (صلوات الله)[4] وسلامه على رسوله محمد وآله " . . وهذا أعم من الأول . ولكل وجه معنى . وقد تقدم لك [أن] [5] ما يعرض من العوارض ، (يسلط) [6] على نفيه ما يضاده من الصفات ، مركبا مع الرسم العظيم، وربما اقتضت حال السالك إفراد الإفراد وذكر النبي ρ على حدة قبل أو بعد.وقد يعرض له التفات (لغير)[7] الله Y بما بقيت عنده من البقايا الخفية ، [فليرجع] [8] إلى النفي والإثبات، حتى إذا زال ذلك العارض، رجع إلى الإفراد، إذ لا يصلح بالإفرادإلا قلب عار عن التقلبات ، صاف من [الالتفاتات] [9] .

ولابد أن يقدم بين يدي ذكره استغفارا بكيفية يقتضيها حاله، ولو (بسبعين)[10] مرة ، طهرة للباطن من أثر الأوهام والخطرات . ثم ليأخذ إثر ذلك في الصلاة على النبي ρ بالكيفية التي يقتضيها حاله ، عددا يناسبه، [ ][11] توسلا به في تسهيل المرام وتيسير الترقي، ثم ليدخل (لذكر) [12] الإفراد حسبما ذكر . وليقصد بعدد لزومه الأماكن الفاضلة الخالية والأوقات الشريفة ، قائما على شروطه وآدابه. ثم ليستصحب حال الذكر بهجيراه سائر أوقات نهاره وليله [13]، لا يفتر مع تصرفاته وحركاته وسكناته، وقد مضى لنا التنبيه على سبيل استعمال الهجيرا ، فلا فائدة في إعـادته .

---

1 – في : أ ، ج : اختصت .

2 – ساقط من : ب ، د .

3 – ب ، د : زيادة : وصله بالتصلية .

4 – د : صلواته .

5 – في : أ ، ب ، د : أنه .

6 – ب ، ج ، د : سلط .

7 – ب ، ج : لشيء غير .

8 – في : أ ، ب ، ج : فيرجع .

9 – في : أ : الالتفات .

10 – ج ، د : سبعين .

11 – في الأصل : واو أسقطهتها – ساقطة كذلك من : ب ، ج ، د .

12 – ب : بذكر .

13 – ج ، د : زيادة : و .

فلا يـزال [على] [1] هذا حتى تظهر عليه شواهد الإطمئنان ، وتلوح من جنبات حركاته وسكناته طهارة الجنان . والله هو الفتاح (المنان) [2] .

مقصـــــد

اعلم أن تناول المقصد في هذا المنزل ، هو أن يبدأ أولا بالاستعاذة قاصدا التلاوة ، ثم ليتل قوله تعالى : [واستغفروا الله ، إن الله غفور رحيم] [3] ، فليورد هذا هذا الخطاب على نفسه ، وليجب عنه ب: "لبيك ربي وسعديك ، والخير في يديك، وكل شيء منك وبك وإليك، وعبدك يقول بإمدادك ، معاهدا على حفظ الأوقات، بالخروج عن الغفلات: استغفر الله الشاهد الرقيب ، الحاضر القريب، من كل ما يجر إلى الغفلات، من جميع الخطرات"، أو غير ذلك من الكيفيات التي يقتضيها حاله . فإذا فرغ من عدد استغفاره ، فليدخل إلى ذكر التصلية، فليتعوذ قاصدا التلاوة، ثم ليتل قوله تعالى: [إن الله وملائكته يصلون على النبي ، ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما][4]، فليورد هذا الخطاب على نفسه ، ثم ليجب عنه (ب) [5] :"لبيك ربي ربي وسعديك ، والخير في يديك، وكل شيء منك وبك وإليك، والعبد[6] يعمر جنانه، ويحرك لسانه ، ويقول مصليا على الدال بك (عليك) [7] : اللهم صل على سيدنا محمد محمد [8] رسولك الدليل [عليك][9] صلاة ترقى بما (خصصتها به) [10] مراقي الاختصاص"، الاختصاص"، أو غير ذلك من الكيفيات التي يقتضيها حاله. فإذا فرغ من عدد التصلية ، فليدخل إلى ذكر الإفراد فليتل قوله تعالى : [قل الله ثم ذرهم في خوضهم

---

1 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

2 – ج ، د : العليم .

3 – سورة المزمل / الآية: 20

4 سورة الأحزاب / الآية: 56 .

5 – ج ، د :بقوله .

6 – ب ، ج ، د : زيادة : بك .

7 – ج : إليك .

8 – ب ، ج ، د : زيادة / وعلى آل سيدنا محمد .

9 – زيادة في: ب –ساقطة من بقية النسخ .

10 – ج : خصصتنا بها .

يلعبون][1] . فليورد هذا الخطاب على نفسه، ثم ليجب عنه ب: "لبيك ربي وسعديك ، والخير كله في يديـك ، وكل شيء منك وبك وإليك ، أمتثل أمرك و(أواصل)[2] (ذكرك)[3]، فبك أذكرك إفرادا ، وبك أستعين استنجادا ، فأقول بإمداد ك : الله مُحَمَّد رسول الله ثم ليمض مستصحبا ذكره .

واعلم أن جميع ما مضى من المنازل ، سبيله سبيل المعاملات المشيرة إلى حال التفرقة، فهي تومئ إلى شعور العبد بنفسه في مراعاة سعيه . ولذلك كانت المقاصد فيها مبنية على [لام][4] الجر. وأما (منزل)[5] **|79|** الطمأنينة ، فمن لاحت له أعلام أمارات الخلاص من نفسه ، وسطعت أنوار طهارتها ، وهبت عليه نواسم الجمع ، فجدير أن يكون مقصده من الآن ، وإلى بلوغ النهاية ، مبنيا على باب الجر . كقوله : "بالله اصلي وبالله أذكر ونحو ذلك ، إيماء إلى الخروج عـن الالتفات لحظ من حظوظ النفس . فأصحاب المعامـلات مقاصدهم باللام ، وأصحاب الأحوال مقاصدهم [بالباء][6]، وتحت ذلك سر يظهر لأولي البصائر النافذة جعلنا الله منهم ، ولا قطع بنا عنهم .

فإذا تقرر هذا ، فللباء خصوصية [تلوح][7] لأهل الاختصاص، وتظهر لهم من جنبات أسرار الباء وذلك جار لهم في جميع الأذكار ، [إذا][8] بلغوا (ذلك)[9] المبلغ، لأنهم يشاهدون (منها)[10] لباب أسرار التوحيد ، فلا يذكرون ذكرا من الأذكار إلى على[11] مقصد الباء ، لئلا (يخرجوا)[1] عـن مقتضـى حـالهـم.

---

1 – سورة الأنعام / آية 91 .

2 – ب : أوصل .

3 – ج : أمرك .

4 – في : الأصل : سقط بفعل الأرضة .

5 – ج : منازل .

6 – في : أ : بالله .

7 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

8 – في : أ ، ج : إذ .

9 – ج ، د : هذا .

10 – ب ، ج : فيها .

11 – ب ، ج ، د : زيادة : قاعدة .

وهذا الموضع يحتمل الكشف عن أسرار الباء بأبسط من هذا، لكن (اقتصرنا على هذا لئلا)[2] يخرجنا عن الاقتصاد إلى التطويل، وبالذوق تنال أسرارها، و(بالعيان)[3] تشاهد أنوارها. لكن لا جرم أن تنفث بنبذة من هذا المعنى تشير إلى طرف من هذه [الحكمة] [4] .

قال النبي ρ فيما يحكيه عن ربه Y : " لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به، (ورجله)[5] التي يمشي (بها)[6]، ويده التي يبطش بها ، فبي يسمع وبي يبصر " [7]. فجعل [تعالى] [8] هذه المرتبة [الخالصة] [9] لأهل النهايات ، الصادرة عن ذكره بنوافل الخير، سببا إلى تحقيق توحيده حتى [أورثهم][10] خالص محبته تعالى، حمله إياهم في جميع الأحوال .وأهل السلوك لهم حالان: حال فرق وحال جمع .

فصاحب الفرق لا يخلو في حال عبادته أو عبوديته عن تلمح الاكتساب البشري حين يشعره الله تعالى افعاله من طاعته أو مخالفته ، فحين يرى ذلك بنفسه من نفسه أو يراه بنفسه (من) [11] ربه ، فذلك دليل الفرق . لأنه لم يفارق بعد تلمح (العادة) [12] بعين الطبع البشري . فما دام السالك بهذه المثابة ، فمقاصده كلها باللام ، لأنه صاحب معاملة . وإلى ذلك الإشارة في قوله Y : " إياك نعبد " [13] لما فيه من

---

1 – ج ، د : يخرجون .

2 – ب ، ج : ربما .

3 – د : بالأعيان .

4 – في الأصل : الحكاية .

5 – د : رجلاه .

6 – د : بهما .

7 – أورده العراقي في المغني عن حمل الأسفار ، وسكت عنه : 71/1 – وانظر أيضا : إحياء علوم الدين : 345/4 – عوارف المعارف ، ص : 133 .

8 – في الاصل : تعلق .

9 –في الأصل : الخاصة .

10 –في الأصل : ورثهم .

11 – ج : عن .

12 – د : العبادة .

13 – الآية من سورة الفاتحة / الآية : 4 .

إضافة العبد فعله لنفسه ، وإن كان يعتقد أن لله Y هو الخالق الفعال ، مصرف [الخلق] [1] فيما هم فيه من حركات وسكنات ، (فأوهام) [2] الطبع البشري (غالبة) [3]، عليه ، وما دامت النفس تختلس آثار العادات ، لم يكمل له مشرب حقيقة التوحيد .

وأما صاحب الجمع(فلا) [4]يفارقه الإصغاء بالسر إلى ما يتصرف[به][5] سلطان الحقيقة في الوجود ، بقطع الإشارة إلى غير الله عز وجل، تبريا من الوجود إلى الموجد. وهو الذي رفض الأكوان واستغنى عنها بالمكون الحق ، ولم يبق عنده أثر لغيره ، ولا عمل (بسواه)[6] فإذا رقي السالك لهذه المرتبة ، أو قارب الارتقاء إليها، فمقاصده كلها بالباء ، لأنه صاحب حال راق عن المعاملة . وإلى ذلك الإشارة (في قوله) [7] تعالى : [وإياك نستعين] [8]. فالأول أثبت [لنفسه فعلا] [9] ، والثاني سلب الأفعال كلها عن نفسه لتحققه أنه محمول لا حول له ولا قوة ، (حال استنفاذها)[10] من عين اليقين السامي عن علم اليقين .

وإن كان صاحب منزل الطمأنينة لم يبلغ الغاية المشار إليها ، فهو قد أشرف على مباديها ، ولاحت (عليه) [11] أنوارها . فحقيق أن يتمرن في الأوائل بما يقدم به على الأواخر، وعلى هذا المشرع درجنا [في] [12] جميع المنازل للاشتراك الذي بين النهايات والبدايات حسبما وقع التنبيه عليه غير مرة. فظهر أن الباء في المقاصد من

---

1 – زيادة في : د – ساقطة من : أ ، ب ، ج .

2 – ب : وأوهام .

3 – ج : الغالب .

4 – ج : لا .

5 – في الأصل : فيه .

6 – ج : سواه .

7 – ج ، د : بقوله .

8 – سورة الفاتحة / الآية: 4 .

9 – في الأصل : نفسه لفعله .

10 – ساقط برمته من : ب ، ج .

11 – د : له .

12 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

خاصية أهل النهايات. و(إلى ذلك)[1] أشار الشيخ أبو مدين[2] أحد كبار شيوخ هذا الطريق (رضي الله عنه)[3][بقوله][4]: "ما رأيت شيئا إلا رأيت الباء عليه (مكتوبا)[5] ، (كأن)[6] الله تعالى يقول : بي قام كل شيء ". و"قيل للشبلي[7] يوما: أنت الشبلي؟ فقال:"أنا لنقطة التي تحت الباء[8]". يشير إلى أنه كما تدل نقطة الباء

---

1 – ب : لذلك .

2 – الشيخ أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني الصوفي الشهير بالغوث (520 هـ 594 هـ) ولد في قطنيانة من أعمال اشبيلية، ثم رحل إلى العدوة طلبا للعلم .أخذ التصوف عن شيخه أبي الحسن بن حرزهم وأبي يعزى ، ثم انتقل إلى مكة حيث لقي عبد القادر الجيلاني ، واستمع إليه، ثم عاد واستقر في بجاية.وهو يعتبر أصلا تتفرع عنه معظم المدارس والطرق الصوفية بالمغرب والأندلس. كان ابن عربي محيي الدين الحاتمي يلقبه بشيخ الشيوخ . وقبره معروف بالعباد قرب تلمسان . ترجمته في عدد كبير من مصنفات التصوف ، والمناقب ، والتراجم وغيرها . انظر: التشوف إلى رجال التصوف – للتادلي ، ص : 319 وما بعدها – أنس الفقير وعز الحقير – لابن قنفذ القسطني (وهو مصنف كله في مناقب أبي مدين وأصحابه) – عنوان الدراية للغبريني ، ص : 22 – الإحاطة – 2 /191 – 192 – وفيات ابن قنفذ ، ص : 297 – المرقبة العليا ، ص : 137 – أزهار الرياض: 308/2 – 304/4 – نفح الطيب : 136/7 – شجرة النور الزكية : 164/1 – سلوة الأنفاس : 1 / 364 – جمهرة الأولياء : 208/2 – جامع كرامات الأولياء : 98/2 – المطرب بذكر شخصيات بارزة من أولياء المغرب . ص : 60 – الموسوعة الصوفية . ص : 359 – معجم المحدثين والمفسرين والقراء بالمغرب الأقصى . ص : 15 – مقدمة ديوان أبي مدين ، ص : 8 .

3 – ب ، د : رضوان الله عليهم .

4 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

5 – ب : مكتوبة .

6 –ج : فإن .

7 – أبو بكر الشبلي الصوفي المشهور . اسمه دلف بن جحدر ، وقيل : جعفر بن يونس . وقيل غير ذلك. ولد ببغداد ، وبها نشأ وتعلم . كان فقيها مالكي المذهب ، ولي حجابة الموفق ، ثم تاب في مجلس خبر النساج . وصحب الجنيد ومن في عصره . حكى عنه محمد بن عبد الله الرازي ، ومنصور بن عبد الله الهروي ، ومحمد بن الحسن البغدادي وغيرهم . توفي ببغداد . سنة 334 هـ وقبره بها معروف.انظر:اللمع .ص : 478 – الرسالة القشيرية . ص : 27 – الطبقات الكبرى : 121/1 –حليةالأولياء : 366/10 – تاريخ بغداد : 389/14 – وفيات الأعيان . 2/ 121 – حلية الأولياء : 366/10–تاريخ بغداد : 389/14 – وفيات الأعيان.273/2– شذرات الذهب:338/2 –سير أعلام النبلاء 367/15 – الموسوعة الصوفية : 236 .

8 – الرسالة القشيرية . ص : 11 .

على الباء وتخصصها من أختيها التاء والثاء[1]،كذلك دل الشبلي بحاله على السبب الذي به قام ومنه وجد ، وعنه ظهر ، وفيه بطن .

فالباء في المقاصد تدل على صحة التمكين في بحر التوحيد،والتجريد[2] عن الأكوان.وإذا عرف المعنى،لا تشاح[3]في الألفاظ.وهذه|80|المواضع قل من تعرض لبسطها فتجد العبارة (مقصرة) [4] في الكشف عن حقائقها . وبالله التوفيق .

ثمـــــرة

واعلم أن ثمرة هذا المقصد في هذا المنزل ، استغراق القلب في انتظار إنجاز الوعد بالكشف عما تضمنه الاسم العظيم[5] من الحقائق التي يضيق عنها نطاقه ولا يحملها مقامه . لكن مبادي (الأنس) [6] تحرك قلبه فيتوق إلى ذلك. وله في الرجوع إلى نفسه راحة لولاها لمات دهشا وهيبة . لكن من فضل الله Y على صاحب هذا المنزل أن يرده من حينه إلى شاهده ، فيستريح من ضغطة ذلك الوارد إلى عالم الحس . وقد كان بعضهم إذا ورد عليه مثل [هذا] [7] يوصي بعض جلسائه أن يشغله

---

1 - الباء ، والتاء ، والثاء .. من الاصطلاحات الرمزية التي توظفها الكتابة الصوفية للدلالة على بعض المفاهيم الدقيقة فالباء سبقت الإشارة إلى معناها . أما التاء فهي تشير إلى الذات باعتبار التعينات والتعددات . أي الذوات المخلوقة . أما الثاء فتشير إلى ثواب الدارين . وإلى اللطف والكرم والإحسان...(انظر: اصطلاحات الصوفية. ص: 155 – معجم المصطلحات الصوفية ص: 56- 66). وهي رموز لا زالت لم تخضع للدراسة الدقيقة المتأنية (مثلها في ذلك مثل رمزية : السفر ، رمزية الحمام ، رمزية المرجعيات الدينية غير الإسلامية .. الخ) بالمقارنة مع رموز كالخمرة والمرأة التي حظيت باهتمام كبير في مجمل الأبحاث والدراسات التي تناولت رمزية التعبير الصوفي ، سواء منه النثري أو الشعري . انظر مثلا : الرمز الشعري عند الصوفية . عاطف جودت نصر – الخيال والشعر عند الصوفية ، د . سليمان العطار ... وغيرها كثير .

2 – التجريد " ما تجرد للقلوب من شواهد الألوهية، إذا صفا من كدورة البشرية."(اللمع. ص: 42.)

– وانظر أيضا: عوارف المعارف. ص: 332 – كشاف اصطلاحات الفنون: 1/ 274.

3 - التشاح : التنازع (اللسان / شحح) .

4 - د: مقصورة .

5 – يقول القاشاني: " هو الاسم الجامع لجميع الاسماء ، وقيل: هو الله لأنه اسم للذات الموصوفة بجميع الصفات أي المسماة بجميع الأسماء"(اصطلاحات الصوفية. ص: 29.)

6 - ساقط من : ج .

7 - في الأصل : هذه .

بشيء من علاقات الحس ، كي يرجع بذلك إلى الطبع البشري .ولا (تظن) [1] أن هذا هو المعبر عنه بالفناء . إنما هو سكر سببه الصدمة التي فجأت الطباع بشيء لم تعتده ، فلا تحمله ولا تقوى عليه . والفناء أعلى من هذا ، فإن صاحبه مستأنس به طامع في دوامه واتصاله. فالسكر من أحوال نهاية الطمأنينة ، والفنا ء من أحوال نهاية المراقبة ، وفناء الفناء من أحوال نهاية المشاهدة . وسيأتي بيان ذلك في مواضعه بعد إن شاء الله.والفرق بين حالة السكر وحالة الفناء ، أن حالة السكر وجد [2] عن صدمة تلمح سلطان الهيبة من جنبات الاسم العظيم ، تدكدك أرض القلب [3]، وتفت أفلاذه [4] حتى يضيق عن حمله [لأثر] [5] الأوهام التي بقيت فيه وحالة الفناء استغراق في بحر التحقيق بما ورد عليه من نور التوحيد . فهو حاضر بالسر ، وإن كان غائبا (بالحس) [6] ، يود لو اتصل (فناؤه) [7] ، لولا الجاذب الذي له من حسه . وبالله التوفيق .

---

1 – ج : نظن – د : تظنن .

2 – الوجد: " مصادفة القلوب لصفاء ذكر كان عنه مفقودا " (اللمع. ص: 418.) – وقال القشيري: " الوجد يصادف قلبك ويرد عليك بلا تعمد و تكلف " (الرسالة. ص: 36.) – وانظر أيضا : عوارف المعارف. ص: 332 – الإملاء في إشكالات الإحياء . ص: 20.

3 – في اللغة يقال : دككت الشيء ودكدكته : سويت صعوده وهبوطه بالتراب ، ودفنته بالتراب (اللسان – دكك)أما في الكتابة الصوفية ، فهو تعبير مألوف مقتبس من لفظ الآية : 143 / من سورة الأعراف في قصة موسى عليه السلام عند طلبه رؤية الحق : [ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك . قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فأن استقر مكانه فسوف تراني. فلما تجلىربه للجبل جعله دكاوخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأناأول المومنين].

فهم يرون أن الجبل الذي تدكدك هو قلب موسى،الذي أزيلت جميع شوائبه وعلائقه . ودكت جميع صور الأكوان فيه ، حتى لم يبق فيه وجود إلا للحق سبحانه . بمعنى أن الحق إذا تجلى لقلوب العارفين. دك، واضمحل منها كل ما سواه .

4 – الأفلاذ : جمع فلذة : وهي القطعة من الكبد واللحم والمال والذهب والفضة (اللسان / فلذ) . والفت : الكسر والدق (اللسان / فتت) .

5 – في الأصل : لأنس .

6 – ج : بل بحس .

7 – ب : فناه .

نتيجـــــة

اعلم أن نتيجة هذه الثمرة اتصاف النفس بإحدى عشرة صفة حميدة تنفي عنها إحدى عشرة صفة ذميمة :

الأولى : التمكين ، وهي حالة تتولد عن الطمأنينة . والتمكين عبارة عن صحة الانقطاع إلى الله تعالى ، والخروج عن تعلق القلب بغيره بثلج اليقين الصادر عن التوحيد . فلا يرى في الأكوان غير الله تعالى ، مبديا ومعيدا ، ونافعا وضارا، ومحركا ومسكنا ، فالوجود بأسره باختلاف صفاته وأحواله قائم به (و)[1] صادر عن أمره ، وذلك ينفي عن النفس تلمح بروق الأوهام ، ويمحو منها آثار العادة .

الثانية : الوجد (وهو)[2] تأجج نار في القلب (يقلقه) [3] [بعارض] [4] يضيق عن حمله ، فيوقظ الروح ليحمل ذلك العارض عنه لأنه من (عالمه) [5] . فتجد الروح [تجذبه] [6] مبادي أسراره إلى [المعالي] [7] [الإحسانية] [8] و (المشاهدة) [9]

[التحقيقية] [10] ، فيظفر من أنوارها بقبس [11] ، (ويتحلى من أسرارها بنفس) [12] . وذلك ينفي عن النفس سنة السلوان، ويوقظها من رقدة مقتضى الجسمان ، وما يعرض قبل هذا مما يشبهه، فهو تواجد [1]، وما يعرض بعده مما يضارع هذا، فهو وجود [2].

---

1 – ساقط من : ج ، د .

2 – د : وهي .

3 – ج : يغلفه .

4 – في : أ : بعاص (كذا) .

5 – ج : عالمها .

6 – في : أ ، ج : يجذبه .

7 – في : أ ، ب ، د : المعالم .

8 – في :، أ ، د : الجسمانية .

9 – د : المشاهد .

10 – في الأصل : الحقيقية .

11 – اقتباس من لفظ الآية : 9/ من سورة طه : [إر رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى]وغيرها .

12 – ساقط برمته من : ج .

الثالثة : البرق ، وهو باكورة طرف (أهل)[3] التحقيق ، يلمع فيوذن بالعثور على مبادي نفحات حضرة التخصيص ، ويحرك دواعي الطرب ، ويبشر السر بالسرور. كيف لا وقد لاح له من جانب طور اللطف[4].

نار (الوصول)[5]، وفتحت له أبواب درك الآمال . وذلك ينفي عن النفس خبث العادة ويطهرها من قذر الهوى ، ويولجها في روض الإسعاد .

الرابعة : الأنس ، وهو الكشف عن حقيقة مبادي توحيد الصفات . وهو وإن كان إنسا ، فيقل معه الاصطبار ، ويثقل حمله على القلب لاختلاف النسبة . ولأجل هذا لم يف هذا المنزل بتخليص هذا النوع من التوحيد . وقد ضل كثير في هذا المنزل بهذه الحالة ، وخلعوا أثواب العلم ، وانحلوا من قيوده بضعفهم عن حمل الوظيفة الإنسية. وإلى ذلك الإشارة بقوله ρ : " والشوق إلى لقائك ، في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة " [6] ، وذلك ينفي عن النفس الانقباض مما يخالف الهوى ، والامتعاض لورود ما يضاد الطباع ، ويقطع العادة .

الخامسة : السكينة ، وهي خاصة من خواص الطمأنينة . وإن كانت للعارف سكينة أخرى ، فهي فوق الإشارة . وهذه تفصح عنها العبارة . قال الله تعالى: [هو

---

1 – يقول الغزالي: " التواجد استدعاء الوجد والتشبه في تكلفه بالسابقين من أهل الوجد " (الإملاء في إشكالات الإحياء ص:20.)ويقول القشيري: " التواجد استدعاء الوجد بضرب اختيار، وليس لصاحبه كمال الوجد، إذ لو كان لكان واجدا " (الرسالة. ص: 36.) انظر أيضا: عوارف المعارف.ص:332.

2 – الوجود هنا بمعناه الاصطلاحي أي كما يرى السهروردي: " اتساع فرجة الوجد بالخروج إلى فضاء الوجدان... والوجود ثابت ثبوت الجبال" (عوارف المعارف . ص: 332.) – وأيضا: الإملاء في إشكالات الإحياء. ص: 20. – الرسالة القشيرية. ص: 36.

3 – ساقط من : ج .

4 – من لفظ ومعنى الآية 29/ من سورة القصص : [فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارا . قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون]، والقصة نفسها تتكرر في عدد من الآيات مثل : طه / 9 – القصص / 46 – طه / 80 – مريم / 52 ... ويوظفها الصوفية عادة للتعبير عن ورود العارف على حضرة النور حيث يشتعل قلبه بقبس يضيء ، وبهذا القبس يي العارف الطريق للسالكين بعد أن يرجع إليهم ليهديهم .

5 – د : الموصل .

6 –حديث أخرجه أحمد من طريق عمار بن ياسر_(المسند.ح:18287).وانظر أيضا اللمع.ص:94.

الذي أنزل السكينة في قلوب المومنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم][1]. فالسكينة (تقضى)[2] بكمال الإيمان ، وتفضي إلى الإحسان . وهي أول درج من [أدراج][3] الولاية التي |81| تفوه[4] عن الحكمة ،و(تشير)[5] إلى نكت الحقائق حين تهب بها نواسم نواسم لطائف الحق [فيتروح][6] لها القلب ويستجيب لداعيها الروح . وذلك ينفي عن النفس سراب الخطرات القادحة في (المراقبات)[7] وتمحو منها الآثار الطبيعية .

السادسة : الهمة بكسر الهاء . وهي عبارة عن غلبة الانبعاث[8] إلى حصول الأمل ، خالصة من شوائب الالتفات لغيرها ، ترقى بصاحبها عن طلب (الأعواض)[9]، واعتبار الدرجات، بما لاح له من أنوار حقائق توحيد الصفات ، وذلك ينفي عن النفس الرضى بالأدنى عن الأعلى ، والنفور عن إهلاكها المتضمن إبقاءها وتهتيكها[10] الموذن بصحتها.

السابعة : الفراسة وهي من ثمرات غرس الإيمان ، ومن أخوات الإلهام[11] وذلك دون الكشف ، تصدر عن نهاية الإيمان ، لكن لا تخلو عن شائبة شك بما بقي في القلب من آثار والتقلب ، بخلاف الكشف الذي هو من خواص الروح ، حين لم يبق فيه من طبع الجسم أثر. (والفراسة)[12] سطوع[1] نورية تلوح من

---

1 سورة الفتح / الآية: 4 .

2 – ج ، د : تقتضي .

3 – في الأصل : سقط بفعل الأرضة .

4 – كذا في جميع النسخ !!

5 – د : يشير .

6 – في : أ ، ج : فيروح .

7 – ب : المراقبة .

8 – الانبعاث : الاندفاع (اللسان / بعث) .

9 – ج : الأعراض .

10 –هتك الستر وهتكه تهتيكا : خرقه ، وفضح ما وراءه (اللسان / هتك) .

11 – يقول الجرجاني: " الإلهام ما يبقى في الروع بطريق الفيض. وقيل: الإلهام ما وقع في القلب من علم، وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية ولا نظر في حجة. وهو ليس بحجة عند العلماء إلا عند الصوفيين. والفرق بينه وبين الإعلام، أن الإلهام أخص من الإعلام، لأنه قد يكون بطريق الكسب، وقد يكون بطريق التنبيه" (التعريفات. ص: 35.)

12 – د : فالفراسة .

جنبات عرصات[2]التحقيق، يضعف بصر البصيرة عن الإحاطة بعين (الخبر)[3] عنها . وإن علم شيئا ، فيغلبه ظبن قاصرة عن القطع . ولذلك الإشارة بقول النبي ρ : " لا تكاد فراسة المومن تخطئ " [4] وذلك ينفي عن النفس الغموض عن تلمح الاسرار ، والعجز عن الاكتيال بمكيال أهل الوفاء .

الثامنة : العلم، ونعني به هنا العلم الخفي الثابت في قلوب أهل الطهارة والرياضة الخاصة (بأهل) [5] الهمة الشريفة ، وهو موذن (بأوائل)[6] عين اليقين معرب عن مبادي حقائق توحيد النعوت[7] . ولا يدرك إلا بطمأنينة القلب بذكر الله ، وليس بعلم الرسوم . وذلك ينفي عن النفس الجهالة بموارد الحكم والتعامي عن بوارق[8] أسرار التوحيد .

التاسعة:الصفا،وهو البراءة من الكدر بسقوط التلوين.ونعني به[هنا][9]صفاء الحال التي بها تبدو شواهد التحقيق،وتوذن ببروق المراقبة وتنسي علق الجسم. وذلك ينفي عن النفس التثبط[مع][10]كدرات الوهم،والالتفات لشواهد الرسم.

العاشرة:النفس بفتح الفاء،وهو باب يلج عليه السالك في هذا المنزل، يشرف منه على(ساحة)[11]المراقبة التي هي بداية مقام الإحسان و[سمي][1]نفسا لمافيه من

---

1 –السطع : كل شيء انتشر أو ارتفع من برق أو غبار أو نور أو ريح (اللسان / سطع) .

2 – العرصة : الفناء ، والساحة التي لا بناء فيها . والعرص كذلك : النشاط (اللسان / عرص) .

3 – ج : الخير .

4 – أخرجه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بلفظ: " اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله"(الحلية: 4/ 94) والبغوي في شرح السنة: 14/ 31 – وأورده الغزالي في الإحياء : 320/2 – (وانظر أيضا:اللمع ، ص : 171) .

5 – ب ، ج ، د : بأصحاب .

6 – د : بمبادي .

7 – يربالطوسي أن النعت اصطلاحا هو: " إخبار الناعتين عن أفعال المنعوت وأحكامه وأخلاقه.ويحتمل أن يكون النعت والوصف بمعنى واحد. إلا أن الوصف يكون مجملا، والنعت يكون مبسوطا، فإذا وصف جمع، وإذا نعت فرق " (اللمع. ص: 427.)

8 – البوارق جمع بارقة وهي: " لائح يرد من الجناب الأقدس وينطفئ سريعا، وهي من أوائل الكشف ومباديه" (اصطلاحات الصوفية. ص: 35.) – وانظر أيضا: كشاف اصطلاحات الفنون: 1/ 203.

9 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

10 – في الاصل : عن .

11 – ب : ساحل .

ترويح السالك من ضغطةحجاب الغيبةبسراج أنوار(مبادي الوصلة الاختصاصية. وذلك ينفي عن النفس غمةالكمدوالقعودعلبقيود)[2]الغيبةعن الرصد.

الحادية عشرة : الذكر، ونعني به اتصال حقيقة الذكر في القلب مع الأنفاس، (تخلصا) [3] من وهن الغفلة ، (بعز) [4] الحضور، وهو الذكر الخفي القلبي، وهو الموذن بامتلاء القلب من ذكر الله وتهييئه إلى حلول النور الصمدي فيه . وما تقدم من سلوك ما مضى من المنازل ، فليبلغ إلى هذا المقدار من عمارة القلب بالله . وذلك بداية لما يرد عليه الروح في مقام الإحسان ، لانقلاب القلب عن التقلب ، والاضطراب إلى السكون والثبوت. وذلك ينفي عن النفس دخان ظلم الغفلة ، و(زكام هوى) [5] الاضطراب .

علامـــة

ومن علامات حصول هذه النتيجة ، دوام ذكر القلب بحيث لا يفتر مع الحركات والسكنات والأنفاس ، من غير كلفة [ولا] [6] مؤونة ، إنما حقيقة الذكر صفة قائمة بالقلب ، سواء فتر اللسان أو تحرك . وهو المعبر عنه بالذكر الخفي . وقد اختلف أهل هذا الشأن فيه ، فقال بعضهم : لا يدرك الملك هذا النوع من الذكر ، إنما هو بين العبد وربه . وقال آخرون : بل تدركه الملائكة. والصحيح أنه لا تدركه الملائكة إلا إن احتفت به قرينة أو قامت به صفة (تعرب عنه . إذ ليس في قوة الملك الوقوف على ما تكنه الصدور . وأصل الكتاب[7] والسنة تشهد) [8] لذلك .

---

1 – في : أ : تسمى – د : يسمى .
2 – ساقط برمته من : ج .
3 – ب ، ج ، د : مخلصا .
4 – د : بعين .
5 – د : ركامها و .
6 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .
7 – ب : اصول الكتب .
8 – ساقط برمته من : ج .

وإذا انتهى السالك إلى هذا المقدار من الذكر ، فقد أشرف على المعارف الإحسانية ، وذلك أول (رشمة من رشوم[1] ذكر)[2] الروح . وهو دليل على أن صاحبه قد نال قلبه لطيفة[3] من الحق يهتدى بها إلى عين اليقين. (وهو)[4] أبلغ درجات **|82|** الإيمان وأرفع مقاماته .

حدثني من أثق به قال : حدثني الشيخ أبو القاسم المريد τ قال :" بقيت عشرين سنة في بداية أمري لم تغب عني صورة النبي ρ ، بل أشاهدها في كل الأنفاس ، لا يشغل [بصيرتي][5] عن ذلك شاغل (ثم بقيت بعد ذلك عشرين سنة غائبا بالقلب عن الخلق ، مستغرقا في ذكر الخالق ، لا يشغلني عن ذلك شاغل)[6] ، ، فكنت مع الخلق بالجسمان ، بائنا عنهم بالجنان" ، (و)[7] ليس إلا استغراق في بحار بحار المراقبة .

ومن علاماته (تيسير)[8] المطالب وقضاء الحاجات وقبول الدعوات، حتى إنه لينتهي أن يخطر الخاطر بباله ، مزاحما (لعمارته)[9] في أمرمن الأمور المصلحة لحاله ، فيتيسر ذلك الأمر من حينه .

حدثني أبي قال : حدثني أبو عبد الله [ابن][10] المرابط رحمه الله قال: كنت يوما مع الشيخ ابي القاسم المريد τ ، (فجاء)[11] رجل فقال له : ياسيدي أريد أن أجتمع (بك)[12] في قضية ، فقال له الشيخ أبو القاسم : قد عرفت قضيتك، افعل ما

---

1 – رشمة كل شيء : علامته (اللسان / رشم) .

2 – ب : رشحة من رشوح .

3 – قال الغزالي : " اللطيفة إشارة دقيقة المعنى تلوح في الفهم ولا يسعها العبارة " (الإملاء في إشكالات الإحياء. ص: 19.) – وانظر أيضا: اللمع. ص: 448. –اصطلاحات الصوفية. ص: 7.

4 – ج : وهي – د : وهو من .

5 – في الأصل : بصري .

6 – ساقط برمته من : ج .

7 – ساقط من : ب ، ج .

8 – ب: تيسر .

9 – ب : لعبارته .

10 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

11 – ب ، ج ، د : فجاءه .

12 – ب : معك – د : ساقطة كلية .

به أمرت ، قال : فانفصل ذلك الرجل. قال ابن المرابط : فلقيته بعد ذلك فسالته عن القضية التي جاء من أجلها إلى الشيخ . فقال : كنت بارحة ذلك اليوم نائما ، فرأيت النبي ρ فقال لي : [يا] [1] فلان اريد منك أن تؤدي عن خديمي أبي القاسم (المريد) [2] الاربعين درهما التي عليه لفلان البقال أو الدقاق . فأردت أن أعرف بذلك الشيخ ، فوجدته عارفا به .

ومن (علاماته)[3] (استراحة)[4] قلبه بذكر الله عن جميع الأكوان ، فلا يجري في باطنه فرق ما بين قبض الدنيا وبسطها ، وترابها وذهبها ، وراحتها وتعبها، وموتها ، وحياتها لامتلاء القلب بذكر الله . فلا يسمع معه غيره ، معتز بالله ، غنيا به عن جميع الأكوان ، فيرى الالتفات لغير الله ، ذلا لا عز معه وفقرا لا غنى عنده . وبالله التوفيق .

وصيـــــة

وينبغي لصاحب هذا المنزل أن يجعل نفسه آلة رحمة لنفسه ولغيره .أما لنفسه ، فتكميل طهارتها ، والوصول بتصفيتها إلى حيث تقديسها مع رؤية التقصير في جميع الأنفاس ، واتهام نفسه في جميع الإشارات ، لكونها دون الغاية التي بها ظفر العارفون، لا يحمله سكون القلب لطمأنينته على ضعف الانبعاث إلى ما وراء ذلك ، ولا ينخدع بما ظفر به من هذه الوصلة .[فلا يامن مكرالله إلا القوم الخاسرون] [5]،والفرق من المكر قطع قلوب الرجال وأطاش[6] الباب الانجاد . وقد كان النبي ρ –

---

1 – في جميع النسخ ، ساقط من الأصل .

2 – ساقط من : ب .

3 – ب ، د : علامته .

4 – ج : استراح .

5 – سورة الأعراف / الآية: 99 .

6 –طاش يطيش طيشا ، والطيش : النزق وخفة العقل (اللسان / طيش) .

– مع معرفته بالله (وغفران)[1] جميع ما تقدم له وما تأخر يسمع (لصدره)[2] أزيز كأزيز المرجل من البكاء [3] .

وأما لغيره : فليسلك معهم مسالك الجمال في الغيب والشهادة ، بالنصح والنصر والرفق والإعانة (والرعي) [4] وحسن الظن . وليتشبه بالملائكة بالملائكة في دعائهم (للمومنين) [5]

واستغفارهم لهم [6]. ولا يمتعه ما هو فيه من استغراق باطنه عن توفية وظائف أخوة الإيمان ، (لأنها) [7] رسم من رسوم الشرع ، وحق من حقوق الدين ، ومهما أغفله (استغراقه) [8] عن رسم من رسوم الشرع ، فمشربه كدر ومسعاه وعر .وليقم بوظائف معاشه ما دامت أسبابه جارية لضروراته ، " فأطيب ما أكل المومن من كد يمينه [9] . حتىإذا انقطعت به الأسباب ، علم أن المسبب أراد جمع الظاهر والباطن على الوجهة إليه سرا ومعنى، فليقم على وجهته معتزا بربه، معرضا عن جميع الأكوان ، منتظرا رزقه من الوكيل الحق ، جاريا في ذلك على ما يقتضيه منزله ويتضمنه مقامه ، وصاحب هذا المنزل لاتصال عمارته، (يستوي)[10] عنده حال الخلا وحال الملا . لكن لابد من إقامة وظائف على قواعد شروطها وآدابها.فللوسائل حقوق،مع أنه لا مطمع له في درك ما رواء منزله إلا بالمداومةعلى الخلوة والإدمان

---

1 – ب ، ج ، د : وعلمه بغفران .

2 – ب ، ج ، د : لخوفه .

3 – أخرجه أحمد من حديث مطرف بن عبد الله عن أبيه به ، ح : 16291 .

4 – د : فالدعاء .

5 – ج : لهم .

6 – الإشارة إلى قوله تعالى في سورة غافر / الآية 7 : [الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويومنون به ويستغفرون للذين آمنوا، ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم] ، وفي سورة الشورى / الآية 5 : [تكاد السماوات يتفطرن من فوقهن، والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض، ألا إن الله هو الغفور الرحيم]

7 – د : لأنهم .

8 – ج : استغراق .

9 – رواه أحمد من حديث عائشة : ح : 24025 وح : 24141 . وح: 25599 – وابن ماجة : ح 2137 – والدارمي : 247/2 .

10 – ب، ج ، د : تستوي .

على الصمت،والتهيئة بالجوع.وفوق كل غاية غاية إلى ما لا غاية له،والقنوع من الله (بدون)[1].

المعرفة [به] [2] حرمان .وليقتصر على أقل ما يدفع الضرورة من الأكل والنوم وغير ذلك من تصاريفه ، وليجعل همه كله مصروفاإلى ما هو سبيله من العمارة بالله وتعلق **|83|** الأمل به. وذلك(مله)[3]عن غيره من الوظائف الجسمانية فيما زاد على مقدار الضرورة . وحصرما يليق من التصاريف والأحوال متعذر، (وربما استدعى)[4] تطويلا ، ولم يحصل الحصر ، فتكفي هذه النبذة . وله من حاله ، واستطلاع رأي قدوته ما يحصل به على الاهتداء إلى الباقي ، لأن جزئيات الأحوال تتبعض فتكثر. وبالله التوفيق [5]

---

1 – ج : بغير .

2 – زيادة في : د – ساقطة من : أ ، ب ، ج .

3 – بياض في : ج .

4 – ج : لاستدعى .

5 – ب ، د : زيادة : وحده لا شريك له ، وعليه التكلان .